شرح

الأسماء الحسنى

كتاب في توحيد الشهود والعيان

يشرح أسماء الله الحسنى على مشرب الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي قدس سره

تصنيف

العارف بالله تعالى

الشيخ صدر الدين القونوي قدس سره

المتوفى 673 هـ

ضبطه وصححه وعلق عليه

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي

BOOKS - PUBLISHER

Beirut-Lebanon بيروت - لبنان | كتاب - ناشرون

شرح
الأسماء الحسنى

كتاب في توحيد الشهود والعيان

يشرح أسماء الله الحسنى على مشرب الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي قدس سره

تصنيف

العارف بالله تعالى

الشيخ صدر الدين القونوي قدس سره

المتوفى 673 هـ

ضبطه وصححه وعلق عليه

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي

BOOKS - PUBLISHER
كتاب - ناشرون
Beirut-Lebanon بيروت - لبنان

شرح الأسماء الحسنى

Šarḥ Al-Asmāʾ Al-Ḥusna

Author – المؤلف

صدر الدين القونوي

Sadr al din al Quounawi

Editor – المحقق

الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

Assem Ibrahim al Kayyali

Classification – التصنيف

تصوف

Sufism

Pages ,Size – القياس، عدد الصفحات –

192 p. ; 17*24 cm

Year – سنة الطباعة

2012 A D. _1433 H.

Printed in – بلد الطباعة

Lebanon – لبنان

Edition – الطبعة

First ; الأولى

ISBN : 978-2-7451-7213-6

All Rights Reserved

BOOKS - PUBLISHER

كتاب - ناشرون

Exclusive rights by © BOOKS - PUBLISHER Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © BOOKS - PUBLISHER Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة كتاب - ناشرون بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,
Building, First Floor, Beirut-Lebanon
289 277-P.O.Box 11- 374 Riyad Al-Soloh
books.publisher@hotmail.com

ISBN 978-2-7451-7213-6
ISBN 2-7451-7213-1
9 782745 172136
90000

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بسم الله الرحمٰن الرحيم الظاهر بأسمائه وصفاته والباطن بذاته فاستنا لكون بتجلّيات الأسماء والصفات وما زال يستمد من كنز الذات المخفيّ.

والحمد لله الذي علّم آدم الأسماء كلها الحقيّة والخلقيّة فكان بمقتضى هذ التعليم خليفة الله في أرضه وخاتماً على مملكته، حاملاً أمانة توحيده تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله.

والصلاة والسّلام على سيّدنا محمد الإنسان الكامل في أرض ناسوت جسمه وملكوت سماء قلبه وجبروت حقيقة سرّه، القائل ﷺ: **«إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، مَن أحصاها دخل الجنَّة»**.

وبعد، إنه في مجال معرفة أسرار الأسماء الإلٰهيَّة التسعة والتسعين وشرحها من مشرب الشيخ الأكبر محيي الدين محمد ابن عربي الحاتمي الطائي مشرب الإحسان المتعلّق بتوحيد الشهود والعيان، نقدِّم للقرَّاء الكرام كتاباً نفيساً في شرح أسماء الله تعالى الحسنى لتلميذ الشيخ الأكبر ووارث وشارح مذهبه في التوحيد ألا وهو الشيخ الكبير صدر الدين القونوي المتوفى سنة 673 هجرية.

وقسّم المؤلف الكتاب إلى ثلاثة أقسام، **قسم** جعله مقدمة للكتاب تحدّث فيه عن علاقة عالم الإمكان بالأسماء الإلٰهية، وعن عدم زوال الشرك من النفوس

والقلوب إلاّ بشهود تجلّيات الأسماء والصفات. وتكلّم عن استحالة معرفة الله تعالى بالعقل وإنما يعرف الله تعالى بالذوق الروحي. نعم قد يوصل العقل إلى الاستدلال على وجوده تعالى فالأثر يدل على المؤثر والكون يدل على المكوِّن، أما معرفة واجب الوجود من حيث تجلّيات الذات والأسماء والصفات والأفعال فلا تكون إلاّ بالذوق الروحي.

والقسم الثاني هو عبارة عن مقدّمة في الأسماء الإلٰهية تكلّم فيه عن أن الأصل في الذات التنزُّه عن الصفات واقتضاء كل اسم وصفة كوناً من الأكوان، وكون الممكنات مرآة الأسماء والصفات، وكون الأعيان العلميَّة هي شؤون الحق الذاتيَّة، وعن كون الأسماء الإلٰهيَّة توقيفيَّة وتقسيمها إلى المضمرات والكنايات، وعن إحصاء الأسماء بالإتصاف والتحقّق بها.

والقسم الثالث هو شرح على مشرب شيخه الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي الحاتمي، مشرب ذوقي فلسفي لخاصة الخاصة.

وممّا لا شكّ فيه أنّ كتب التصوّف الإسلامي المتعلّقة بالطريقة والشارحة للحقيقة تُساعد المُريد على الاطلاع على الأحوال والمقامات، التي يمر بها السالك إلى الله تعالى، كما يطّلع على الحكم والقواعد الصوفية التي يستلهم منها كيفية التحقق بأحكام مقام الإسلام وأنوار مقام الإيمان، وأسرار مقام الإحسان، وصولاً إلى قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: الآية 99]. كل ذلك بإشراف ورعاية وتربية شيخه العالم بأمراض النفوس والقلوب؛ وبالأدوية الشافية له من هذه الأمراض، لأنه ورث عن النبي ﷺ علوم وأسرار مقامات الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان، الشريعة والطريقة والحقيقة، الملك والملكوت والجبروت، مصداقاً لقوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»، وقوله: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم».

هذا ونرجو الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بما في هذه الكتب من الحب والإخلاص والصدق واليقين، ومن أنوار أسرار ما تعبَّدنا الله به على لسان نبيّه ﷺ

مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: الآية 21]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: الآيتان 3-4]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: الآية 69]، لننال السعادة الحقيقية المتمثلة بمعرفة الله تعالى في الدنيا، والنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: الآيتان 22 – 23].

كتبه الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

ترجمة
شارح الأسماء الحسنى(1)
الشيخ الكبير صدر الدين القونوي

* هو الإمام محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن علي القونوي الرومي نسبة إلى بلدته قونية وكانت تحت حكم الرومان وهي الآن إحدى مدن جنوب تركيا.

* كان القونوي شافعي المذهب أكبري المشرب فهو من خواص تلاميذ الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي الحاتمي المقرّبين الذين أخذوا عنه ونشروا مذهبه. وربما يعود السبب في ذلك إلى عاملين، **الأول**: أنَّ أمه أرسلته بعد وفاة والده وهو ما زال طفلاً غرّاً إلى الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي حيث درس على يديه الفقه وحفظ القرآن الكريم وتعلّم القراءات، وسرعان ما تأثر بشيخه وبمذهبه الصوفي فزهد في زخارف الحياة الدنيا وانكبّ على التصوّف علماً وعملاً. **والثاني**: أنَّ الشيخ الأكبر تزوّج أمه فشجّعه ذلك على ملازمته حتى وفاته.

* جرت مكاتبات عديدة بين الشيخ صدر الدين القونوي والشيخ نصير الدين الطوسي في كثير من المسائل الفقهية التي عمّت معارفه في ميدان الفقه الإسلامي وخاصة المذهب الشافعي كما جرى بينهما مكاتبات في مسائل الطريقة والحقيقة.

(1) للتوسع في ترجمته يرجع للمصادر التالية: الأعلام للزركلي (6/ 30) ومفتاح السعادة (1/ 451 و2/ 211) وطبقات السبكي (5/ 19) وجامع كرامات الأولياء (1/ 133) وكشف الظنون (2/ 1956) وبروكلمان (1) والكتبخانة (5/ 363 و364 و7/ 176 و382).

* ترك القونوي العديد من الكتب القيّمة التي أثرت المكتبة الإسلامية في علميّ الشريعة والحقيقة. ومن كتبه: «إعجاز البيان في تفسير القرآن، والنصوص في تحقيق الطور المخصوص، واللمعة النورانية في مشكلات الشجرة النعمانية. ومفتاح الغيب وشرح الأحاديث الأربعينية وشرح الأسماء الحسنى، والرسالة الهادية والنفحات الإلهية القدسية، والرسالة الرشيدية في أحكام الصفات الإلهية. والرسالة المفصحة، ولطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، وبرزخ البرازخ. وشرح الأسماء الحسنى وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

* ولد القونوي في بلدته قونية الواقعة جنوب تركيا وهو مجهول تاريخ الولادة، وتوفي فيها سنة 673 هجرية 1275 ميلادية، ودفن في أحد الزوايا التي أصبحت فيما بعد مقاماً له يُزار حتى يومنا هذا.

مقدّمة المؤلف

الحمدُ لله الذي نوَّر سماءَ الوجودِ بمصابيحِ أسمائِهِ الحُسنى، وفتحَ أبوابَ خزائنِ الجُودِ بمفاتيحِ صِفاتهِ الأسْنَى، وخَشَعَ لِهَيْبَة جلالِهِ الأرواحُ الطّاهرةُ في سماواتِ العُلَى، وهَامَ في بَيْدَاءِ جلالِهِ عقولُ المُهَيَّمَةِ في المَلإِ الأعْلَى، وكشَفَ عن بصائرِ أهلِ العِرفانِ أكِنَّةَ حُجُبِ الرَّيْبِ والعَمى، حتَّى عرَفُوهُ بتعْريفهِ، وشهدُوهُ في ملابِسِ مراتِبِ الصُّوَرِ والمَعْنَى، واحْتَجبَ بحجابِ عِزِّه عن دَرْكِ عيونِ المحجوبينَ فَعَمُوا عن مشاهدةِ تجلِّيَاتِ جمالِهِ الأجْلَى، وحُرِمُوا لذَّةَ سِماعِ حديثِهِ الأشْهَى.

والصَّلاةُ على مَنْ أرْسَلَهُ بالبِشَارَةِ العُظْمَى، وجَعَلهُ رحمةً للمَلإِ الأقصى والأدنى، فأوْرَدَ عِطاش فَيافِي الغَفْلة المَوْرِد الأجْلَى، وسقاهُمْ بكأساتِ نصائِحِهِ من محبَّته الأصْفى، صلَّى الله عليه وآله ساداتِ الآخِرَةِ والدُّنيا، وأصحابه الميامينَ نُجُومِ الطَّريقِ لأهلِ الهُدَى.

أما بعدُ، فلمَّا كانت الأسماءُ الإلٰهيَّةُ موادَّ الكائِناتِ وأُصُولَ المُمْكِنات، حتى لا يُمكن ظُهُور عينٍ من أعيانِ الكون إلاَّ بها، ولا يثْبُتُ قواعِدُ أركانِ عالَمِ الإمكانِ إلاَّ عليها، ولولا سُلطانُ أحكامِهَا وتصارِيفُ آثارِها ما ظهَرَ لوُجُودِ الكونِ معنى، ولا لِكَوْنِ الوجود رَسْمٌ.

ولقد طالَ شوقي إلى كشفِ بعضِ ما أمكنَ مِنْ أسرارِها، وبَثِّ ما تيسَّرَ مِن حقائقِها، لطُولِ اسْتِئناسي بِتِلاوَتِهَا كلَّ صباحٍ ورَوَاحٍ، وسروري بذَوْقِ كأساتِ الأُنْسِ عند قرائتِها التي تتضمَّنُ كلَّ فوزٍ ونجاحٍ، فاسْتَخَرْتُ الذي ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القَصَص: الآية 68].

فلمّا أُلْهِمْتُ وأُيِّدْتُ، قَيَّدْتُ ما سَنَحَ لي من حقائقِها كما اقتضى حكمُ

الوقتِ، بلسانِ أهلِ الذَّوقِ والإشارَةِ مِنْ أرباب الهِمَمِ العالِيَةِ والنُّفُوسِ الفاضلة، لا ما وقف عنه أصحابُ النَّظر النَّازِلَةِ، فإنَّ اسْتِجْلاءَ غوامِضِ أسرار أسماء ربِّ الأرباب تَبْصِرَةٌ لأُولِي النُّهَى، وغِذاء لأرواح أُولِي الألباب، واستكشاف حقائق صفات علاَّم الغُيوبِ شِفاءٌ لِمَا في صدور أربابِ القلوب، ولا يجُولُ في جوِّ فضاء ساحات الغيبِ إلاَّ مَنْ خَلُصَ مِنْ قيود مدارِكِ الفِكْرِ والحِسِّ، ولا تَزُولُ ظُلْمة الشِّركِ والرَّيبِ إلاَّ بشهودِ تصاريف تجليَّاتِ الأسماء والصفات في فسيحِ حظائرِ القُدسِ.

وهذا النوع من العلوم لا يحصلُ من ترتيب المقدَّمات وإيراد الشُّبهاتِ، بل بمخالفة الهوى، وقَمْعِ محبَّة الدنيا، والتَّحقُّق بحقائق التَّقوى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البَقَرَة: الآية 282].

وصحَّ عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**إنَّ الله تعالى احْتَجَبَ عنْ العقولِ كما احْتَجَبَ عن الأبصارِ، وأنَّ المَلأَ الأعلى يطلُبُونَهُ كما تَطلُبُونَهُ أنتم**»[1].

فاشْتَرَكَ نوعُ الإنسان مع الملأ الأعلى في الطَّلب، واختلفا في الكيفيَّة، فإنهم يطلبونه بالأنوار العقلية لكونهم عقولاً مجرَّدةً، وهو جلَّتْ عَظَمَتُهُ مُحْتَجبٌ عن العقولِ، فأنَّى لهم سبيلُ الوصولِ إلى أسرارِ الذَّاتِ وحقائِقِ الصِّفاتِ.

ومِنْ هذا النوع مَنْ يطلُبُهُ به لكَوْنِ الحقِّ سَمْعَهُ وبَصَرَهُ، ومنهم مَنْ يطلبه بنَظَرِهِ العقلِيِّ.

وطالبُ الدَّليل على صحة وُجْدانِ أهل الطريقة كطالِبِ الدَّليلِ على حلاوَةِ العَسلِ ولذَّةِ الجِمَاعِ معَ العَنَتِ، وهذا شيءٌ لا يقومُ عليه الدليل إلاَّ الذَّوقُ، وفيما جرى بين الخِضْرِ وموسى عليهما السلام تَبْصِرَةٌ لأولي الأبصار.

فالوصول إلى معرفة الذَّات المُتعالية لا يمكن للعقل مِنْ حيث النَّظر، فإنَّ العِلْمَ بالله مِنْ حيث النَّظر لا يَزيدُ النَّاظِرَ إلاَّ الحَيْرَةَ، وإنما يَعْلَمُ بإعْلامِ الحقِّ على الوجه الذي يَلِيقُ بجلاله لمن اختصَّهُ مِنْ عِبادِهِ.

(1) أورده الآلوسي في روح البيان، تفسير سورة الأنعام، آية 110 [7/ 258].

فمن قال: إنَّ الحقَّ ـ جلَّتْ عَظَمَتُهُ ـ يُعْرَفُ بالدَّلِيلِ فإنه يَضْرِبُ في حديدٍ بارِدٍ، ومِنْ هذا قالَ مَنْ قالَ: «العِلْمُ حِجابٌ» يُريدُ به العِلْمَ النَّظريَّ.

فأهلُ الله عَلِمُوا الحق بإعلامه تعالى، لِكَوْنِ الحقِّ علَّمَهُمْ، كما كان سَمْعَهُمْ وبَصَرَهُمْ.

ومثل هؤلاء لو تصوَّرَ منهم نظرٌ فكريٌّ لكانَ الحقُّ عينَ فِكْرِهِم، لكن لا يتصوَّرُ، فمَنْ يكونُ مَشْهَدُهُ هذا أنَّىٰ يكونُ له فِكْرٌ، بل هو مَعَ الفَهْمِ عن ضُرُوبِ فهم الحقِّ مِنْ غيرِ تَفَكُّرٍ، لاستهلاك صفاته في صفات الحقِّ، ومَنْ كان فَهْمُهُ عن تَفكُّرٍ فما هو مِنْ أهل الذَّوقِ، جعلَنَا الله ممَّن ذَاقَ لذَّةَ الوِصالِ، وفازَ بالتَّعرُّضِ لِنَفَحاتِ لُطْفِهِ في الغُدُوِّ والآصالِ.

❊ ❊ ❊

مقدمة في الأسماء الإلهيَّة

قالَ الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعرَاف: الآية 180].

اعْلَم أنَّ الأصل في الذَّاتِ المُقدَّسةِ ـ تبارَكَت وتعالَتْ ـ التَّعرِّي والتَّنزُّهُ عن الصفات، وإطلاقه عن التقييد بالصفات، وغِناهُ عنِ العالَم، لأنَّ كلَّ اسْم وصفة يقتضي كوناً من الأكوان، ولا ظهورَ لها إلاَّ بها، فلو كانَ في الوجود ما تطلُبُ الأسماءُ ظهورها لزمَ منه قِدَمُ العالَم، وقد صحَّ في الخبرِ الوارِدِ: «**كان الله ولم**

ومنها: الكِنايات، مثلُ «الفَالِقُ» و«الجَاعِلُ».

ومنها: أسماءُ النِّيابَةِ مثلُ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النّحل: الآية 81]، وهو الوَاقِي ـ عزَّ شأنُهُ ـ والسِّرْبالُ نابَ منه منابَةً في الوِقَاية.

ومنها: ما لَم يُطْلق عليها أدباً وإنْ نطَقَ القرآنُ بها، مثلُ: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ﴾ [التّوبَة: الآية 79]، ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: الآية 54]، و﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البَقَرَة: الآية 15]، و﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ١٦﴾ [الطّارق: الآية 16]، فالتَّحْجِيرُ رَفْعُ التَّحجير في إطلاق الاسم عليه سبحانه بالنسبة إليه لا بالنسبة إلينا، فلا يُسمَّى إلاَّ بما سمَّى نفسه وما مَنَعَ منه ذلك مَنْعٌ أدَباً.

وكذلك الأفعالُ، فإنَّ مِنَ الأفعال ما تعلَّق الذَّمُ بفاعِلِهِ كالشِّرْكِ والظُّلْم والفَسادِ، ومنها ما تعلَّق الحَمدُ والمَدْحُ بفاعِلِهِ كالإحسانِ والصَّبرِ والشُّكرِ، وأخْبَرَ عن نَفْسِهِ تعالى بأنه يُحِبُّ المُتَّصِفِينَ بما يتعلَّقُ به الحَمدُ، ويُبْغِضُ الموصوفين بما يتعلق به الذَّمُ، فليس لأحدٍ أنْ يتصرَّف في إطلاقه الأسماءِ عليه أو نِسْبَةِ الأفعال إليه سبحانه إلاَّ بما أطْلَقَ له التصرُّفَ فيه، ومَعْرِفَةُ التَّصاريفِ ثَبَتَتْ بإعلامه شرعاً لا عقلاً، والحقُّ تعالى ما نَسَبَ إلى نَفْسِهِ مِنَ الأسماءِ الحُسنى دون غيرها مِنَ الأسماءِ، وإنْ كان الكلُّ أسماءهُ في الحقيقة إلاَّ أنَّه عرَاهَا عَنِ النَّعْتِ إلاَّ بالحُسْنى.

وأكْمَلُ الخَلْقِ وأعلمُهُم بحقائق أسماء الله وصِفاته الرُّسُلُ، لأنهم ما عَلِمُوا إلاَّ بإعْلامِ الحقِّ لهم، وصحَّ عن المُخْبِرِ الصَّادِقِ صلوات الله عليه: «**إنَّ لله تعالى تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسماً مائَةً إلاَّ واحِدَةً، مَنْ أحْصاهَا دَخَلَ الجنَّة**»[1] وقوله: «**مائَةً إلاَّ واحِدَةً**» هو على وجه التأكيد كقوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البَقَرَة: الآية 196].

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار و. . .، حديث رقم (2585) [2/ 981] ورواه مسلم في صحيحه. باب في أسماء الله تعالى. . .، حديث رقم (2677) [4/ 2063] ورواه غيرهما.

فتقييدُهُ على التأكيد عند أكثر العلماء، وهو أبعدُ من التصحيف في الكتابة لأَنَّ التسعة والتسعين يُشبِهُ في الكتابة السبعة والسبعين والتسعة والسبعين والسبعة والتسعين، فأزال الالتباس بالقيدِ.

وأما قوله عليه السلام: «مَنْ أحْصاهَا»، الإحصاءُ عندَ عُلماءِ الظَّاهِرِ بمعنى العِلْم، وهو معرفَةُ ألفاظِهَا ومعانيها، والعثور على حقائق نتائجها وآثارِها. وعند أهلِ الله الاتِّصافُ بها، والظهور بحقائقها، والعبور على مدارِجِ نتائجها، بحيث يَصْدُقُ عليهم إطلاقُ أعيانِها، كما أنَّه تعالى وصَفَ نَفْسَهُ بأنَّه: ﴿خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 150]، و﴿خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ [الأعرَاف: الآية 87]، وخير الحافظين بقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ﴾ [الأنبياء: الآية 82]، ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: الآية 114]، و﴿أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [الصَّافات: الآية 125]، وأخْبَرَ عن نبيِّهِ أنه: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التّوبَة: الآية 128].

ففي أمثالِ هذه التَّنبيهات مجالٌ مُتَّسَعٌ لأهل العناية مِنْ أرْبابِ القلوبِ وأصحابِ الكَشْفِ والشُّهود، يتَّصِفُون بحقائقها، ويَنْصَبِغُونَ بِصَبْغِ آثارِها في سلوكهم على مناهج السُّنن المشروعة، وسَيْرِهِمْ على مدارِجِ طريقة أهل الولاية، والتخلُّق بالأخلاق الإلٰهيَّة، ويصيرُ ذلك قُرْبَةً لهم إليه، ووسيلة لدَيْهِ.

نسألُ الله الكريمَ المنَّانَ أنْ يجعلنا مِن أهله، فإنَّه ما وَالَى مَنْ وَالَى إلاَّ مِنْ الهَيبَةِ إلٰهيَّةٍ.

* * *

شرح

الأسماء الحسنى

هُـــوَ

اعلم أنَّ الـهُوِيَّةَ سِرُّ الإلٰهيَّة، وهو عبارة عن موجودٍ أزلي مُتفرِّدٍ بصفة الجلالِ والكمالِ، وهذا أوّلُ كلمةٍ دعا الله إليها عباده بقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية 1]، فَتَمَّ بها الكلام، ثم قال: ﴿ٱللَّهُ﴾ وهو الاسمُ الجامِعُ الخاصُّ الدَّالُّ على الذَّاتِ الأحدِيَّة بجميعِ أجزائِهِ الحَرْفِيَّةِ وحقائقِهِ الوَضْعِيَّةِ، وسِرُّ الـهُوِيَّةِ فيهِ، إلاَّ أنه لا يَظْهرُ إلاَّ بعد تَجَرُّدِهِ عن قيود أحكامِ الحروفِ المُرَكَّبةِ، لكمَالِ تفرُّدِهِ عن الأغيارِ، وقُوَّةِ تنزُّهِهِ عن حقائق الآثار.

ثُمَّ إنَّه وإن كان مُركَّباً من بعض الوجوه من الهاءِ والواوِ، ولكنَّ الأصلَ في هُوَ الهاء، فإنَّ الواو ساقِطةٌ في آخرِ كلمةِ إلَيهِ وفي التَّثنية والجمعِ كقولك: «هما» و«هُمْ»، فبقي الهاءُ يدُلُّ على الأحديةِ المُطْلقةِ عند استهلاك الصفات، وسقوط النِّسَبِ والإضافات.

واعلم أنه للهاءِ في الهُوِيَّةِ مرتَبَةُ الأوليَّة، وفي الإلٰهيَّة مرتبة الآخَرِيَّة، فلها البداية في الهُوِيَّةِ والنِّهايةُ في الإلٰهيَّة، مُشيرةً إلى أسرارٍ عظيمة، ومعانٍ جليلةٍ:

منها: ما يَهُبُّ مِنْ معانيها نسماتُ الرَّجاء على قلوب أهل الكشفِ، وهو أن حركَةَ الموجود دَوْرِيَّةٌ، فعينُ النهاية عينُ البداية، فكما كان السَّبْقُ للرحمة كانت المآلُ إليها.

ومنها: جلالَةُ الهُوِيَّةِ ورَفْعَتُها على جميع الأسماء، وهي أنَّ أصل الهاء التي هو ضميرُ الهُوِيَّةِ الذاتيَّة إنما هو الرَّفع، إشارة إلى أنَّ كمال الرَّفْعَةِ المُطلقةِ ذاتيَّةٌ، وإنما يَرِدُ عليها وَارِدُ النَّصْبِ والجَرِّ من حيث قابليتها للحركات

الإعرابية، إشارة إلى جمعيَّة قابليَّتِهِ جميعَ النعوتِ والأحكامِ والصفات والنِّسَبِ والإضافات واللَّوازم واللَّواحق والعرضيات. والنقطة الرَّفيعة التي هي أصلها استلزمَتِ الواو أُخْتَ الضَّمَّةِ، ولها ضميرُ الجمعِ في العلوم العربية، كذلك لها الإحاطة والشُّمول بخصوصيات الحروف في مراتِبِ المخارج. والواوُ باطن الهاء وحرَكَتُها عكسُ حركة الهاء، وكلاهما دوريَّة. فإنَّ حركة الهاء ومَخْرَجَها من باطن الصدر بِقُرْبِ القلب عند أهلِ الكشفِ يمتدُّ بها النَّفَسُ. فيَمُرُّ على مخارِجِ الحروف كلها حتى ينتهي إلى ظاهِرِ الشَّفتين، ثم يعودُ عوداً سريعاً كالبرق إلى ما منه بدأ، مُنْصَبِغاً بأحكام الحروف كلها في دورتها الجمعيَّة الإحاطيَّة، وحركة الواو عكس حركة الهاء، إذ يبتدىءُ ممَّا بين الشَّفتين، ثم يهتدي إلى الصدر، فيمرُّ على مخارج الحروف كما مرَّ، ثم يعود إلى ما منه بدأ، وحركة الهاء من عالَمِ الغيب إلى الشَّهادة، لما يقتضي ذاتُها من مرتبة المُبْتَدَائية، وحركةُ الواو من عالَمِ الشَّهادة إلى الغيب، فلهُما الإحاطة والشُّمول على حقائق أعيان الحروف في الدُّروج والعُرُوج في مراتب المُبْتَدَائية والمُعادِيَة، وهما مُنْطَبِقان حقيقة ومعنى، ينطبق أحدهما على الآخر انطباق أوَّل الدائرة على الآخر، ولهما جمعيَّةُ حقائق الحروف المقدَّسة الروحانية كلها التي هي موادُّ الأسماء الإلٰهيَّة إذا تَرَكَّبَ بعضها على بعض على اختلاف أوضاعها.

ومن نتائج تركيبها وآثار جمعيَّتها لأصحاب العلوم الروحانيَّة تصرُّفاتٌ في العوالِمِ الجسمانية والروحانية والملكوت السُّفليَّة والعُلْوِيَّةِ.

وكما أنَّ ظاهِرَ النَّفَسِ الإنساني مادَّةُ الحروف الملفوظة كلها، كذلك ظاهِرُ النَّفَسِ الرَّحماني مادَّةُ حروف الوجود، وهو قَيُّومُ الكُلِّ، لا إلٰهَ إلاَّ هو، سبحانه أن يكون معه غيره، وهو العزيز الحكيم.

ونُقِلَ عن الجُنيد ـ قُدِّسَت أسرارُهُ ـ «أنَّه عَطَسَ رجُلٌ بِحَضْرَتِهِ فقال: الحَمدُ لله، قال الجنيد: قل كما قال الحقُّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: الآية 2]، فقال الرجل: مَنِ العالَمُ حتى يُذْكَرَ مع الله؟ قال: الآن»، فقال: وإنَّ المُحْدَثَ إذا قُرِنَ بالقديم لم يبق له أثر.

فالأوَّلُ: مقامُ الفاني في الله، الغائِبِ عن رؤية حجابيَّاتِ الكَثْرَةِ، الهائِمِ في يْـدء الغَيْرَةِ.

والثاني: مقامُ المُحَقِّق الكامل الباقي ببقاء الحقِّ بعد تَعَدِّيهِ أطوار المراتب ـتبعة في الفناء وتحقُّقه بحقيقة ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القَصَص: الآية 88] ـزلاً وأبداً، لأنه لم يكن شيئاً مذكوراً، وما كان له في نفسِ الأمر وجود حتى يقـ إنه فنىٰ، بل وجود الفناء مُتوهَّمٌ مُتخَيَّلٌ، فزالَ الخَيالُ لِكَشْفِهِ عن حقيقةِ ـحـ، ومُعايَنَتِهِ أنَّ الفانيَ فانٍ في كلِّ حال، والباقي باقٍ لا يُقالُ، فحينئذ يقول ـــن الحق: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: الآية 2] وهو المُعَبِّرُ عن ـسِر الحقيقة الجمعيَّة الكماليَّة على مراتب الوجود، والله الهادي.

* * *

اللَّـــــه

الذي له القُدْرةُ والاختراعُ والخَلْقُ والأمرُ، الجامِعُ للذَّاتِ والصفات والأفعال.

اعلم أنَّ شأن هذا الاسم عظيمٌ، وأمرُهُ جليلٌ، ليس لِعُيُونِ الأفهامِ والعقول إلى مشاهدَةِ أسرارِهِ سبيلٌ، وليس للقُوَّةِ البشريَّةِ أنْ يَسْلُكَ طريقَ البحْثِ والتَّفتيش في حقائق أسرار الإلٰهيَّة، والاطِّلاع على خفايا مملكةِ الفَردانيَّة، وليس لأهل القُربِ مِنَ الذَّاتِ إلاَّ الدهشة والحَيْرَةُ، يتردَّدون بين اليأسِ والطَّمعِ، إنْ نظروا إلى هيبة جلالِهِ يَئِسُوا، وإن نظروا إلى أنْسِ جمالِهِ طَمِعُوا، فلولا أُنْسُ الجمال لَتَقَطَّعَتْ أوصالُ العارفين دهشةً، ولولا طمعُ الوِصالِ لذابَتْ قلوبُ المُحِبِّين حَسْرَةً.

وإني مُشيرٌ بما مَنَّ الله سبحانه على عبده ـ فإنه المُفْضِلُ المَنَّانُ يَمُنُّ على مَن يشاء بما يشاء ـ إلى بعضِ ما يُمكن بَثُّهُ مِن أسرار هذا الاسم بجلالَتِهِ تبارَكَتْ وتعالَتْ.

منها: حقائِقُها الحَرْفِيَّةُ المُشيراتُ إلى الأسرار الكَشْفِيَّةِ:

اعلم أنَّ هذا الاسم عند أهل التحقيق مُرَكَّبٌ من خمسة أحرُفٍ رَقماً وهي ستَّةٌ لفظاً، إشارة إلى إحاطة الذَّاتِ المُتعالية العوالِمَ الخمسة المحسوسة والجهات السِّتة المُختلفة وسَدِّ طُرُقِ الأبْنِيات، وأوَّلُها الألِفُ، وفيه إشاراتٌ:

الإشارة الأولى منها: اختفاؤُها في الهمزَةِ لفظاً كخفاءِ الهمزة في الألف رقماً، إشارة إلى خفاءِ مظاهِرِ الأكوانِ في الغَيْبِ المجهوْلِ أولاً، كاخْتِفاءِ أسرار الذَّاتِ الإلٰهيَّة وحقائِقِ الصِّفاتِ الأزلِيَّة في رُقُومِ المظاهِرِ أخيراً.

الإشارة الثانية:

ومنها: أنَّ الألفَ هو عينُ النَّفَسِ المُمتدِّ من باطن الصدر، المُتعيَّن في جميع درجات المخارج الحَرْفِيَّةِ، الظاهر بصور الحروف كلها، إذ به كانت قيامُها من حيث قيُّوميَّته في عالَمِ الحروف، فهو هَيُولَىً لحقائق الصور الحَرْفِيَّة، وظواهر الحروف صور تفصيلية له، وهي في أحديَّة النَّفَسِ عَيْنُهُ، غير أنَّ كلاً منها يمتاز عن غيرها في درجتها من درجات المخارج، كذلك امتداد النَّفَس الرَّحماني وإحاطَتُه بمراتب الكائنات ونفوس أفراد الممكنات من العلويَّات الرَّوحانيَّات والسِّفليَّات الجسمانيَّات، فإنَّ الكلَّ صورُ كلمات الله التي لا نفادَ لها، وتنوُّعات تجليَّاته، والمُتَغَيِّرُ في حروف أعيان مراتب الوجود، والظاهر في مظاهر الأكوان بحسب قابلياتها وخصوصياتها، والكلُّ في قبضته، ووجودهم فيه، وقيامهم به، وصدورهم منه، ورجوعهم إليه: **«وأنَّ المَلأَ الأعْلَى يَطْلُبُونَهُ كما يَطْلُبُهُ المَلأُ الأسْفَلُ»**[1]، **«وهُوَ معهم أينما كانوا»**[2]، **«وأقْرَبُ إليهم مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ»**[3].

الإشارة الثالثة:

ومنها: مراتب النَّفَسِ في إظهار الحروفِ:

اعلم أنَّ للنَّفَسِ الإنساني ثلاث مراتب:

إحداها: قبل امتداده، وهي مرتبة إجماليَّة وعينيَّة قبل التَّعيُّن، ووجود ظواهر الحروف مندمجة مستهلكة فيها استهلاكاً لا يتميَّز أعيانها ولا يمكن شهودها وعيانُها بل وجود الألفيَّة المُنْشِئة للحروف مُسْتَهْلَكٌ في هذا العالَمِ كاستهلاك صورته في وجود النقطة في عالَمِ الرَّقَم، وكونُ الحروف عينُهُ ككونه عينُ النقطة، إشارة إلى هُويَّة الغيب، وتبايِنِ المُطْلق، وانتفاء الكثرة الوجودية النسبية حيث **«كانَ اللهُ ولَمْ يكنْ معهُ شيءٌ»**[4]، واستهلاك الكثرة الأسمائية والصفاتيَّة في الهُوِيَّة المقدَّسة عن التعيُّن واللاتَّعيُّن.

---

(1) هذا الأثر سبق تخريجه.
(2) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: الآية 4].
(3) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: الآية 16].
(4) هذا الأثر سبق تخريجه.

الثانية: امتداد النَّفس وتوجُّهُهُ بالإيجاد إلى أعيانِ الحروف حالَ تعيُّناته في مخارجها، ورجوعها إلى الباطن عند انتهاء تحقُّق وجود الألفيَّة، وهو النَّفَس الممتدُّ من حيثِ امتداده، إشارة إلى امتداد النَّفَسِ الرَّحماني وتوجُّهه إلى حروف الأعيان حال تعيُّناتها في مراتِبِها، وتنزُّلاتها في مدارجها، ورجوعها إلى بطن عالَمِ الغيْبِ في معادِهَا ومراجِعِها.

ثم هذا الامتدادُ النَّفسي:

إمَّا أن يكون عارِجاً فيُسمَّى بالفتحة، إشارة إلى فتح أبواب الفتوحات الإلٰهيَّة وجذَبَات العناية الربَّانيَّة.

وإمَّا هابِطاً إشارة إلى التنزُّلات الوجودية، ووِرُودِ التجليَّات الربانيَّة في مراتِبِ التَّعيُّنات الإمكانية والحقائق الجسمانية.

الثالثة: تعيُّن مراتب النَّفَسِ في درجات المخارج، وظهوره بصور الحروف، وتشكُّلُه بأشكالِها، وتِعْدادُهُ في عقود مراتب الأعداد بتكرار حقائقه في الامتداد، وسريانه في مراتبها، واتِّصافه بها، وصيرورته عينها، مع تنزُّهه وغناه عنها، إشارة إلى الفَيْضِ الوجودي والتَّحَلِّي الوجوديِّ، طالِعاً من مطالِعِ الغيب اللاهوتيِّ، سارِياً في حقائق التعيُّنات الناسوتيَّة، ظاهِراً بحقائق أحكامها ونتائج آثارها، وهو مع ذلك كله على إطلاقه الحقيقيِّ، وغناهُ الأزليِّ، وتنزُّهه الأبديِّ. كاللون المُطلق فإنه يُسمى في الأبيض بياضاً، وفي الأسود سواداً، إلى غير ذلك على التَّعْيِين والتَّقْييد، وهو مع ذلك على إطلاقه في العين لا في التَّعَيُّن.

الإشارة الرابعة:

ومنها: حركاتُ صورةِ أَلِفِيَّةٍ في عالَمِ الرَّقَمِ، ولها ثلاث اعتبارات:

إحداها: الحركة المستقيمة، وصورة المرقومة الأَلْفِيَّةِ في هذه المرتبة - سواءٌ كانت نازِلَةً من فوق أو صاعِدَةً من تحتِ - إشارة إلى حيطته بالعظمة والكبرياء والقُدرة والجلال في مراتب الأكوان ومجالي الأركان، من قُطَّانِ حضائر المَلأ الأعلى إلى سكَّان حظائر الثَّرَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزخرف: الآية 84]، ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا

بينهما وما تحت الثرى ﴿٦﴾ [طه: الآية 6] ومُساواة النِّسبة الفوقيَّة والتَّحتيَّة إليه عزَّ شأنه.

الثانية: الحركة الممتدة في العرض هو الباءُ، وهو أوَّل معلومٍ ظهر من حضرةِ الوَحْدانيَّة الألِفيَّةِ، وكذلك رُوحُهُ أوَّل مَعْلُولِ رُوحِهِ وهو العددُ، فإنَّ الاثنين أوَّل مَعْلُولٍ للواحِدِ، وهو أول الأعداد ومَبْدَءُ الكَثَرَاتِ، إشارة إلى انتشار مخلات العلوم الخفِيَّة، وانْبِثاثِ الأسرار الخَفِيَّة على صفحات ألواحِ المظاهر الحقيَّة، وفَلَتاتِ ألْسِنَةِ سُكَّان العوالِمِ السُّفليَّة والعُلْويَّة.

الثالثة: الحركة المستديرة، وهي حركةٌ دَوْرِيَّةٌ إحاطيَّة كماليَّةٌ، يتَّصلُ نهايته ببدايته، لاتِّصال نُقْطته الآخرة بنقطته الأوليَّة، إشارة إلى التجليَّاتِ الرحمانيَّة بعد كشف النَّفحات الربانيَّة من مراتب التَّعيُّنات الوجوديَّة ومدارِجِ المظاهِرِ التَّقْييديَّة في إطلاقه الأول، ورجوعها من الشَّهادة إلى الغيب، وعروجها من حضيض النقطة السُّفلى إلى عُلُوِّ فضاءِ النور الأعلى، وذلك:

إما بالمِعْرَاجِ والتَّرَقِّي في درجات الأحوال، والتَّقلُّب في أطوارِ المقامات على قانون طريقةُ أهل الكشف.

وإما بالموت الطبيعي ومفارقة الجوهر النفساني لهذا المَرْكَبِ الجسماني.

وإما بالمُكاشفات البرزخيَّة في المواطِنِ المثالية من طريق النوم المشروطة بطهارة النَّفس من الأخلاق الرديئة والصفات الحجابيَّة ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزُّمر: الآية 42].

الإشارة الرابعة:

ومنها: انفصالُ صورته الحَرْفِيَّةِ الرقميَّة عن صور الحروف كلها في أوائل الكلام. واتِّصال الحروف به في الغاية، إشارة إلى العُلُوِّ والغِنَى، والرِّفْعَة، والعزة الذاتيَّة، وانقطاع نِسْبَةٍ بين المُطْلقِ والمُقيَّد، وعدمِ الرابطة بين اللاتَّعيُّنِ والتعيّنِ. وسَطْوَةِ الغَيْرَةِ الأحدِيَّة، وظهور حقيقة ما للتُّراب وربِّ الأرْبابِ، وافتقار حروف الكائنات به، ورجوع أعيان الموجودات إليه آخراً، ورَفْعِهِ إيَّاها

بالعناية الأزليَّة والكفاية السرمديَّة إلى إطلاقه الحقيقيِّ وجَمْعِهِ الغَيْبِيِّ، عند اضْمِحْلالِ رُسُومِ السَّائِرين، واستهلاك وجود العالَمِينَ، وفناءِ الأعْيانِ الوجوديَّة في الهُوِيَّةِ الغَيْبِيَّةِ الأحدِيَّة الجَمْعِيَّة.

وأما اللاَّمانِ بعدَ الألِفِ:

أحدهما: بِيَدِهِ وهو مَلَكُوتُ كل شيء.

والأخرى: لهُ وهوَ المُلْكُ الذي لله الواحِدِ القَهَّارِ.

فاللاَّمُ الأوَّلُ: إشارة إلى لَوْحِ الحقائق المَلَكُوتيَّة المتصلة بالتَّجليِّ، والتَّحَلِّي بالحُلَلِ الوجوديِّ في مرتبة العيان الشُّهودي، قبل المحسوس الشهاديِّ ونظام المُلْكِ بمشاركة الأجسام والنُّفوس، وقَبُولِها وجود الفَيْضِ الواصِلِ بالتَّجلِّي النَّازل قَبُولاً أحديًّا جُمَلِيًّا، كضَرْبِ السِّكَةِ بلا واسطةٍ كما قال عزَّ شأنُهُ: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ۝٥٠﴾ [القَمَر: الآية 50] ثم إضافة التجليَّات من تلك الحقائق المَلَكُوتية على ما أُدْغِمَ فيها ـ من مراتِبِ عالَمِ الإمكان ودرجات تعيُّنات الأعيانِ ـ وتكميلها بالتطهير عن خُبْثِ النَّقائِصِ، وإيصالها إلى إطلاقه الحقيقيِّ بعد سَرَيَانه فيها.

واللاَّم الثاني: إشارة إلى مجالي الظهور، وآثار تجليَّات المَلِكِ العزيز الجبَّار في سِعَةِ عَرْصَةِ المُلْكِ، وتفصيل ما كان مجملاً من أحكام قُدْرَةِ المالِكِ، وأسراره في حقائق الملكوت وملكوت الملكوت.

وأما سِرُّ إدغام لامِ المُلْكِ في لامِ المَلَكُوت إشارة إلى أنَّ ظاهِرَ القابِلِ مُندرج في باطن المقبول، والشهادة في الغيب، فإنَّ ظهور الظاهر أبداً عن باطنٍ سابق عليه، وإن كان هذا الاعتبار يُعَكَّسُ من وجْهٍ، وهو أنَّ المُلْكَ حامِلٌ للمَلَكُوت، والغيب محمُولُهُ في الشهادة، فلامُ المَلَكُوت من هذا الوجه مُدغَّمٌ في لامِ المُلْكِ، فلا يقدحُ ذلك فيما ذُكِرَ، لكون الأمر دوريًّا كما مرَّ.

[اختلاف العلماء في عَلَميّة لفظ الجلالة (الله) تعالى]

وأما اخْتِلافُ العلماء في عَلَمِيَّتِهِ ووجوهِ اشْتِقاقه فخارِجٌ عن مَشْرَبِ أهلِ الذوق، ولكن نذكر طرفاً منها.

فاعلم أنَّ مذهَبَ أكثر العلماء من أهل الحقِّ وأصحاب الكشف أنَّ هذا الاسم عَلَمٌ للذَّاتِ المُتعالِيَةِ، وأنَّ الله تعالى أقامَ هذا الاسمَ مقام الذَّاتِ موضوعاً لجميعِ الأسماء والصفات، وأضاف سائِرَ الأسماءِ الحُسْنى إليه، وحمَلَهَا عليه بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: الآية 180] وحَمَلَ هذا الاسم على هُوِيَّتِهِ الغيبيَّة، ووضعه موضِعَ المُسمَّى، فقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [التوبَة: الآية 129] إشارة إلى نفي ما يَسْتَحيل كونُهُ، وإثباتِ ما يستحيل فَقْدُهُ.

وأنْكَرَ المُعْتَزِلَةُ والأشاعرة وطائفة من علماء العربيَّة عَلَمِيَّته وقالوا: أنَّ وضْعَ الاسم العَلَمِ متوقِّفٌ على معرفَةِ حقيقة الذَّاتِ، وذاتُهُ غير معلومة للخَلْقِ، فوضْعُ العَلَمِ له مُحالٌ.

وأُجيب عنه: بأنه وإن لم يكن ذاتُهُ معلومة للخَلْقِ، وليس لهم أن يضعوا له اسماً عَلَماً تعليماً، فلا خلاف أنَّ ذاتَهِ تعالى معلومة له، ولا يمتنعُ عليه أن يضع لذاته تعالى اسماً عَلَماً، تعليماً لِعِبادِهِ على ألْسِنَةِ رُسُلِهِ وأوْليائِهِ.

[قول مَن أنكر عَلَميّة لفظ الجلالة (الله) تعالى]

ومَنْ أنْكَر عَلَمِيَّةَ هذا الاسم قال باشتقاقه.

فقال بعضهم: إنَّه مُشتق من الْوَلَهِ، وهو شِدَّة المحبَّة، الأصل فيه وَلاهُ فأُبدِلَ الواو همزة، وأُدخلت لامُ التَّعريف، وأُدغمت في لامِ الأصلِ، وفُخِّمَت للتعظيم، فقيل الله بمعنى: أنَّه تعالى هو المحبوب الحقيقيُّ الذي يُولَهُ فيه العارِفُون، ويَتَوَلَّهُ في جمالِهِ العالَمُونَ، فيَشْتَدُّ به وَلَهُهُم به، وتأَلُّهُهُمْ فيه، وتشوُّقُهُم إليه، قال جلَّت عَظَمَتُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرة: الآية 165].

وقيل: إنَّه مأخوذ من ألِهَ يَأْلَهُ إذا فَزِعَ ولَجَأَ، لكونه تعالى مَفْزَعَ ومَلْجَأَ كُلِّ شيءٍ، وهو المُجيرُ الذي به النَّفِيرُ، وإليه المَفْزَعُ والمَهْرَبُ للخَطِيرِ والحَقِيرِ.

[اختلاف العلماء في عَلَميّة لفظ الجلالة (الله) تعالى]

وأما اخْتِلافُ العلماء في عَلَمِيَّتِهِ ووجوهِ اشْتِقاقه فخارِجٌ عن مَشْرَبِ أهلِ الحق، ولكن نذكر طرفاً منها.

فاعلم أنَّ مذهَبَ أكثر العلماء من أهل الحقِّ وأصحاب الكشف أنَّ هذا الاسم عَلَمٌ للذَّاتِ المُتعالِيَةِ، وأنَّ الله تعالى أقامَ هذا الاسمَ مقام الذَّاتِ موضوعاً لجميعِ الأسماء والصفات، وأضاف سائِرَ الأسماءِ الحُسْنى إليه، وحمَلَهَا عليه بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: الآية 180] وحَمَلَ هذا الاسم على هُوِيَّتِهِ الغيبيَّة، ووضعه موضِعَ المُسمَّى، فقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [التوبة: الآية 129] إشارة إلى نفي ما يَسْتَحيل كونُهُ، وإثباتِ ما يستحيل فَقْدُهُ.

وأنْكَرَ المُعْتَزِلَةُ والأشاعرة وطائفة من علماء العربيَّة عَلَمِيَّته وقالوا: أنَّ وضْعَ الاسم العَلَمِ متوقِّفٌ على معرفَةِ حقيقة الذَّاتِ، وذاتُهُ غير معلومة للخَلْقِ، فوضْعُ العَلَمِ له مُحالٌ.

وأُجيب عنه: بأنه وإن لم يكن ذاتُهُ معلومة للخَلْقِ، وليس لهم أن يضعوا اسماً عَلَماً تعليماً، فلا خلاف أنَّ ذاتَهِ تعالى معلومة له، ولا يمتنعُ عليه أن يضع لذاته تعالى اسماً عَلَماً، تعليماً لِعِبادِهِ على ألْسِنَةِ رُسُلِهِ وأوْليائِهِ.

[قول مَن أنكر عَلَميّة لفظ الجلالة (الله) تعالى]

ومَنْ أنْكَر عَلَمِيَّةَ هذا الاسم قال باشتقاقه.

فقال بعضهم: إنَّه مُشتق من الْوَلَهِ، وهو شِدَّة المحبَّة، الأصل فيه وَلاهُ فقُلِبَت الواو همزة، وأُدخلت لامُ التَّعريف، وأُدغمت في لامِ الأصلِ، وفُخِّمَت للتعظيم، فقيل الله بمعنى: أنَّه تعالى هو المحبوب الحقيقيُّ الذي يُولَهُ فيه العارفون، ويَتَوَلَّهُ في جمالِهِ العالَمُونَ، فيَشْتَدُّ به وَلَهُهُم به، وتأَلُّهُهُمْ فيه، وتشوّقهم إليه، قال جلَّت عَظَمَتُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرة: الآية 165].

وقيل: إنَّه مأخوذ من ألِهَ يَأْلَهُ إذا فَزِعَ ولَجَأَ، لكونه تعالى مَفْزَعَ ومَلْجَأَ كُلِّ حيٍّ. وهو المُجِيرُ الذي به النَّفِيرُ، وإليه المَفْزَعُ والمَهْرَبُ للخَطِيرِ والحَقِيرِ.

وقيل: إنه مأخوذ من قول القائل: أَلَهتُ بالمكان، أي أقَمْتُ به، وهذا كناية عن الدَّوامِ والبقاء الذَّاتي والإقامة والثُّبات على ما يقتضي ذاتُهُ المُتعالية من إضافة أنوار الوجود من حضرَةِ الرَّبانيَّة على أعيانِ المَرْبُوبات بمُقتضى الكَرَمِ والجُودِ.

وقيل: إنه مُشتقٌ من الإلَهَةِ، وهي العِبادَةِ من حيث أنه المعبودُ على الحقيقة بكلِّ مكانٍ، والمَسْجُودُ في كل زمانٍ وأوانٍ في كلِّ ما لله يَسْجُدُ ويَعْبُدُ ممَّا يُعْقَلُ ويُشْهَدُ ـ سواءٌ عَرَفَهُ العابِدُ والسَّاجِدُ أوْ لم يَعْرِفْهُ، قَصَدَهُ أو لم يَقْصُدْهُ ـ لأنه تعالى قضى وأمَرَ أن لا يعبدوا إلاَّ إيَّاه.

وقيل: إنَّه مُشْتَقٌ من الإلٰهِيَّةِ، وهي المَقْدَرَةُ على الإيجاد والاختراع، وهو لقَادِرُ بِالذَّاتِ، قديرٌ على إبْدَاعِ المُبْدَعات، واختراع المُخترعات، وإيجاد الموجودات من الأجناس والأنواع، المعقولات والمحسوسات إلى ما لا يتناهى من أعيان مراتِبِ المُمكنات، فلا غاية لشؤُونِهِ، ولا نهاية لتجلِّياته.

وقيل: إنَّه مُشتقٌ مِنْ لاَهَ يَلُوهُ إذا احتجَبَ، وهو تعالى مُحتجب بِرِداءِ كبريائه وكمَالِ عَظَمَتِهِ عن العُقولِ البشريَّة، والمَدَارِكِ الفِكْرِيَّة، والإحاطَةِ العلمية، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: الآية 103].

وقيل: إنه مشتق من لاَهَ يَلِيهُ أي: ارتفع، إشارة إلى أنَّ الرِّفْعة الحقيقية له تعالى بالذات، وإلى إطلاقه عن التقييد بِرَفْعه المكان والمَكَانَةِ، لكونه عزَّ شأنُهُ مُعْطِياً للرِّفْعَةِ، وهو الرَّفِيعُ الرَّافِعُ، ولهُ الرَّفْعَةُ الذَّاتِيَّةُ بالذَّاتِ، والمرتبة والشَّرَفُ على كل ما سواهُ مِنَ الموجودات.

وقيل: إنه مشتقٌ من وَلِهَ الفصيلُ بأُمِهِ إذا وَلَعَ، وذلك أنَّ الخلائِقَ مُولِعُونَ بالله في التَّضرُّعِ إليه عند الشدائد، والسُّؤَالِ عنه في كلِّ حال.

وقيل: الأصلُ في هذا الاسم هَاءُ الكِتابَةِ، إشارة عن غَيْبِ ذاتِهِ وهُوِيَّتِهِ المُطْلقة، ثم زِيدَ فيه لامُ المُلْكِ، إشارة إلى أنه تعالى مالِكٌ، والكُلُّ مُلْكُهُ: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [طه: الآية 6] ثم زيد

على لام المُلْكِ لامُ التَّعريفِ نَفْياً، لإمكانِ وقوعِ الشَّرْكة، إشارة إلى أنه تعالى متفرِّدٌ بالعَظَمَةِ والكبرياء، مُتعَزِّز بالقُدْرةِ والبَهاءِ، لا مُشِيرَ له في سلطانه وحُكْمه، ولا ظَهِيرَ له في إنْفاذِ أحكامِهِ وتصاريفِ أموره في مُلْكِهِ.

وقيل: إنه مشتقٌّ من ألِهَ يَأْلَهُ إذا تحيَّر، إشارة إلى حَيْرَةِ عقول أُوْلِي الألبابِ في مبادِي سُبُحاتِ جلالِهِ وسُطُواتِ إشراق أنوار كبريائه، وهذا الوجه هو مركز دائرة الوجوه كلها، لِمَا اختصَّ هذا الاسمُ مِنَ الأحوال بالخَيْرَةِ والعِبادَةِ والرِّفْعة، وهي التنزيه ـ وهو رَفْعَتُهُ عن التَّشْبيهِ لِخَلْقِهِ ـ والتَّنْزِيهُ يؤدِّي إلى الخير، لأنَّ غاية التنزيه إثباتُ النِّسَبِ، وهي الصفات الكماليَّة التي يتوقَّف عليها وجودُ أعيانِ المظاهر.

فإن قال القائل: إنَّ تلك النِّسب أمور وجوديَّة زائدة على ذاتِهِ تعالى، فقد صرح بأنه لا كمال للذَّاتِ إلاَّ بها، وأنَّ ذاتَهُ كان ناقصاً عند ظهورها، كاملاً بالزائِدِ الوجودي.

وإن قال: هي هو ولا وجود لها، أو إنما هي نِسَبٌ، والنِّسبُ أمور عدمية. فقد جعل للمعدوم أثراً في الوجود.

وإن قال: ما هي هو ولا غيره، كان قولاً بلا روح وكلاماً لا معنى لها، يدل على نَقْصِ عقْلِ القائِلِ.

وإن سكَتَ النَّاظر ولم يقل شيئاً، فقد عطَّل القُوَّة النَّظَريَّة، فإذا عجِزَ العقلُ عن الوصول إلى العِلْم بشيء من هذه الأسرار لم يبق الطريق إلاَّ الرجوعَ إلى الشرع. ولا يُقْبلُ أحكامَ الشرع إلاَّ بالعقل، لأنه الأصل وقد عَجِزَ، فالنَّاظِرُ عن معرفة الشرع وثُبُوته أعْجَز.

فإن تعامَى عن النظر، وقَبِلَ قول الشَّارعِ إيماناً بأمْرٍ ضروري لا يقدرُ على دفعه بعد أن يسمع الشارع، يُنْسِبُ إلى الحقِّ أموراً، يقدحُ فيها أدِلَّته النظريَّة فيحتاج إلى التأويل، فإن تأوَّلَهُ ليَرُدَّهُ إلى النظر العقلي فهو عائد إلى عقله، فيستدل بوجود الحق سبحانه على وجوده، وثَبَتَ أنَّ الله تعالى لا يُدْرَكُ بالقياس، فغاية تنزيه المُنَزِّهِ وقد أدَّاهُ إلى الحَيْرَةِ، وصارت الحيرة مركزاً ينتهي إليها الدليل العقلي والشرعي، وكذلك العبادة وهي التي كُلِّفَ بها، والتكليف لا يكون

إلاَّ على مَنْ له الاقتدارُ على ما كُلِّفَ به وأُمِرَ، والأفعالُ مُنْتَفِيَةٌ عن المخلوق بقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصَّافات: الآية 96]، والشيء لا يُكلِّف نَفْسَهُ.

ثم لا يخفى أنَّ الحق ـ تعالى كبرياؤه ـ خاطَبَ عِبادَهُ، فأمَرَهُمْ ونَهَاهُمْ، ولا بد من محلٍّ يقبلُ الخطاب، فأثْبَتَ الأفعال للمخلوق من هذا الوجه بما يقتضي قابليته، فنفى من وجه، والنفيُ والإثبات مُتقابلان، فرمَاهُ أيضاً في الحَيْرَةِ، فدرجاتُ عُلُومِ العلماء بالله تدُورُ على مركز الحيرة، ولهذا كان بعض العارفين يقول: يا حَيْرَةً يا دَهْشَةً يا حَرْفاً لا يُقْرَأُ.

واعلم أنَّ مِن اختصاص هذا الاسم وجلالته أنه تعالى عَصمَهُ أن يُسمَّى به أحد غَيْرُ ذاتِ الحقِّ، لكمالِ دلالته على الذَّاتِ الأحديَّة، وإنْ كان لكلِّ اسمٍ إلٰهي دلالةٌ على ذاتِ الحقِّ تعالى، لكنَّ كل اسم من الأسماءِ ـ ما عدا هذا الاسم ـ مع دلالته على ذات الحق يدلُّ على معنى آخَر من إثباتٍ أو سلبٍ، ولم يَقْوَ في أحدِيَّةِ الدلالة على الذَّاتِ قُوَّة هذا الاسم، فإنَّ مدلُولاتِ الأسماء الزَّائدة على مفهوم الذات مختلفة.

منها: أسماء يُفهم منها أعيان الصفات الثُّبوتية كالحَيِّ والعالِمِ والمُرِيدِ والقادِرِ.

ومنها: أسماءٌ يُفْهَمُ منها النِّسَبُ والإضافات كالأوَّلِ والظَّاهِرِ والباطِنِ.

ومنها: أسماءٌ يقتضي الأفعال كالخالِقِ والرَّازِقِ والمُحْيِي والمُمِيتِ.

وليس في الأسماء اسمٌ ينُوبُ مَنابَ كل اسمٍ إلٰهيّ إلاَّ الله، فإذا قال قائلٌ: يا الله، فإنْ كان القائل من أهل الكشف فهو على بصيرة في هذا النداء، وإن يكن غير ذلك، فانظر في حالِهِ عند النِّداء أي اسم يختصُّ بمُرَادِهِ هو الذي يُنادِيهِ القائل بقوله: يا الله، لكون هذا الاسم حَضْرَةُ الأسماء، فمن عَرَفَ الله عَرَفَ كل شيءٍ، ولا يَعْرِفُ الله مَنْ فاتَهُ معرفة شيءٍ من الأشياء، لأنَّ حُكْمَ الواحِدِ مِنَ الأسماءِ حُكْمُ الكُلِّ في الدِّلالةِ على العِلْمِ بالله، والله الهادي.

❋ ❋ ❋

الرَّحْمانُ الرَّحِيمُ

الرَّحْمانُ هو المُفِيضُ للوجودِ والكمالِ الصُّوريِّ على كُلٍّ بحَسَبِ قابليَّاتِ الأعيان كما تقتضي الحِكْمَةُ.

والرَّحِيمُ هو المُفِيضُ للكمال المعنويِّ المخصوص بما أوْجَبَ على نَفْسِهِ للمُتَّقِينَ والتَّائِبِينَ مِن عِبادِه كما ورد في الدُّعاءِ المأثور: «**يا رحمانَ الدُّنيا ويا رَحِيمَ الآخِرَةِ**» فالرَّحمانُ لأهلِ الافتقارِ، والرَّحيمُ لأهلِ الافْتِخارِ.

اعلم أنَّ الرَّحمان سُمِّيَتْ باسمِ المُبالغة لعموم آثارِها، وشُمُول سريانِها، وسِعَةِ مجال تعرُّفاتِها، وأنه لـمَّا انْقَسمت رحمة الله إلى واجِبَةٍ وامتنان، فرحمةُ الامتنان فيضٌ من حَضْرَةِ الرَّحمانِ، وبهذه الرَّحمة ظَهَرَ ما ظهر، وبها حَفِظَ الخَلْقَ، ورزقهم على ما هم عليه، وبها كان مآلُ أهل الشقاء في الدَّار المعمورة بهم إلى الرَّحمة، ومن عموم رحمته وشمول رحَمُوتِهِ سريانُ النَّفَسِ الرَّحماني في ذواتِ الأشخاص ومراتِبِ الأكوانِ وأفرادِ تعيُّناتِ الإمكان، وإن وُجِدَ فيما ظَهَرَ ما يناقِضُ الرَّحمة صورتُهُ عند العموم ـ مثلُ الغَضَبِ والآلام ـ فهو عينُ الرَّحمة من حيث الوجود كشفاً وتحقيقاً، فإنَّ من رحمةِ الحقِّ بالغَضَبِ إيجادَهُ المُغْضِبَ، وإخراجه من العدم إلى الوجود، وإزالته في الموطن الذي غَضِبَ غضباً لم يغضب مثله قبله ولا بعده ـ كما ورد في الخبر ـ رحمةً بعباده، كما كان إيجادُ الغضب رحمة بالغضب، فعمَّتْ سُلطانُ الرَّحمة الإمتنانية ـ التي وَسِعَتْ كل شيء ـ لدخول كل شيء فيها، وهي مَحَلَ سَلْطَنَةِ اسمُ الرَّحمانِ.

ومن عموم هذه الرَّحمة عِظَمُ فضلِ الله على الأشقياء، وإن كان مآلُهُم إلى دار الشقاء، فإنهم يستعذبُونَ العذاب، لأحْكامِ آثارِ سريانِ الرَّحمة فيهم على

الوجه الذي يَلِيقُ بحالِهِم، فإنَّ ظهور الفضل لا يُعَظَّمُ إلاَّ في العُصاةِ وأهل الحَرَامِ، وأمَّا المُحْسِنونَ فما عليهم من سبيل، ومن هذا العموم أضاف الكلَّ إليه مع إسرافهم، فقال عزَّ مِن قائل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزُّمَر: الآية 53]، فنهاهم أن يقطنوا من رحمته، حتى أطْمَعَ إبليس في رحمته من عينِ المِنَّةِ، ولو قَنَطَ لكان زيادة معصية منه، ولكان من سَكَنَةِ النَّار، وحَمَلَ أَوْزَارَ مَنْ اتَّبَعَهُ، فالمحمول منقطعٌ إلى أجَلٍ، لأنها جزاءٌ، والجزاء يُوافِقُ الأعمال، وهو منقطع، ولا انقطاع لفضل الله لأنه خارج من الجزاء الوِفاقِ، ورحْمَةُ الامتنان وسِعَتْ كل شيء، لا تخُصُّ محلاً من محلٍّ ولا داراً من دارٍ، بل هي دارُ الوجود دُنْياً وآخِرَةً.

وأما الرَّحمة الواجِبَةُ لها متعلَّقٌ خاصٌّ بالنَّعْتِ والصِّفاتِ المخصوصة، يظهر فيها آثارُ الرَّحِيميَّةِ، وهي مَجَالي تجلِّيَّاتها ومحَالُّ سُلطانها.

وهذه الرَّحمة داخلة في الرحمة الإنسانية دخول النوع في الجنس، ولذلك قيَّدها الحقُّ بقوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الأعراف: الآية 156]، فأخبر أنه تعالى يرحمُهُم ويُجَزِّبُهم بأعمالهم، فما نالُهُم الرَّحمة منه إلاَّ بما نالَهُ التَّقوى منهم، وهو الجزَاءُ الوَفَاءُ الوِفاقُ.

❊ ❊ ❊

المَـلِـيـكُ

مَنْ مَلكَ قلوبَ العابدين فَأخْبَرَها، ومَلكَ قُلُوبَ العارفين فأحْرَقَها.

هو الذي يُنْسَبُ إليه مُلْكُ السَّماواتِ والأرض ومَلَكُوتُها.

فالمُلْكُ لاسْمِ الظَّاهِرِ، والمَلَكُوتُ لاسم الباطن، وهما وزيران لاسم الملك. فباعتبار نفوذ تصرُّفه في عالَم الشَّهادة هو مَلِكُ المُلْكِ، وباعتبار نُفُوذِ تصرُّفه في عالَمِ الغيبِ مالِكُ المَلَكُوتِ، لأنَّه مالِكُ يومِ الدِّينِ، وهو موطِنُ الجزاءِ حيث كان، والجزاءُ باطِنُ العملِ.

وبتصرُّفِهِ على الإطلاق هو المَلِيك كما ورد في الدُّعاء المأثور: «**يا رَبَّ كُلِّ شيءٍ ومَلِيكَهُ**»[1].

وانعكست الصِّفتان من وجود رُتْبَةِ الحَقِّيَّة، وسَرَتْ في مِرْآةِ قوابِلِ الخَلْقِيَّةِ، فظهرَتْ حقائق آثارهما ونتائج أحكامهما في طريق المُتابعة وامْتِثالِهِ الأوامِرَ، فمن شمل تصرُّفات الأوامر ظاهِرَهُ وباطِنَهُ فهو المؤمنُ، ومن وقع آثار التصرّف في ظاهره سُمِّيَ بالمُنافِقِ.

ومَنْ قَبِلَ التصرف بباطنه دون ظاهره قيل إنه العاصِيُ.

وقد جعلَ الله تعالى للإنسان العينين: البَصَرَ والبَصِيرَةَ لإدْراكِ هاتَيْنِ الصفتين، وأضافَ إلى نَفْسِهِ الأعْيُنَ بلفْظِ الجَمْعِ الدَّالِّ على الكَثْرَةِ، إشارة إلى سريان أحكام اسْمِ البصيرة في أجزاءِ أعيانِ الكونِ، لظهور قيام تصرُّفات الأعيان وتعلُّقها بالرُّكن الشَّديد الذي هو المُتصرِّف الحقيقيُّ عزَّ شأنُهُ.

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح...، حديث رقم (1892) [1/ 694]، ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر ما يقول المرء عند الصباح والمساء، حديث رقم (962) [3/ 242] ورواه غيرهما.

القُــــدُّوسُ

القُدُّوسُ هو المُطَهَّرُ المُنَزَّهُ عن كل ما وُصِفَ به، الذي قَدَّسَ نُفُوسَ الأبرارِ عن أدْناسِ المعاصي، وأخذَ الأشرار بالأقْدامِ والنَّواصِي، وكِلاَ الأمرَيْنِ مِنْ آثارِ أحكامِ قُدْسِهِ ونزاهتِهِ لِمَنْ تدبَّرَ الأمر وفَهِمَ.

اعلم أنَّ الطَّهارة والنَّزاهَةَ مُترَدِّدَةٌ بين مرتبتين: الإطلاق والتقييد، حاكِمَةٌ على كل عين من الأعيان، ظاهرة في مظاهرها، يشهدُ أرباب الشهود آثارها بحسب درجاتهم في الكشف، فإنَّ مِن أهل الله مَن يُشاهِدُ هُوِيَّةَ الحقِّ في مظاهِرِ الممكنات، فيشهَدُ التَّقدِيس لها بوجود الحقِّ وظهوره في أعيانها، وتقديسها بِهِ عمَّا كان يختصُّ بها ويُنْسبُ إليها من الاحتمالات الإمكانية والتغيُّرات الحدُوثيّة والظُّلمات التقييديَّة، ويرى الأمر واحداً بتجلِّيه في الأعيان القابلة الكثيرة على أنَّ كُلاً من أعيانها في أحديَّتِها لا يتغيَّر عينُهُ الوجوديَّة، وإنما يَظْهَرُ بعضُها لبعضٍ ويَخْفَى بعضها عن بعضٍ بحَسَبِ قابلِيَّتِها وخصوصيتها، فكُلُّ عينٍ في خصوصيته وقابليته لشؤُونِ التجلِّيات مُقدَّسٌ عن خصوصية عين أخرى.

ومن أهل الكشف مَن يشهد الحق عين المَظْهَرِ، ويرى أحكام أعيانِ الممكنات ظاهرة في مِرآةِ وجود الحق، فيعُودُ التَّقديس في هذا الشُّهودِ إلى ذاتِ الحقِّ عمَّا ظهر من تغيير أحكام الممكنات في عين الحقِّ، فيشهد الحقَّ مُقدَّساً قُدُوساً عن التغيير في ذاته بتغيُّر هذه الأحكام، كتنزُّهِ نور الشمس عن الانصباغِ عند وقوعه على الزُّجاجات المختلفة الألوان مع شهود الحسِّ النور مُتلوِّناً، وكذلك ظهور المَلَكِ تارَةً في صورة البَشَرِ، وتارة الذَّرِ، وتارَةً بحيثُ يَسُدُّ الأُفقَ لتنوُّعِ الصور عليه بحسب ما يقتضي حال المُدْرِكِ، وهو في ذاته المَلَكِيَّةِ مُنَزَّهٌ عن التَّغْيِيرِ.

السَّــلام

بِسَلاَمَتِهِ عن كل ما نُسِبَ إليه ممَّا كَرِهَ من خَلْقِهِ أنْ يَنسِبُوهُ إليه، ومنه سلامةُ لِعبادِهِ، فلِكُلِّ عينٍ من أعيانِ مراتِبِ الأكوان حظٌّ من آثار هذا الاسم مع اختلاف طبقاتهم وتفاوُتِ درجاتهم، ولا يصلُ إلى جَنَابِ قُدْسِهِ من المجموع إلاَّ من سَلِمَتْ نَفْسُهُ عن الشَّهَوَاتِ، وصَفَى قَلْبُه عن الشُّبهات، فالسَّلامة منه إليه.

وسلامة أهل الحقِّ تنزُّهُهُم عن دَنَسِ الشَّك وظُلْمَةِ الشِّرْكِ جَليّاً كان أو خفيّاً.

وعلامَةُ المُتَّصِفِ بحقائق هذا الاسم أن يكون وقُوراً خَمُولاً مُتَواضِعاً صابِراً على إيذاءِ أهْلِ الغَفْلَةِ، لا يُقابِلُ الغافِلَ، ولا يُنازِعُ الجاهِلَ، ويكون كما وصف الحقُّ سبحانه صاحِبَ هذا المشهَدِ بقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان: الآية 63] إمَّا بالقول أو بالحالِ، فلو أراد صاحب هذا المقام أن يزيد في قوله سلاماً ما اسْتَطَاع، لِعدم اختياره، وعِصْمَةِ الحقِّ إيَّاهُ من كونه تعالى سمعَهُ وبَصَرَهُ وجميع قُوَاهُ، ولو وكَّلَهُ الحقُّ إلى نَفْسِهِ لانْتَظَمَ معه في سِلْكِ الجاهلية، فإنَّ من خاصيَّة الإنسان أنَّه لم يتكلَّم أحداً في أمرٍ من الأمور إلاَّ ويصبغُ بصِفَةِ ذلك الأمر، ولمَّا تحقَّق عند العارف المحقِّق بأحوال المواطِنِ، مِنْ أكثَرَ ما ينطِقُ به الغافلُ الجاهلُ أو يتصوَّرُهُ أو يعتقِدُهُ أمورٌ وهميَّةٌ أو خياليَّةٌ، ليس لها في الحَضْرَةِ العِلْمِيَّة مقامٌ يُضْبَطُ عليه وجودها في حَضْرَةِ الوجود، واطلاعه على حقيقة كلام مثل هذا القائل عَلِمَ عدَمَ بقائها وزوالها، لأنه لا يرى لها حقيقة ولا صورة غير محلِّها أصلاً، فتحقَّق أنه ليس لها ضابِطٌ يُضْبطُ عليه الوجود، وأنها ذاهِبَةٌ من الوجود بذهابِ قول قائِلٍ، فلذلك لا يَلْتَفِتُ إليه بأكثَرَ

مِن أن يقول سلاماً، بخلافِ المُحَقِّق إنَّه لا يتكلَّمُ إلاَّ بما له حقيقةٌ في كل حضـ
من الحضراتِ الثُّبُوتيَّةِ والرَّوْحانِيَّة والوجوديَّة، فحيثُ ما تكلَّم يُشَكِّل كلُّ حر
من حروف المنظومة الدالَّة على تلك الحقائق صوراً روحانية مُسَبِّحَةً لله سـ
محلِّ سَلْطَنةِ القائل، وكُلَّما أَكْثَرَ من تلك الحقائق كَثُرَ جُنْدُ العارِفِ.

❊ ❊ ❊

المُؤْمِـــنُ

المُؤمِنُ بما صَدَّقَ عبادَهُ، وبما يُعطيهم الأمان إذا وَفَّوا بعهدِهِ، وهو مصدرٌ من الأمانِ، معناهُ في حقِّ الله تعالى تصديقُهُ لنفسِهِ، وهو عِلْمُهُ بأنَّه صادق، وعِلْمُهُ بصدق عباده، وليس لأحكام سلطان هذا الاسم محلٌّ إلاَّ الإخبارات الإلهيَّة. إما على سبيل الوحي المسموع من ألْسِنَةِ الرُّسل، وإما على سبيل الإلهام. والكشف لأهل الله، بدوام الحضور والمراقبة مع تجديد النظر في مواقِعِ الأخبار ومصادره، ومعرفة الخطاب الوارد على لسان القائل ـ كانَ مَنْ كانَ ـ ومعرفة موقعه في مراتب الوجود، لينزلوا عليه ولا يتعدُّون به.

ومِنَ الأكابِرِ مَنْ يتعبُ في هذا المقام ويشُقُّ عليه ذلك، فإنه لا يلتفتُ إلى القائل. بل نظرُهُ أبداً إلى مَنْ أنطقَهُ بذلك، وهو الذي أنطق الكلَّ، فيرى ذلك أمانة يأخذها من الله ليؤدِّي إلى أهلها، فتعيَّن عليه أن ينظر إلى ما يُراد، وأين موقعه في المراتب لِيُنزله عليه، ويوصله إلى محلِّه، ليكون ممَّن أدَّى الأمانة إلى أهلها. ومَن كان هذا صفته كان الحامل والمحمول عنه في أمانٍ، وله أجرُ الكامل.

وأكثرُ السامعين من أهل الحجاب يأخذون تلك الحقائق على غير المعنى المقصود. فيلْحقُونها بغير مراتبها، ولا تقبلُهَا المرتبة لعدم المناسبة، وقد حِيلَ بينها وبين المقصود لجهل السامع، وزال عنها مراتِبُ الأمانِ فضاعَ، وعاد نَكَالُ التضييع على السَّامع النَّاقص، كما رجعَ أجْرُ الأمان إلى الكامل، لأنَّ المكافأة على التضييعة، والمُحَقِّقُ إذا لاحظ أمثال هذا الحَظْرِ عَظُمَ تَعَبُهُ عند السامع،

وربما كان المتكلِّم المحجوب مستريحاً لغفلته عن شهود من أنطقه وما ينطق -
والسامع العارف مَتْعُوبٌ.

ومن أهل الحقِّ مَنْ يتَّخذ الحق وكيلاً عند السّماع، فيَكِلُ إليه أمرَ كـ
يَرِدُ عليه عند السّماعِ، ليُنزِله الحق منزلته بعلمه، فيهُونُ عليه ذلك، فالـ
الكامِلُ صاحِبُ الأمانِ، لا لأدائِهِ الأمانة، فهو المؤمن، والله المؤمن، والمؤ
مِرْآةُ المؤمن.

* * *

المُهَيْمِـــنُ

المُهَيْمِنُ هو الشَّاهِدُ العَدْلُ على كل ما في مُلْكِهِ ولديه بكلِّ مالَهُ وعليه، وهو الذي يَعْلَمُ السِّرَّ والنَّجْوَى، ويسمَعُ الشُّكر والشَّكوى، ويدفَعُ الضُّرَّ والبلوى. فمن شَهِدَ هذا المشهَدَ راعى حاله، وحفِظ أوقاته، وعدَّ أنفاسه.

اعلم أنَّ الحقوق دائرة بين المراتب الحقِّيَّة والخَلْقِيَّةِ، فما مِن عينٍ من أعيان مراتِبِ الوجود إلا له حقٌّ وعليه حقٌّ، وكلُّ صاحب حقٍّ لا بد أن يكون الناظر في حقِّه، شاهداً زيادته ونُقصانه، فللَّهِ حقوقٌ على عباده بما يستحقُّ جَنابُ عزته من التَّعظيم والامتثال، ولعباده حقوق على كَرَمِهِ بما أوْجَبَه على نفسه، فالذي تحقَّ على عباده هو الامتثال عند الأوامر والنواهيِّ في الطاعات، والذي لهم هو حصول الدرجات، فما للَّهِ ذاتِيٌّ، وما للعبدِ وضْعِيٌّ.

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية 40].

واختلف القائلون فيما للعبد:

فمنهم من قال: امْتِنان من الحقِّ لِمَا يقتضي جَنابُهُ تعالى من التَّنزيه عن أن يجب عليه شيء.

ومنهم من قال: إنه حقُّ العبد لقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعَام: الآية 54] وهو أعلمُ بنفسه، وأنه تعالى أدخل نفسه تحت الأحكام التي شرعها لعباده، قال تعالى في الحَظْرِ: «**حرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي**»(1)،

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب تحريم الظلم، حديث رقم (2577) [4/ 1994] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم التوبة. . ، حديث رقم (619) [2/ 385] ورواه غيرهما.

وقال في الكِرَاهَةِ: «**وأكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»[1] ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزُّمَر: الآية 7] وقال في الإجابة: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [النِّساء: الآية 133]، وفي النَّدْبِ: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ [البَقَرَة: الآية 197] فلن تكفروه، فوصَفَ نَفْسَهُ بِكُلِّ ما وصفَهُ عباده، ليكون الأمر منه إليه، لانعكاسه ودَوْرِهِ بين الرَّبِّ والمربوب كما ثبت عند أهل الكشف، فالشهادة من الطريقين رُتبة المحصول، له من وجه وعليه من وجه، فكلُّ عينٍ شاهِدٌ بوُجْدانِهِ على كمال المُوجِدِ، وهو شاهِدٌ على الكُلِّ بالإيجادِ، فعينُ الحاصِلِ هو عينُ الشَّاهِدِ، لاتِّصال العكس وقيامه بالحقيقة.

* * *

(1) رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من الثقة بالله في أحواله. . .، حديث رقم (347) [2/ 58]، ورواه أحمد في المسند برقم (26236) [6/ 256] ورواه غيرهما.

العزِيزُ

العزِيزُ هو الغالِبُ الذي لا يُغْلَبُ ولا يُعْجَزُ، والخطير الذي لا يوجد مثله، ولا يُعرفُ كُنهُهُ، وتشتدُّ الحاجة إليه، ويصعبُ الوصول إليه، بل لا يصل إليه إلاَّ به، فمن لاحظ عِزَّ الحقِّ وسُلطانه صَغُرَ الخلقُ في عينه، ولا يجري عليه سلطانُ غيرِهِ، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافِقون: الآية 8].

فهي لله ذاتيَّةٌ، ولرسولِهِ بهِ، وللمؤمنين بهما، وفي ذِكْرِ المؤمنين رائِحَةُ العموم، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ [العَنكبوت: الآية 52].

وفي هذا إشارة إلى شُمُولِ سريان العِزَّةِ، لأن المنع من خصائص العزَّة، فكما أن المؤمن بالعِزَّةِ يمتنِعُ أن يُؤثِّرَ فيه الدَّاعي المُخالفُ الذي يدعوه إلى الكُفْرِ، كذلك الكافر بالعزَّةِ يمتنعُ أن يؤثِّر فيه الدَّاعي الذي يدعوه إلى الإيمان، فالعِزَّةُ هي الحِصْنُ المنيعُ للإرادة، وهي الهُوَا، فإنه ما اتَّبعَ مَنْ اتَّبَعَ إلاَّ بحُكمها، غير أنه اختصَّ اسمُ الهُوَى بما ذَمَّ وقوعه من العبد شرعاً.

ومن علامة تصحيح السائِرِ في هذا المقام أن لا يُؤثِّر فيه أثَرُ الغير أصلاً.

فإن قيل: لا أعزَّ مِنْ نفسِ الحقِّ، وقد أخْبَرَ ـ عزَّ نَفْسه ـ أنه يُجيبُ الدَّاعِي بقوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البَقَرة: الآية 186].

والإجابة لا تكون إلاَّ من تأثير دعوة الداعيِّ في نفس المُجيب.

فاعلم أنه تعالى أمَرَ عِبادَه أن يدعوه، قال جلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ

لَكُمْ﴾ [غافر: الآية 60] فما أمَرَهُمْ بالدُّعاء إلاَّ لإرادته بإجابته لهم، فما أثَّرَ فيه إلا إرادته، وحظُّ كل شيء من هذه الحضرة خصوصيته التي بها يتميَّزُ عن شيء آخر، فالتميُّز المانِعُ أن يكون غير ذلك الشيء عينَهُ هو حَمَاهُ، المُسمَّى بعِزٍّ.

* * *

الجَبَّـــارُ

الجَبَّارُ بما جَبَرَ عليه عِبادَهُ في اختيارهم واضطرارهم، لكونهم في قَبْضَتِهِ.

والجبْرُ إما بمعنى الإكراه، وإما بمعنى الإصلاح للأمور، وإما بمعنى التعظم. فهو أصلح الأشياء بلا علاجٍ، وأمر بالطاعة بلا احتياجٍ، لا يرتقي إلى حميه وَهْمٌ، ولا يُشْرِفُ على أسرار ذاتِهِ فَهْمٌ.

اعلم أنَّ الجَبْرَ على نوعين: ذاتِيٌّ وعَرَضِيٌّ.

فالذاتيُّ هو عن تَجَلٍّ في العَظَمَةِ الحاكِمَةِ على كلِّ نَفْسٍ، ولهذا الجَبْرِ وجهان:

وجهٌ إلى هُوِيَّةِ الغَيْبِ والإطلاق الحقيقيِّ، ويسمَّى **العَظَمَةُ**.

ووجهٌ إلى الخَلْقِ ويُسمَّى **الألوهِيَّةُ**.

فالعَظَمَةُ بَرْزَخٌ بين الهُوِيَّة والأُلوهِيَّةِ، والألوهيَّة برزَخٌ بين العَظَمَةِ والخَلْقِ، فالألوهِيَّةُ في الجَبَرُوتِ الثاني، فتُقابِلُ الخَلْقَ بذاتِهَا، وتُقابِلُ الذَّاتَ بذاتِهَا، ولهذا لها التَّحويلُ في التجليّاتِ الصُوريَّة، فهي البرزَخُ بين الحقِّ والخَلْقِ، فلا عِلْمَ لأحدٍ بالذَّاتِ إلاَّ مِنْ ورائِهَا، فلا حُكْمَ للذَّاتِ إلاَّ بها.

وأما الجَبْرُ العَرَضِيُّ فهو جَبْرُ الخَلْقِ في الخُلْقِ، وهو محمودٌ ومذمومٌ:

فالمحمودُ جَبْرُ الإحسانِ، والمجبور بهذا الطريق إما صاحبُ طَمَعٍ، أو صاحبُ حَيَاءٍ.

فالطامِعُ إذا رأى الإحسان ابتداءً من غيرِ استحقاق طَمِعَهُ ذلك في الزيادة فيطيعُهُ بما يُمكِنُ له، ليكون إحسانُ المُحْسِنِ إليه جَزَاءً وفاقاً، لكراهيَّة المِنَّةِ التي جُبِلَتْ عليه النُّفوس، فهو مُنفَعِلٌ عن جَبْرٍ لا يَشْعُرُ به.

وأمَّا صاحِبُ الحَيَاءِ يمنعُهُ الحياء بما غَمَرَهُ مِنَ الإحسان أن يعترضَ عم المُحْسِنِ في إتيانه وقبُولِهِ لما يُريدُهُ منه المُحْسِنُ، وذلك أيضاً جَزَاءُ الإحسان ليزولَ عنه حُكْمُ المِنَّةِ، وهذا من خلائِصِ النُّفُوسِ.

وأمَّا الجَبْرُ المذمُومُ فهو الجَبْرُ بطريقِ الغَلَبَةِ والقَهْرِ، وصاحِبُهُ مَمْقُوتٌ عند الله، لعدمِ أهلِيَّته واستحقاقه.

فإن قيل: المجبور مثل هذا الجبر في الظاهر، فذلك لضعفه وعدم قُدرته امتناعه على المقاومة، فإنه لا يَقْبَلُ بباطنه أبداً، فلا أثَرَ له إلاَّ في الظاهر بخلاف جَبْرِ المُحْسِنِ فإنَّ له الحُكْمُ والأثَرُ في الظَّاهِرِ والباطِنِ، فلا جَبْرَ أعْظَمُ مِنَ الإحسانِ لِمَن سلك سبيله، وقليلٌ ما هُم.

❊ ❊ ❊

المُتَكَبِّـــرُ

المُتَكَبِّرُ مِنَ الكِبْرِياءِ، هو الذي لا يَقْدِرُ أحدٌ على هَتْكِ سَتْرِهِ، فلا يقهَرُهُ أحدٌ على مُلْكِهِ، ولا أن يُحْسِنَ إليه، لأنه هو الذي بِيدِهِ الإحسانُ، ومنه الغُفْرانُ.

واعلم أنَّ الله تعالى لمَّا وصفَ نَفْسَهُ بأشياء هي في العموم من صفاتِ المُحْدَثَاتِ مثلُ: «**جِعْتُ فلمْ تُطْعِمْنِي، وظَمِئْتُ فلمْ تُسْقِنِي، ومرِضْتُ فلمْ تَعُدْنِي**»[1]، حتى ظنَّ أهلُ الحِجابِ أنها له صفة استحقاقٍ، فأخبر عن نفسه ـ سبحانه وتعالى ـ أنه المُتَكَبِّرُ عن مفهوم هذه الإطلاقات وأمثالِهَا، وإنْ اتَّصَفَ بها مجازاً ووصف بها نفسه، فهو من الأَسرار يَعْلَمُهَا أهلُها، والكبرياء ذاتِيّ له، تعالى عمَّا يقول الظَّالمون والجاهِلُون.

وعلامَةُ استقرار آثارِ هذا الاسمِ في باطن العبد أنْ لا يقع منه مُخالفة الحقِّ ـ ما دامَ العبدُ تحتَ حُكْمِهِ، لغَلَبَةِ استيلاء الصِّفة عليه، فإن وقَعَ دلَّ ذلك على عدم صَوْلَةِ الحاكِمِ، فلا تَظْهَرُ أحكامُ تجليَّاتِ الحقِّ المُتَكبِّر أبداً في نفسِ الطائعِ الموفِقِ، وأما مَنْ أجْرأهُ على خِلافِ الحقِّ ما يشهَدُ من صفات العَفْوِ والمَغْفِرَةِ

---

(1) صحّ عند مسلم بلفظ: «عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عزَّ وجلَّ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت ربّ العالمين، قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت ربّ العالمين، قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا ربّ كيف أسقيك وأنت ربّ العالمين، قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي» باب فضل عيادة المريض، حديث رقم (2569) [4/ 1990] وروى الحديث غير مسلم أيضاً.

ونَهْيِ القُنُوطِ، فما عنده رائحةٌ من صفة الكبرياء والمتكبِّر، فإنَّ المُحَقِّقَ في هذا المشهد لا يخلو عن وَجَلٍ، وكُلَّما ازداد معرفته وعِلْمُهُ بكبرياء الحق ازداد خوفُهُ، فإنَّ وقوعَ المحظُورِ المُقَدَّرِ عليه إذا اتَّفق أن يقعَ منه بحُكْمِ القَدَرِ المَحْتُومِ، فظهور سلطان الغفلة، وامتزاجُ نُورِ العقل والإيمان ـ كما ورد في الخبر ـ لا يأتي فِعْلُ المَقْدُورِ إلاَّ وقلبُهُ وَجِلٌ، لِعِلْمِهِ برُجُوعِ ذلك العقل إلى الحقِّ، من كونِهِ عملاً كانَ أمانَةً عندَهُ، فانْصَبَغَ في هذا المَحَلِّ بما لا يَلِيقُ بِجَنَابِ عِزِّهِ، وهو تعلُّقُ الذَّمِّ به.

وإنْ نظَرَ إلى حقيقة تكوين الفعل عَلِمَ أنه ما تكون حتى قيل له «كُنْ» فيُدْرِكه الوَجَلُ أيضاً، فإنه إذا نَسَبَهُ إلى نفسه كان ممَّن أشْرَكَ، وإنْ نَسَبَ إلى الحقِّ فقد أساءَ الأدبَ، فهذا مِنْ أحكام كِبْرِياءِ الحقِّ المُتَكَبِّرِ في نَفْسِ المُحَقِّقِ، وبهذا قال بعض أهل التَّحقيق: ما كَبَّرَ اللهَ مَنْ عَصَاهُ، وما عَرَفَهُ مَنْ لَمْ يَعْصِهِ.

❊ ❊ ❊

الخَالِقُ

الخَلْقُ هو الإبداعُ والاخْتِراعُ والإيجادُ مِنَ العدَمِ إلى الوجود، فالخالِقُ هو الذي أظْهَرَ الموجودات بقُدْرَتِهِ، وقدَّمَ بعضهم على بعضٍ بإرادتِهِ، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: الآية 54].

والخَلْقُ خَلْقانِ:

الأوَّلُ: خلْقُ تقديرٍ.

الثاني: وخَلْقُ إيجادٍ.

والأمْرُ جبرُوتٌ: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾ [الرَّحمٰن: الآية 20].

فخَلْقُ التَّقدير أمرٌ ربَّانِيٌّ أحَدِيُّ الوجودِ بلا تقدُّمٍ ولا تأخُرٍ، كما أخبرَ الحق عنه بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ [القَمَر: الآية 50]، فعينُ قوله تعالى: «كُنْ» عينُ قَبُولِ الكائنِ في التَّكوينِ في هذه الحَضْرَةِ، ثم يقعُ منها في الوجود ترتيبٌ زمانيٌّ.

ومِنْ سَرَيَانِ حقائِقِ هذه الحَضْرَةِ انعكاسُ القُوَّةِ الخَياليَّةِ في مِرآةِ الأعيانِ، فإنَّ لها التَّصرُّف في مراتِب الوجود من الوجوب والإمكان والامتناع لإلحاقِها المُمْتنِعَ بالواجِبِ في هذا الموطِنِ.

والأعيانُ الثُّبُوتِيَّةُ في حالِ عَدَمِهَا كأنَّها موجودةٌ في حَضْرَتِها، لتكوُنِ الكائِنِ مع قولِ كُنْ، فما عندها مُحالٌ أصلاً، وما حكَمَتْ هذه القُوَّةُ على ما خُلِقَتْ إلاَّ رجَعَ الحُكمُ عليها، لكون المحكوم عليه عينُ نفسها.

وأصْلُ الكشفِ في شهودِ هذا الأمر على درجاتٍ:

منهم: مَنْ يَرَى انقلاب الموصوفِ بالوجُود المُدْرَكِ مِنْ حالِ العَدَم إلى حالِ الوجود.

ومنهم من يقول: بل تعلَّقَ بالوُجُود تَعَلُّقاً ظُهُوريّاً كتعلُّقِ الصُّوَر المرئية وهي في حالِ عدَمِها كما هي ثابتة، فتدرُكُ الأعيانُ بعضها بعضاً في عينِ مرآة وجودِ الحقِّ.

ومنهم من يقول: الأعيان الثَّابِتَةُ على ترتيبها هي على ما هي عليه من العدمِ، لكنَّ الحقَّ الوجوديَّ هو الظاهِرُ في تلك الأعيانِ، وهي مَجَالِي تجلِّيه ومظاهِرُ آياتِهِ، فتُدْرِكُ بعضها بعضاً عند ظهور الحقِّ، فتُوهِمُ أنها اسْتَفَدت الوُجُودِ، وليس إلاَّ ظهور الحقِّ، ولا يَجْمَعُ بين الكشفين إلاَّ الكامِلُ.

* * *

البَارِىءُ

البَارِىءُ، قيلَ: الخالِقُ مُنْشِىءُ الأعيانِ، والبارِيُ مُدَبِّرُها، وقد وقع التفاوت في شهود أهل الحقِّ في مَجْلَى سَلْطَنَةِ هذا الاسمِ وظهورِ أحكامها على حسب درجاتهم في الكشف والتَّحقيق.

منهم: مَنْ يرى سُلطانها على كل مخلوق من الأرض العنصريِّ خاصة، ولا يرى لها أثراً في العِلْوِيَّاتِ، فعند هؤلاء القوم ما عدا هذا الخَلْقِ المنسوبِ إلى الأرض العنصري فخَلْقٌ آخرُ.

ومنهم: من يقول بعموم تصرُّفها في المملكة الطبيعيَّة الكُلِّيَّة، فيدخُلُ في تصرُّفها جميعُ الطبيعة من الروحانيَّاتِ العُلْوِيَّاتِ والجِسْمانِيَّاتِ السُّفليَّاتِ، الظَّاهرة من حَضْرَةِ الهَيُولَى الكُلِّيِّ إلى آخِرِ مراتب الوجود الذي هو المرتبة الإنسانية، وما سوى ذلك من اللَّوْحِ والقَلَمِ والملائكة المُهَيَّمَةِ فذلك خَلْقٌ آخرُ، والعَمَاءُ الذي هو النَّفَسُ الرَّحمانيُّ يشملُ الكُلَّ، وقد ورد الخبر في خَلْقِ الخَلْقِ نَفْسَهُ أيضاً، ولكن لا يقبله العقول، لعدم فَهْمِهَا، وكونه خارجاً عن طَوْرِ العقل، ولا يَعْثُرُ على سِرِّ حقيقته إلاَّ مَنْ كان في طَوْرِ النُّبُوَّةِ أو الولاية، وأما الذي يُقَرِّبُ شيئاً من ذلك إلى بعضِ الأفهامِ، هو أنْ يعلَمَ أنه لا بدَّ لكل صاحب مقالة في الله أنه يتصوَّرُ في نفسه أمراً ما يقول فيه هو الله، فيُعيدُهُ وهو الله لا غيرَهُ، فكُلُّ صاحِبِ نظرٍ ما عبَدَ إلاَّ ما وَجَدَهُ في مَحَلِّ قابلِيَّته، وما وَجَد في ذلك المَحَلِّ إلاَّ مَجْعُولَ نَظَرِهِ، وما أَلْقَى عليه تلك القُوَّة المُصَوِّرَةَ إلاَّ الله، فما خَلَقَهُ في ذلك المحلِّ إلاَّ الله، فهذا معنى ذلك الخبر، وكل ما ظَهَرَ مِن صُوَرِ الاعتقادات المُختلفة والآراءِ

المُتباينة في محالِّ أفكارِ أفرادِ الاسم ومَحالِّ أوْهَامِ أشخاص المُلْكِ فإنما هو بر
آياتِهِ، وشُؤُونُ تجلِّياته، تتحقَّق في حقائق الأعيان، وتَظْهَرُ في مظاهِرِ الأكو
بحسب خصوصياتها وقابليَّاتها واستعداداتها، والحقُّ ـ جَلَّت عَظَمَتُهُ ـ من حي
ذاتِهِ المقدَّسة ـ كما هو ـ على إطلاقه الحقيقيِّ، لا تبديل ولا تغيير في ذاته «تع
عن ذلك علوّاً كبيراً».

❊ ❊ ❊

المُصَوِّرُ

المُصَوِّرُ بما فَتَحَ أبواب خزائِنِ موادِّ البَهَاءِ بمفاتيح الصُّوَرِ، وزيَّنَ رياضَ صُدُور أهل الكشف والشُّهود بصُوَرِ أنوار أزهارِ تجلِّيَاته وآثارِ وُرُودِ آياتِهِ، فهو مُصَوِّرُ الصُّوَر، ومُهَيِّيءُ الهَيْئَاتِ، ومُمَثِّلُ الأمثالِ، الذي صوَّرَ الظَّاهِرَ عُموماً، ونوَّرَ السَّرائر خصوصاً.

اعلم أنَّ حضْرَةَ التَّصوير هي آخرُ مراتِبِ حضَرَاتِ الخَلْقِ، والعِلمُ أوَّلها، والخَلْقُ برزَخٌ بين العِلْمِ والتَّصوير، ولذلك ظهورِ الإنسان وقَعَ في آخِرِ مراتِبِ الجِسمانيَّة في الخَلْقِ، ومن هذا السرِّ ذهَبَ بخَلْقِهِ الإنسان في نفسه عند تصوُّرِهِ وتوَّهُمِهِ، لكونه يَخْلُقُ كَخَلْقِ الله، ومِن ذلك صُورَةُ الاعتقاد الذي يخلقه الإنسان في نفسه عند تصوُّرِهِ وتوَهُّمه لكونه موجوداً جامِعاً حقائق مراتِبِ الوجودِ ـ مع ما عليه من التَّقييد والتَّعيين، والغفلة عن شهود الأمر على ما هو عليه ـ فاقتضت الغَيْرَةُ الإلٰهيَّةُ أنْ يُنَبِّهَهُ ويُطْلِعَهُ على عموم التجليَّاتِ الوجودية، وسَرَيانِ الهُوِيَّةِ الغيبيَّة في حقائق مراتِبِ الأكوانِ وصفائِحِ قوابِلِ عالَمِ الإمكان، ليَلْزِمَ الأدَبَ عند مرافِقِ توَهُّمِهِ ومصارِفِ تصَوُّرِهِ ـ كان ما كان ـ بقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية 115]، ووجْهُ الشيء ذاتُهُ وحقيقته، فأثْبَتَ الحقُّ سبحانه أنه في أيِّ موضِعٍ أقامَ العبدُ فيه أو تولَّىٰ إليه، وجهُ الحق في موضِعِ تَوَلِّيهِ، وإن أنْكَرَ العقلُ ذلكَ لِقُصُورِهِ، فقد أثْبَتَهُ الحَقُّ، والحقُّ أحَقُّ أنْ يُتَّبَعَ.

وأمَّا المُصَوِّرُونَ مِن هذا العِلْم على قسمين:

منهم: مَنْ يَخْلُقُ صورةً جسمانية كالصورِ المُسْتَعِدَّةِ للحياة، ولا يُحْيِيهَا بِعَدَمِ القُدرةِ على ذلك، وهو الذي يتعلَّقُ به الذَّمُّ الإلٰهيُّ.

ومنهم: مَنْ يُنْشِىءُ صوراً روحانية وصور الأعمالِ التي تَكَلَّفَ ـ ـ نشأَتِها، وأُعْطِيَ القُدْرة والقُوَّةُ على نَفْخِ الرُّوحِ فيها، وهو الإخلاصُ والخُضـ ـ

ومن هؤلاء مَنْ قَصَّرَ عن مثلِ هذا النَفْخِ في هذه الصور الروحانيَّة ـ به الذَّمُّ أيضاً، ولَحِقَ بالأخسرين أعمالاً.

ومنهم: مَن يُنْشِىءُ ويَنْفُخُ فيها الرُّوحَ على أتَمِّ الوجوهِ بإذْنِ الحقِّ ـ فيقُومُ على ناطِقِهِ مُسَبِّحَةً بحَمْدِ رَبِّهِ، فالمُخْلَصُونَ العارِفُونَ أبداً في إنشاءِ ـ فهُمُ المُصَوِّرُونَ، الذين يَنْفُخُونَ في صُوَرِ إنشائِهِمْ أرواحاً، فشُؤونُهم ـ وشُهُودُهُم قائِمٌ.

❊ ❊ ❊

الغَفَّــارُ

الغفَّارُ بما سَتَرَ من العُيُوبِ، الغافِرُ بنسبَةِ الشَّرِّ إليه، والغَفُورُ بما اسْتَدلَّ مِن ـتُورٍ مِن أكوانٍ وغيرِ أكوانٍ، الذي لا يَتْرُكُ ذَنْباً إلاَّ سَتَرَ عن عُيُونِ المُناظِرِينَ، ـمحَاهُ عن صُحُفِ الملائِكَةِ المُقرَّبِينَ.

اعلم أنَّ مِنْ أحكامِ هذا الاسْمِ هو الصَّوْنُ والغَيْرَةُ والحِفْظُ، فإنَّ المَسْتُورِينَ ـي هذا الموطِنِ على ثلاث طبقاتٍ:

الأولى: هو المستور عن العقوبة بعد حُكم المعصية فيه وهو المغفور له.

الثانية: المَسْتُورُ عن قِيامِ المَعْصِيَةِ له لِعَدَمِ رَغْبَتِهِ فيه وهو المحفُوظُ.

الثالثة: المستغرقُ في تلاطُمِ أمواجِ الصِّفاتِ، المُسْتَهْلَكُ في أشِعَةِ أنوارِ ـتِ، الغائِبُ عن شهود المعاصي والطَّاعاتِ وهو المعصوم.

هذا في الخصوص؛ وأما في العموم فالأمور كلُّها مَسْتُورٌ بعضها على ـعضٍ، وأعلاها سَتْرُ ظاهِرِيَّة الحقِّ، وذلك أنَّ أفرادَ أشخاص مراتِبِ الأكوان ـجمعها لا يزالُ وُقُوفاً مع الاسمَيْنِ الظاهِرِ والباطِنِ، فمن كان مع الاسم الباطن ـي حالَةِ رُؤْيَةٍ وشُهُودٍ كان الاسْمُ الباطِنُ في حال مُشاهَدَتِهِ سَتْراً على الاسم ـظاهِرِ، واسْمُ الظَّاهِرِ في محلِّ سَلْطَنَته على ما هو عليه في الحُكْمِ ما تغيَّرَ ـكذلك مَنْ كان مع الاسْمِ الظَّاهِرِ شُهُوداً أو رُؤْيَةً، فإنَّ اسم الظَّاهِرِ في حقِّهِ سَتْرٌ ـى اسْمِ الباطِنِ، فالظَّاهِرُ غَيْبٌ لأهْلِ شُهُودِ اسْمِ الباطِنِ، والباطِنُ شهادَتُهم، ـ أنَّ الباطِنَ غَيْبٌ لأهْلِ الظاهِرِ، فغَيْبُ أهْلِ الظَّاهِرِ شهادَةُ أهلِ الباطِنِ، وغَيْبُ ـهـ الباطن شهادة أهل الظَّاهر، ودونَ ذلك سُتُورُ الأسباب والوسائِطِ، وسُتُورُ ـحقِّ بعضهم على بعضٍ، وألْطَفُها سُتُورُ الأسماءِ على المسميَّاتِ، وإنْ دَلَّتْ

على ذاتِ المُسمَّى فهي أعيَانُ السُّتُورِ، فإنَّ النَّاظِرَ يَخَافُها لاختلافِ أحكام [illegible]
فالوجود كله سَتْرٌ وساتِرٌ ومَسْتُورٌ، والخَلْقُ في عينِ الوجود مَسْتُورون عنه [illegible]
سَتْرٌ عليهم، وهُمْ سُتُورٌ عليه، والسَّتْرُ لا بدَّ أن يكونَ مَشْهُوداً بِمَسْتُورِه [illegible]
أنَّه مَسْتُورٌ عنِ السَّتْرِ بالسَّتْرِ.

* * *

القَهَّـــارُ

القَهَّارُ الذي قَهَرَ الخَلْقَ بالفَنَاءِ، والجَبابِرَةَ بالعقوبة والقَهْرِ، والكُلُّ بمعنًى واحد وهو الغَلَبَةُ والتَّسليطُ، فهو القادِرُ على مَنْعِ غيره أن يفعل بخلاف ما يُريدُهُ.

واعلم أنَّ الكُمَّلَ مِنَ العارِفِينَ لا يكون لهم التَّجَلِّي في نفوسهم من هذا الاسم، ولا يَظْهَرُ فيهم آثاره، وإنما يَرونَهُ في مِرآةِ الغير، فلذلك لا يقعُ منهم المُنازعة والمُخالفة قصداً، وإنْ وقَعَ من ذلك شيء في الظاهر إنما يكون على وجه التَّعليم، لكونهم محفوظين بِحِفْظِ الحقِّ.

وتَرَكَ الدُّعاء بعضُ أهلِ الله لِمَا وقَعَ لهم إنَّما يكون مِنَ النِّزاعِ، وذلك وهُمْ منهم، فإنَّ النِّزَاعَ رِياسَةٌ وسَلْطَنةٌ، والدُّعاء ذِلَّةٌ وانْكِسارٌ، وأما مَنْ ظَهَرَتْ منه هذه الصفة مع المُخالِفِينَ من أهل الشِّرْكِ والفُجُورِ فإنما ذلك قَهْرٌ بالله لا بِنَفْسِ العارِفِ.

والنِّزَاعُ إمَّا جَلِيٌّ وهو المُخالفَةُ، وإما خَفِيٌّ كالصَّبْرِ والرِّضا، فإنَّ الصَّبْرَ على البلاءِ وتَرْكَ رَفْعِ الشَّكْوى إلى الحقِّ عينُ النِّزَاعِ ومُقاوَمَةٌ للقَهْرِ الإلٰهِيِّ، ولذلك قال أيُّوبُ عليه السلام لِربِّهِ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبيَاء: الآية 83] والأنبياء عليهم السلام أعْلَمُ الخَلْقِ بالحقائق وحِفْظِ الأدَبِ للحَضْرَةِ الإلٰهيَّةِ إلاَّ أنه تعالى استحسن ذلك منه، وأثنى عليه، ووصفَهُ بالصَّبر مع رَفْعِهِ الشَّكوى إليه تعالى بقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: الآية 44] ولا خَفَاءَ أنَّ الصَّبر محمُودٌ، لكن من حيثُ حَبْسِ النَّفَسِ عن الجَزَعِ وهو رَفْعُ الشَّكوى إلى المِثْلِ لا إلى الحقِّ، ورَفْعُ الشَّكْوَى إلى الله أعْلَى وأرْفَعُ عندَ الكامِلِ، لشُهُودِ إرادَةِ الحقِّ في ذلك، وكذلك الرِّضا من النِّزاعِ الخَفِيِّ،

فالرِّضا مأخوذٌ من رَاضَ يَرُوضُ، ومنه الرِّياضَةُ، ورَاضَتِ [illegible] لِيَنْقَادَ، وكذلك النُّفُوسُ لولا ما فيها من الجموح الذي حَجَبَهُ عن شهودِ الحِكمةِ الإلٰهيَّةِ لَمَا رَاضَها صاحبُها بالرياضة، فإذا خُلِقَتْ مُرْتاضةً بالرياضة [illegible] راضِيَةٌ مَرْضِيَّةٌ، فلا فائِدَةَ في إتْعَابِهَا، فإنْ أتْعَبَها بعد ذلك فقد [illegible] الأمر في غير موضِعِه، وكان مُنازِعاً للحِكْمَةِ الإلٰهيَّةِ.

وأيضاً الرِّضا لا يخلُو إمَّا أن يكون مُتَعَلَّقُهُ مُعَيَّناً أو غيرَ مُعيَّنٍ، فإنْ [illegible] القضاءُ مُعيَّناً فيَحتاجُ الرَّاضي إلى ميزانِ الكشفِ والشُّهُودِ هنا، فإنْ [illegible] آثارِ القَهْرِ الإلٰهيِّ عاجِلاً أو آجِلاً فحُكْمُهُ حُكْمُ الصَّبْرِ كما عرفتَ [illegible] للقَهْرِ الإلٰهيِّ، يظْهَرُ القهرُ بظُهُورِهِ، ويَخْفَى بخَفَائِه، فمن كَثُرَ فيه [illegible] يُسمَّى عبدُ القَهَّارِ عند أهل المعنى، وإنْ قلَّ منه سُمِّيَ عبدُ القاهِرِ [illegible] وتجرَّد عنها فهو مِنَ الفائزين الآمنين الذين ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يُونس: الآية 62]، فإن القاهِرَ لا يَقْهِرُ إلاَّ المُنازِعَ، ونِزَاعُ [illegible] الحقِّ.

* * *

الوَهَّـــابُ

الوَهَّابُ مُبالغةٌ مِن الواهِبِ، وهو أن يَهبَ مِن غيرِ عِوَضٍ لا يُرادُ عليه جزاءً ولا شُكُوراً، والحقُّ هو الذي يَهبُ البرَّ والفاجِرَ مِن غيرِ مِنَّةٍ، لا يَنْقُصُ بالعِصْيانِ كَرَمُهُ، ولا يَقْطَعُ بالعِصْيانِ مِنَحُهُ، فالمُتحقِّقُ بآثارِهِ لا يرجُو أحداً سِواهُ، والمُحَكَّمُ بأحكامه لا يدعو في الشَّدائِدِ إلاَّ إيَّاهُ، ولا يتوكَّلُ المُتَوَكِّلُ إلاَّ عليه، ولا يَرْفَعُ المُحْتاجُ حوائِجَهُ إلاَّ إليه.

اعلم أنَّ العطاءَ على نوعين:

عطاءٌ على جِهةِ الإنعامِ، لا يَخْطُرُ للمُعْطِي خاطِرُ الجزَاءِ عليه مِنْ ذِكْرٍ أو شُكْرٍ وغيره، وهو الوَاهِبُ.

وعطاءٌ اقْتَرَنَ به طَلَبُ شُكْرٍ أوْ جَزَاءٍ، وهذا عطاءُ تِجارَةٍ قابِلَةٍ للربح والخُسرانِ بحسب مقصوده وفَوَاتِهِ.

والمُستمدُّ من هذه الحضرة، مُتجرِّدٌ عن جميع أغراضه بِهِبَاتِهِ الماليَّةِ وحركاتِهِ البدنيَّةِ في حقِّ مَن له فيه نَفْعٌ بمُجَرَّدِ نِيَّةِ الإنْعامِ فقط لا لحُصُولِ ثَوَابٍ، وإنْ كان الحقُّ بِكَرمِهِ لا يُضِيعُ أجْرَهُ فذلك إلى الله لا إليه.

وكذلك المُتحرِّكُ في العباداتِ، إن كان غَرَضُهُ ونيَّتُهُ أنْ يُنْشِيءَ بظُهُورِ عبادتِهِ صُورَةً روحانية تُسَبِّحُ الله عزَّ وجلَّ، وتُزَيِّنُ فضاءَ المَلَكُوتِ بزيادةِ المُسَبِّحِينَ لله، فيلحقُ بأهلِ هذه الحَضْرَةِ.

وإنْ نَوَى غير ذلك فليس له في هذه الحضرة قَدَمٌ، فالمُحَقِّقُ واهِبٌ لأفعاله وأعماله صوراً كاملة روحانية كما وَهَبَهُ الحقُّ جلَّتْ عَظَمَتُهُ.

❊ ❊ ❊

الـرَّزَّاقُ

الرَّزَّاقُ بما رَزَقَ وأعطى كل مُتغَذٍّ من المعادن والنَّبات والحيوان والإنسان من غير اشتراط كخفْرٍ ولا إيمانٍ.

قيل: الرِّزْقُ ما جعلَ الله لِقِيامِ الأبدانِ.

وقيل: ما هي للانتفاع به.

فالرازِقُ هو الذي غَذَّى نفوس الأبرار بتوفيقه، وجَلَّى قلوبَ الأخيارِ بتَوْجِيهِهِ، وخَصَّ الأغنياء بوجود الأرزاق، وشرَّفَ الفقراءَ بشُهُودِ الرَّزاقِ، فمَنْ فاز بشُهُودِ الرَّزاقِ ما ضَرَّهُ ما فاتَهُ من وجودِ الأرزاقِ.

اعلم أنَّ الرِّزْقَ على نوعين: صُوريٍّ ومعنويٍّ.

فالصوريُّ: ما تقوم به الأجسام.

والمعنويُّ: ما تقوم به الأرواحُ.

فالأول كَشْفٌ سُفْلِيٌّ، والثاني لطيفٌ عُلْوِيٌّ.

قال الله تعالى في العُلْوِيِّ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: الآية 22].

وقال تعالى في السُّفْلِي: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فُصِّلَت: الآية 10] فجعل كل ذلك رزقاً لتصحيح افتقارِ الخلائِقِ صورة ومعنى، وانفراد الحقِّ ـ سبحانه ـ بالغِنَى.

ولكُلِّ قِسْمٍ من القسمين درجاتٌ.

وأرْفَعُ المنازل وأعلاها في الأرزاق المعنويَّة ما يظهَرُ به عينُ وجودِ الحقِّ، السَّارِي في صُورِ أحكامِ المُمكنات، الظَّاهِرِ في مظاهِرِ أعيانِ الكائِناتِ.

وعلامَةُ المُحَقِّقِ بحقائِقِ هذه الحَضْرَةِ إمْعانُ نَظَرِهِ في قابِلِيَّاتِ أشخاصِ مراتِبِ الأكوانِ جَمْعاً وفُرَادَى، وما يستحقُّ كلُّ مَخْلُوقٍ في مَرْتَبَةٍ من مُسَمَّى الرِّزْقِ صُورِيّاً ومعنوِيّاً، وما يقتضي استعدادُهُ، فإنَّ خواصَّ الأرزاق ونتائِجَ آثارِها تتفاوتُ بِحَسَبِ قابِلِيَّاتِ المَرْزُوقِينَ واختلافِ أمْزِجَتِهِمْ، وكَمْ مِنْ رِزْقٍ يعيشُ بها مَرْزُوقٌ ويَمُوتُ بها آخَرُ، كحيوان الماء الذي عَيْشُهُ بِرِزْقِ الماءِ إنه يمُوتُ بالهَوَى إذا فارَقَ الماءَ، وكذلك حيوانُ البَرِّ الذي يعيشُ برِزْقِ الهواءِ، فإنه يموتُ في الماءِ لفَقْدِ الهواءِ وإن كان لا يَخْلُو الماءُ مِنْ امْتِزَاجِ الهواءِ، ولا الهوَى مِن امتِزاجِ الماءِ، لكنَّ الحُكْمَ للغالِبِ، فإذا تَحَقَّقَ هذا في الأرزاقِ المَحْسُوسة السُّفْلِيَّةِ الكثيفة، فالتفاوتُ في حقائق العلويّات أكثَرُ، ومَجَالُهُ أوسَعُ، ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: الآية 21].

فالعارِفُ الكامِلُ مَنْ يُنَزِّلُ المعارِفَ في أهْلِها، ويَشْهَدُ حقائِقَ أعيانِ الأكوانِ على ما هي عليه مِنْ تفاوُتِ درجَاتِها، وغاياتِ توجُّهاتِهَا، ونِهايَةِ كمالاتِها، ومُقْتَضَى خصوصيَّاتِها، فيُعْطِي كُلَّ ذِي حقٍّ حَقَّهُ.

* * *

الفَتَّـــاحُ

الفَتَّاحُ بِما فَتَحَ من أبوابِ النِّعَمِ والعَذَابِ، يُقالُ للحاكِمِ فاتِحٌ وفَتَّاحٌ، لأنه يَفْتَحُ بِحُكْمِهِ ما انْغَلَقَ مِنَ الأمر بين الخصمين، فالحَقُّ هو الحاكِمُ بين عَبيدِهِ يوم القيامة، وهو الفَتَّاحُ لِمَا انْغَلَقَ مِنْ أمور عِبادِهِ من أسبابِ معايِشِهِم، فيُغْنِي الفقيرَ. ويُفَرِّجُ عنِ المغموم، ويفتحُ على قلوبِ المؤمنين أنوارَ معرفتِهِ، وعلى المُذْنِبِينَ أبوابَ مَغْفِرَتِهِ بعِنايَتِهِ يَنْفَتِحُ كلُّ مَغْلُوقٍ، وبِهِدايَتِهِ ينكشِفُ كُلُّ مُشْكِلٍ.

اعلم أنَّ لِفُتُوحِ أحكامِ هذا الاسْمِ ثلاثُ درجاتٍ:

أوْلَيهَا: عِلْمُ الأسماءِ وما خُصَّ به آدَمُ عليه السلام.

وثانيها: عِلْمُ الأذواقِ المخصوص بالأولياء.

وثالثها: جوامِعُ الحِكَمُ التي أُوتِيتْ محمَّد عليه السلام، ففتَحَ بمُحمَّدٍ صلَّى الله عليه وآلِهِ وسلَّم أبوابَ درجاتِ الأسرارِ والعلومِ الإلٰهيَّةِ، كما فَتَحَ بِآدَمَ عليه السلام عِلْمَ أسماءِ المظاهِرِ الحِجَابِيَّاتِ وإحْصاءِ اختِلافِ اللُّغاتِ، ولمحمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كَشْفَ حقائِق المُسَمَّيَاتِ، وشُهُودَ أنوارِ أسرارِ الإلٰهيَّاتِ.

ووسَطُ هذينِ المَرْتَبَتين عِلْمُ الأذواقِ والأحوالِ، الذي اختصَّ به أرْبابُ الطريقة.

ولا نهاية لعُلُومِ هؤلاء القوم، لعدم نهاية مَن تعلَّقت به علومهم:

ومن ذلك: شهُودُ العبدِ تقلُّب الأحوال في بحارِ الحِكْمَةِ، وثِقَتُهُ بالله عند الحاجة، وعدَمُ اضْطِرَابِهِ، وكَوْنُ فَرَجِهِ بِضمانِ الله أعْظَمُ مِنْ فَرَجِهِ بالسببِ المُعَيَّنِ، لِعِلْمِهِ بِصِدْقِ الوعْدِ الإلٰهيِّ، وامتناع ضمان الحقِّ عن تطرُّق الآفاتِ

إليه، والذي لا يُحَصِّلُ سُكُونَهُ إلى ما بِيدِهِ من الأسباب يمكن أن تتطرَّقَ إليه الآفاتُ.

فمَنْ خَصَّهُ الله بفتحِ هذا الشُّهودِ فهو أتَمُّ ذوقاً وأقْوَى سُكُوناً من صاحِبِ السَّبَبِ المُزِيلِ لألَمِ فاقَتِهِ، وهذا مِنْ عِلْمِ الفتحِ البرزَخِ بين الدَّرَجَتَينِ.

ومنها: عِلْمُ الافتقار إلى الحقِّ بالحقِّ، وذلك أن يَطَّلِعَ الحقُّ عَبْدَهُ على أسرار الأسماء، فيشْهَدَ [أنَّ] حاجَتَهَا إلى التأثير في الأعيانِ أعْظَمُ مِن حاجَةِ الأعيانِ إلى ظُهُورِ الأثَرِ فيها، لأنَّ للأسماء في ظهور آثارِها الكِبْرِياء والسُّلطان والعِزَّةَ والمَجْدَ، بخلاف الممكن فإنَّهُ في قَبُولِ الأثَرِ على خَطَرٍ عظيمٍ، فإنه قد يتضَرَّرُ بقَبُولِهِ الأثَرَ أكثَرَ مِنْ انْتِفاعِهِ به، وقد يُسَاوَى مُقابَلَةُ الحالتين فيه.

ولا تخلُو عينُ موجُودٍ مِنَ الضُّرِّ والألَم ـ قلَّ أو كَثُرَ ـ كما ترى الشخص مُتنعِّماً في وقتٍ ومتألِّماً في وقت آخر، وفي الثبوت كان مُنْعَزِلاً عن تغيير الحال، لتَجَرُّدِهِ عن التَّركيبِ الوجوديِّ المُوجِبِ للتَّغيير، فإنَّ الألَمَ في الثبوتِ ما هو في عينِ المُتألِّمِ، بل هو في عينه مُلْتَذٌّ بثُبُوتِهِ، كما هو مُلْتَذٌّ بوجودِهِ في المقام، والمَحَلُّ مُقامٌ به، وقد كان الحالُ والمَحَلُّ في أعيانها الثُّبُوتيَّةِ، ولا ألَمَ ولا لَذَّةَ لِعَدَمِ التَّأثِيرِ والتَّأثُّرِ بينهما، وذلك أنَّ الثُبُوتَ بسِيطٌ لا يَقُوم فيه بشيء، والوجود مَرْكَبٌ لا بُدَّ [فيه] من حامِلٍ ومَحْمُولٍ، فالمحمُولُ مَنْزِلَتُهُ في وُجُودِ الحامِلِ كمَنْزِلَتِهِ في الثبوتِ في النَّعِيم وعَدَمِهِ، بخِلافِ الحامِلِ فإنَّه بِحُكْمِ مزاجِهِ، فإنْ وافَقَ المحمول مِزَاجَ الحامِلِ الْتَذَّ به، وإنْ خالَفَ مِزاجَهُ تَضَرَّرَ وتألَّمَ به، وقد كان في عينِ ثبوته فارغاً عن تعلُّقِ المُخالِفِ لبساطَتِهِ، فبقاؤُهُ في حالَةِ العَدَمِ أحَبُّ إليه، لأنَّه في تلك الحَضْرَةِ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الألَمِ، بل إن صاحَبَهُ عينُ الألَمِ صَحِبَهُ صُحْبَةَ أُنْسٍ والْتِذَاذٍ، فحَقَّقَ صاحِبُ هذا الشُّهُودِ أنَّ الأعيانَ أقلُّ افتِقَاراً مِنَ الأسماءِ، وهذا من أدقِّ أسرار الأسماءِ الإلٰهيَّةِ ومن علومِ الأوْتادِ[1].

---

(1) الأوتاد: عبارة عن أربعة رجال منازلهم على منازل أربعة أركان جهات من العالم، وهي الشرق والغرب والشمال والجنوب، مقام كل واحد منهم مقام تلك الجهة، وبهم يحفظ الله العالم لكونهم محل نظره تعالى. [لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، مطبوع في الدار بتحقيقنا].

ومنها: عِلْمُ سَرَيانِ الهُوِيَّةِ[1] في أجزاء المَكوَّناتِ، وظهور حقيقة ما في العالَمِ من كونها مُسَبِّحَةً بحَمْدِ الحقِّ، فمن أكْرَمَهُ الله تعالى بفتحِ باب هذ الشُّهُودِ، انْكَشَفَ له حقيقةُ نُطْقِ كلِّ ناطِقٍ في العالَم - كان النُّطْقِ ما كان ممَّ يُحْمَدُ أو يُذَمُّ - أنَّه تسبيحٌ لله، وفيه ثناءٌ على الله حتَّى السَّبِّ واللَّعْنَةِ، فيَرَى صاحِبُ هذا الشهود إنساناً يَسُبُّ إنساناً ويَلْعَنُهُ، وهو عند السَّامع المُحَقِّقِ تسبيحٌ بحمدِ الله، فيُؤْجَرُ السَّامِعُ، ويَأْثَمُ القائِلُ.

وهذا مِنْ أَلْطَفِ عِلْمِ الفَتْحِ من فُتوحاتِ الحَضْرَةِ الفَتَّاحِيَّةِ.

* * *

(1) الهوية: هو باطن مفاتح الغيب، ومفاتح الغيب هي معاني أصول الأسماء، وقيل هي مواطن أصول أئمة الأسماء التي هي عين التجلي الأول. (المرجع السابق).

العَلِيـــمُ

العَلِيمُ بِكَثْرَةِ معلوماته، العالِمُ بأحدِيَّةِ نَفْسِهِ، العلاَّمُ بالغَيبِ.

اعلم أنَّ العِلْمَ هو التعلُّق الخاص بعين العالِم، وهو نسبةٌ تَحْدثُ لذَاتِ العالِمِ مِنَ المعلوم، فالعلم متأخرٌ عن المعلوم لأنه تابعٌ، وإنْ كان نسبة القول بالإيجاد يتقدَّم على الموجود، والقول متأخِّرٌ عن العِلْمِ، فذلك العِلمُ الإجماليُّ الغَيْبيُّ، والمرادُ هنا عِلْمُ الحَيْرَةِ، وليس للعلم أثرٌ في المعلوم عند أهل الكشف خلافاً لأصحاب النَّظَرِ، فإنَّ العِلْمَ بالمُحالِ لا يُؤَثِّرُ بالمُحالِ من ذاتِ العالِم ولا من عِلْمِهِ، بل المُحالُ يُعْطيهِ العِلْمَ به أنه مُحالٌ، وإيجاد أعيان الأكوان ثَبَتَ عن القولِ شرعاً وكشفاً، وعن القُدرة شرعاً لا عن العِلْمِ، فتعلُّق العِلْم بظُهُورِ المعلوم وعدَمِ ظهورِهِ هو الأَثَرُ لأنَّه تعلُّقٌ بظُهُورِهِ الموجُودِ عند ظهوره كما تعلَّق بعدَمِ ظهوره قبل ظهوره.

والعِلْمُ إمَّا ذاتِيٌّ، وهو عِلْمُ الحقِّ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ.

وإمَّا موهوبٌ، وهو ما لم يخطُرْ بالبالِ ولا للاكتسابِ فيه مدْخَلٌ، وهو عِلْمُ الأفرادِ ويَخُصُّ به الحقُّ مَن يشاءُ مِن عبادِهِ، كما اختصَّ به الخضِرُ عليه السلام رحمةً مِنْ عِندِهِ، حتى كان الكَلِيمُ مع جلالَتِهِ يستفيدُ منه.

وطريقُ تحصيلِ ذلك العِلْمِ معرفَةُ الوجه الخاصِّ وجلائِهِ، فإنَّ لكلِّ موجودٍ في عالَمِ الخَلْقِ وجهاً خاصاً إلى مُوجِدِهِ، يتجلَّى الحقُّ له، فيحصَلُ له من العلم به ما لا يعلَمُهُ غيره، سواءً عَلِمَ ذلك الموجود أنَّ له وجهاً خاصّاً، وأنَّ له مِنَ الحقِّ عِلْماً من ذلك الوجه أو لم يَعْلَمْهُ.

وتفاوُتُ درجاتِ الأولياءِ وتفاضُلُهُم بحَسَبِ تفاوتهم في معرفة ذلك الوجه.

وأمَّا العالُونَ مِن عالَمِ الأمر ـ الذين هم سكَّانُ حظائِرِ القُدْسِ ـ
سوى الوجه الخاصّ، فهُمُ المُهَيَّمَةُ في جَمالِ الحقِّ وكبريائه،
الْتِفاتَ للعلويَّاتِ إلى السِّفليَّاتِ.

وأما المُكْتَسَبُ ـ وهو ما يحصلُ بالممارسة والتَّعَلُّمِ ـ
الحَضْرَةِ:

إمَّا أن يكون ذائِقاً من طريق التَّقْوَى.

أو ناظِراً من طريقِ القُوَّةِ الفِكريَّةِ.

فصاحِبُ الذَّوقِ هو العالِمُ بالله ورسُولِهِ، وله مقاماتٌ:

فإنَّه إمَّا أنْ يختصَّ بعِلْمٍ يكونُ مُتَعَلَّقُهُ نسبَةَ العالَم إلى الله تعالى.

وإمَّا عِلْمٌ مُتَعَلَّقُهُ نِسْبَةُ الحقِّ إلى العالَم.

وإمَّا عِلْمٌ بارتفاع النِّسبة بين العالَمِ والذَّاتِ وإثباتها بين العالَم و

وإمَّا عِلْمٌ بإثباتِ النِّسبةِ بين العالَمِ والذَّاتِ كالقول بالعِلَّةِ والمعلول.

وإمَّا عِلْمٌ بالصُورةِ التي خُلِقَ عليها العالَمُ الصَّغِيرُ.

فالعلومُ كثيرةٌ، ولكُلِّ عِلْمٍ أهْلٌ، فمن دخل الحضرة العلميَّة ـ
والنظر، فإنه ينالُ منها على قدرِ ما يقتضي طوْرُهُ، ومَن دَخَلَه ذوقاً
التَّقْوَى فقد جازَ الكُلَّ وفازَ بالكُلِّ.

* * *

القابِـــضُ

القـابِـضُ يكـونُ الأشـيـاءُ فـي قَـبْـضَـتِـهِ ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ﴾ [الزُمَر: الآية 67].

هُوَ الذي إذا قَبَضَ قَبَضَ حتى لا طاقَةَ، وإذا بَسَطَ بَسَطَ حتى لا فاقَة.

اعلم أنَّ القبضَ إما معلومٌ أو مجهولٌ.

والمعلومُ: إما أن يكون بظُهُورِ شَرٍّ أو بُرُوزِ خيرٍ، والخيرُ والشَّرُ عبارَتَانِ عمَّا يَسُرُّ العبدَ ويَسُوئُهُ، وهما حالَتانِ مُتعلِّقَتَانِ بما يُلائِمُ غَرَضَ العبدِ، أو يُخالِفُ دُنياً أو آخِرَةً، ولا يأتي ذلك إلاَّ على أيدي واسِطَتَينِ يُسمَّى مَلَكاً وشَيْطاناً.

ومِنَ العِصْمَةِ مُلازمَةُ الأدَبِ بالإمساكِ عن إضافته الشَّرَ إلى جانِبِ الحقِّ ـ وإنْ كان الكلُّ مِن عِنده ـ ولذلك قال الأديبُ الكامِلُ: «**الخيرُ كلُّهُ في يَديكَ والشَّرُّ ليسَ إلَيْكَ**»[1] فإنَّ الخيرَ والشَّرَ لا يتميَّزُ أحدُهُما عن الآخَرِ من حيثُ إنهما من شؤُونِ الحقِّ، وإنما يتميَّزانِ عند العبد بما يُوافِقُ غَرَضَهُ أو يُخالفه، فعَيْنُ بَسْطِ الشَّرِّ وظهوره عينُ قَبْضِ الخيرِ.

ومِنْ قَبْضِ المعلوم أيضاً طَلَبُ الحقِّ القَرْضَ مِنْ عِبادِهِ، وقَبُولُ الصَّدقاتِ، قَبْضُها، لتَعُودَ أضعافُها عليهم، لأنَّه خَلَقَهُم لِيَرْبَحُوا عليه لا ليربَحَ عليهم، وهو يَقبلُ مِنْ عِبادِهِ الطَّيِّبَ الحَسَنَ لا الخَبِيثَ، والحَسنةُ في ذلك أنْ يرى المُقْرِضُ

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث رقم (771) [1/ 534] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر البيان بأن المصطفى ﷺ كان يدعو بما وصفنا بعد التكبير لا قبل، حديث رقم (1773) [5/ 71] ورواه غيرهما.

وتحقق أنّ يدَ الله هي القابِضَةُ لذلك، فتحقَّقَ أنَّها حَصَلَتْ في يدِ الحفيظِ الكريم، فيَمُنُّ ولا يَمَلُّ، هذا حُكْمُ قَبْضِ المعلُومِ.

وأما قَبْضُ المجهُولِ، هو أنْ يجِدَ العبدُ باطِنَهُ مَقْبُوضاً، فيَظْهَرُ له القبضُ من حيثُ لا يدري، ولا يعرِفُ لظُهُورِهِ سبباً، فمِنَ الأدَبِ لمن هو هذا حالُهُ أنْ يَسْكُنَ على ما هو عليه مِنَ القَبْضِ حتى يَقْضِيَ الله أمْرَه.

ومِنْ أهلِ الطَّرِيقَةِ مَنْ يُظْهِرُ البَسْطَ مُكَلَّفاً في مِثْلِ الحالِ لإظهَارِ الرِّضا عن نفسه، وهذا سُوءُ أدَبٍ عند العارِفِ، لأنَّ نَظَرَه إلى إرادَةِ الحقِّ في هذا التَّجَلِّي، ومُرادُهُ دخولُ العبدِ تحت سُلطانِ القبضِ وانْصِباغُهُ بحُكْمِهِ: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطّلاق: الآية 1].

وللذَّائِقِ مِن هذا المَشْرَبِ التَّحَقُّقُ بكيفيَّةِ ظهور عين المُتعيَّنِ عن ذاتِ الحقِّ، وقبضه إليه، وحُدُوثه بين الاقتدارِ الإلٰهيِّ وبين قَبُولِهِ المُمْكِنَ، الذي يكونُ كحدوث الظِّلِّ بين العين المُشْرِقِ والجِسْمِ، فإنَّ الظِلَّ برزَخٌ بين النور والظُّلمة، لكونِ تولُّده من نكاح نُور الشمس وظُلْمةِ الجسم الكثيف، وذلك أنَّ ما قابَلَ النُّورَ من الجسم الكثيفِ أشْرَقَ، فذلك الإشراقُ هو نِكاحُ النُّور له وَوِلادَةُ الظِّلِّ عنه معاً، فزَمَانُ النِّكاحِ زمانِ الحَمْلِ وزمانُ الحَمْلِ زمانُ الوِلادَةِ ليس فيه تقدُّمٌ ولا تأخُّرٌ إلاَّ بالتَّعقُّلِ، وكذلك قَبْضُ الظِّلِّ إلى الجِسمِ.

ثم اعلم أنَّ أوَّل رُتْبَةِ القَبْضِ قَبْضُ الممكنِ وجُودَهُ مِنَ الحَقِّ، ثمَّ القُوَّةَ على التصرُّفاتِ في الأعمالِ، ثم قَبْضُ الحقِّ من الممكن عِلْمَهُ به، ثم قَبْضُهُ التصرُّفاتِ والأعمال من العامِلِ، فأمْرُ القَبْضِ دائِرٌ بين القابِضِ والمَقْبُوضِ منه.

* * *

والاسْتِهْزَاءُ، بلْ كانَ صلَّى الله عليه وآلِهِ وسلَّمَ يَشْهَدُهُ على الحَيَاءِ، يُشاهِدُ هذا الوَصْفَ الإلٰهِيَّ في مادَّتِهِ، وحقيقَةُ ذلك لا تنكشِفُ إلاَّ للعُلَماءِ بالله.

واعلم أنَّ مِنَ البَسْطِ أيضاً ما هو مَجهولٌ، والبَسْطُ المجهولُ قلَّ ما يَخْلُو مِنْ مَكْرٍ خَفِيٍ، فإذا وجَدَ العبدُ في نَفْسِهِ بَسْطاً وفَرَحاً لا يَعْرِفُ له سبباً فينبغي أنْ لا يتصرَّفَ فيه، فإنَّه لا يَعْرِفُ بِما يظْهَرُ له في عاقِبَتِهِ، فهو في مَحَلٍّ خَطَرٍ عَظِيم، وعلامَةُ صِحَّةِ العقلِ الوقُوفُ عند الجَهْلِ بالأسبابِ الموجِبَةِ لبعض الأحوال حتى تنكشِفَ له عواقِبُها، فإذا عَلِمَ وأبْصَرَ كان تصرُّفُهُ على بَصِيرَةٍ إمَّا لهُ وإمَّا عليه، بحَسَبِ التَّوفِيقِ والخُذْلانِ، ومِنْ أشدِّ المَكْرِ رِدَافُ النِّعَم على المَمْقُوتِ، قال عزَّ مِنْ قـائـلٍ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية 178].

* * *

الخــافِــضُ

الخافِضُ، معنى الخَفْضِ: الوَضْعُ والحَطُّ، وهو الذي يخفِضُ مَن يشاء بعقوبته، ويرفَعُ مَن يشاء إلى أعلى دَرَجَتِهِ، يخْفِضُ نفوسَ الأشقياء بتبعِيدِهِ، ويرفَعُ قلوب الأولياء بتقريبه.

اعلم أن آثار أحكام هذا الاسم في المُحْدثات الإمكانيَّة والتَّعيُّنات الكيانيَّة، لِما يقتضي وجود المُحْدَثِ من تأخُّر مرتبته عن مرتبة القديم، فإنَّ للمُتقدِّم التصرُّف في المراتب والحضَرَاتِ كما يشاء من غير مُنازِعٍ يُقابله ويُزاحمه، وليس للمتأخِّر ذلك، لأنه إذا تصرَّف لا يتصرَّف إلاَّ فيما دون ما تصرُّف المتقدِّم السابق، وهو الخَفْضُ بالنسبة إليه المتأخِّر، فأَرْفَعُ المقام في التصرُّف للمتقدِّم، ولهذا السرِّ كان نزول الحق إلى أحكام الحادِثِ بعد رَفْعَتِهِ وإطلاقه، ثم نَزَّهَ نفسه عن ذلك، وارتفع جناب كبريائه عن لَوْثِ الحدوثِ، فبالاعتبار الأول يسمِّي نفسه العزيز الجبَّار، وبالاعتبار الثاني المُتَكَبِّرَ.

وفي حروف الخفض إشارة لمن عَقَلَهُ، وهي أنَّ الأسماء أعلى رُتبةً من الحروف، ومع ذلك أثَّرَتِ الحروف فيها لتعلُّقها كما يقول القائل: «أعُوذُ بِالله»، فالباءُ عامِلَةٌ، ومعمولها الهاء المُشيرةُ إلى هُوِيَّةِ الغَيْبِ، فانظر إلى هذا الأمر العجيب واعتبِرْ.

ثم **اعلم** أنَّ الخَوَافِضَ كثيرةٌ مثل «مِنْ» و«إلَى» و«فِي» و«قَبْلُ» و«بَعْدُ» ومِن خواصِّها أنها إذا دخلت بعضها على بعض أخرجتها عن حُكم الخفض، ولم يظهر فيها عملُ الخافِضِ، لأنها بالأصالة خافضة، والخافض لا يكون مخفوضاً نحو ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ [الرُّوم: الآية 4].

فإذا فَهِمْتَ ذلك **فاعلم** أنَّ مراتب الكونِ بأجمعها في مقام الخفض، ولا أَثَرَ لأفعالِ أعيانِ المُمكنات بعضها في بعض عند أهل الكشف، لأنَّ الحدوثَ الذي يشمَلُها بمنزلة البناءِ للحروف، فلا مُؤَثِّرَ إلاَّ الله، ولا ينفعلُ مُنفعِلٌ إلاَّ لصورة الحق وسَرَيانِ ظهوره في مظاهِرِ الحق، ولا أثَّر فيه إلاَّ المُؤَثِّرُ الحقيقيِّ، وحْدَهُ لا شريك له.

* * *

الرَّافِـــعُ

الرَّافِعُ بالعُلُوِّ والإظْهَارِ، وهو الذي يرفعُ الأبرارَ إلى أعلى الدَّرجاتِ، كما يخفِضُ الكُفَّارَ في أسفلِ الدَّرَكاتِ.

اعلم أنَّ حُكم الرَّفع للحقِّ بالأصالةِ، كما أنَّ الخفض للعبد، ومن أحكام هذا الاسم سَرَيانُ الرِّفْعَةِ الإلٰهيَّةِ في أعيانِ مراتب الإمكان، وارتفاعُ الكلِّ مِن حضيضِ العَدَمِ إلى عُلُوِّ درجات الحياة والعلم، فإنه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: الآية 44]، ولا يُسَبِّحُ إلاَّ حَيٌّ عالِمٌ لِمَن يُسبِّحُ له وبما يُسَبِّحُ، فلكلِّ شيء في دَرَجَتِهِ ومرتبه عِلْمٌ وتميُّز، يُفصِّلُ به بين مَن ينبغي له التسبيح ومَن لا ينبغي، ولا رِفعَةَ أرْفَعُ من درجة العِلم، والحقُّ هو الذي أنْطَقَ ذلك الشيء بما يُسَبِّحُ في دَرَجَاتِهِ، فهو المُسبِّحُ والمُثْنِي على نفسه بنفسه، وله الرِّفْعةُ في كل درجةٍ، وهو رفيعُ الدرجات في كل عينٍ، بل في كل نَفَسٍ من أنفاسِ الأعيان، وذلك أنَّ النَّفَس هَيُولَى صُوَرِ التَّكوين، ولِلْحَقِّ ـ جلَّت عَظَمَته ـ شُؤُونٌ في وجود الأنفاس بحسب حال العبد في وقت تَنَفُّسِهِ، فإنَّ النَّفَس الدَّاخل إذا استقرَّ في القلب تُغَيِّرُ حالَةُ الأثرِ الحرارة في القلب، وتُشكِّلُ فيه صورة ما في القلب من الخواطر، فتُزعجه الرِّئَة إلى الخروج لدخول غيره، فإذا أُخْرِجَ فلا يخلُو صاحبه عن التكلُّم به أو السُّكوت عنه، فإن تكلَّم تشكَّل الهواءُ بصورة ما تلفَّظَ به، فيزيدُ في صُورته، وإنْ لم يتكلَّم خرج بصورة المقبول مِن القلب، وذلك على الدَّوام دُنْيا وآخِرَةً، فللخَلْقِ في كل نَفَسٍ تكوينٌ، فهُم في كل آنٍ في شأنٍ، غيرَ أنَّ موطِنَ الدُّنيا يقتضي إختلاط الخبيثِ والطيِّب، ونشأةُ الآخرة لا تطلُبُ إلاَّ الطيِّب حتى يغلِبَ على الخبيثِ، فيصيرَ الحُكم للغالِبِ، وهو المآلُ إلى الرَّحمة.

ومِن أحكام هذه الحضرَةِ التَّسْخِيرُ، فإنَّ مَنْ كان في درجة الرِّفْعَة يُسَخِّرُ غيره، كتسخير الملوك الرَّعايا، وقد تكون درجةُ المُسَخَّرِ أعلى من درجة المُسَخِّرَ، كتسخير الرَّعِيَّةِ المَلِكَ بالحال في قيامه بمصالحهم، فدَارَ الأمرُ من هذا الوجه، فإنَّ الحق عزَّ شأنه أمَرَ عِبادَهُ ونهاهُمْ، ثمَّ أمَرَهُم أن يأمُرُوهُ ويَنْهَوهُ، فقال لهم قولوا: ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ [البقرة: الآية 186]، و﴿لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ [البقرة: الآية 186]، ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ [البَقَرَة: الآية 286]، فأقام نَفْسَهُ تعالى ـ مع كِبريائه وعِزَّته وجَبَرُوته ـ بصورة ما أقام فيه عباده على ذُلِّهم وافتقارهم، غير أنَّ هذا التَّسخير مع الاستعلاء يُسمَّى أمراً أو نَهْياً، ومع الافتقار دُعاءً ورَغْبَةً، فالأمْرُ منه وإليه.

* * *

المُعِــزّ

المعِزُّ مَنْ يشاءُ بالقناعة واليقينِ والزُّهدِ في مَتاعِ دارِ الفناء، مَنْ عَرَفَهُ أعزَّ نَفْسَهُ بخدمته، وقلبهُ بمعرفته، وبَصَرَهُ بمُشاهدته.

اعلم أنَّ من آثار هذا الاسم سرَيَانَ حُكم الاعْتِزَاز في العالَمِ، إلاَّ أنه يُذَمُّ في موطِنٍ ويُحْمَدُ في موطن، والاعتزازُ هو ظهور العبد بصورة الحقِّ، سواءً تُورِثُهُ تلك الصورة سعادة أو شقاوةً، والمُعْتَزُّ المحمود السعيد باعتزازِهِ هو العبد المُحقَّقُ الكامِلُ القائِمُ به صفة الحقِّ في الخِلافة، فهو ممَّن أعَزَّهُ الله بمكارِمِ الأخلاقِ ودَرْكِ الحقائِق وأنواع المعارف وفُنُونِ العِلْمِ بالله، ووَفَّقَهُ لنصيحَةَ عِبادِهِ بحُسْنِ التَّعليم، فيُخرجهم من ظلمات الجهالة والمُخالفات، ويَنْتَزِع عنهم نوازِعَ الاستكبار والرُّعوناتِ، حتى تَذَلَّلُوا تحت عِزَّةِ الحقِّ وكبريائه، وأَذْعَنُوا لأوامره ونواهيه، فنصيبُ مِثْلِ هذا العبد من الاسم المُعِزُّ، وحظُّهُ هو الحظُّ المحمود، فإنه حَمَى قلوبَ عِبادِ الله أن يتحاكَمَ فيهم بما لا يليقُ بجنَابِ الحقِّ، فهو مُعِزٌّ للحقِّ، عزيزٌ بالحقِّ.

وأما صاحِبُ الاعتزازِ المذموم، هو المحجوب بالصفات الحِجابيَّة كفرعون وأمثاله من الجَبَابِرَةِ مِن المُلُوكِ والحُكَّام المُفْتَخِرِينَ بالرِّئاسةِ والاستيلاء، ومَن اعتَزَّ في نفسه على أمثاله جَوْراً وظُلماً وجهلاً لَحِقَ بالأخسرين أعمالاً، ولا أحدَ أذلُّ منهم في نفوسهم وعند الخلقِ إذا عَزُّوا، وعند الله في الحالَيْنِ.

وأعظَمُ الاعتزاز في المرتبة الخلقيَّة أن يحمل العبدُ نفسه من أن يقوم به وصفٌ إلٰهيٌّ، لتحقُّقه مقام العبودية المحضة، **فإنَّ الصفات على نوعين:**

محصورةٌ، وهي الأسماء الحُسنى. وغير محصورة.

فالأسماء الحُسنى هي الحق بالأصالة، وقد يتَّصف العبد بها في مِعْرَاجِهِ من حَضِيض البشريَّة إلى مقامِ العِزِّ بالتَّزْكِيَةِ والتَّجلية وإدْمانِ النَّوافل إلى أن يصيرَ الحق سَمْعَهُ وبصَرَهُ كما ورد به الخبر[1].

وأما الصِّفاتُ التي غيرُ الحُسنى مُتناهية، وجميعها للعبد بالأصالة، وقد يتَّصِفُ الحقُّ بها، فمجالُ العبد في ميدانِ الصِّفات والأسماء أوسعُ نظراً إلى مراتب الكَثْرَةِ، فأما عند أهل الكشف فالصفات كلُّها لله وإنْ اتَّصف بها العبدُ.

* * *

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

المُـذِلّ

المُذِلُّ بما أذَلَّ رِقابَ الجبابِرَةِ برَغْبَتِهِمْ عن نعيمِ دارِ البقاءِ، وطَمَعِهِمْ في متاعِ دار الفناء، وأذلَّ بعض المُؤمنين ليستكمِلَ عِزَّهُم في الآخِرَةِ ويذلُّ بدلَ ما أوْرَثَهُم الذُلَّ في الدُّنيا.

اعلم أنَّ الله تعالى أوجد المُمكنات من آثارِ أحكامِ هذا الاسم، ووقَفَهُمْ في محلِّ سُلطانها، فالذِّلَّةُ أبداً شِعارٌ للممكن، لافتقاره في وجوده إلى غيره، إلاَّ أنَّه تعالى خَلَقَ آدم، وجعل له حظّاً من الاسمين، وجامِعاً للصِّفَتين، لِما فيه من الجمعيَّة الإلٰهيَّة.

أما إعزازه، فكونُهُ مخلوقاً على الصورة الجمعيَّة، وسُجُودُ الملائكة له، وظهورُ عِلْمِ الأسماءِ فيه، وتشريفُ الاجْتِبَاءِ والهِدايةِ له مِن الحقِّ.

وأمّا إذلالُهُ، فاعترافُهُ بالظُّلم على نفسه، ومقام التذلُّل بقوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: الآية 23].

فَرُئِيَتْ آثارُ الصِّفتين في أولاده:

فمنهم: مَن ظَهَرَ بصورة الإذلال، وجعل الافتقار والذِّلَّة شِعارَهُ، ولِمَا تقتضي النَّشْأَةُ، فارْتاضَ نفْسَهُ تحت أحكامِ الذُّلِّ فأفْلَحَ وسَعِدَ.

ومنهم: مَنْ اعْتَزَّ، فأظْهَرَ ما ليس له من الاعتزاز على أمثاله، فأوْرَثَهُ ذلك ذُلَّ الأبَد.

فإنه إنْ اعْتَزَّ لشَرَفِ أبيه بسجود الملائكة له فقد أُمِرَ بالسُّجودِ للبيت الجمادِي.

وإنْ كان اعْتِزازه بالعلمِ فإنه لا يَقْدِرُ على تحصيل سعادَتِهِ إلاَّ بِلمَّةِ المَلَكِ

وتعليمه، فالمَلَكُ مُعَلِّمُهُ، بل مُعَلِّمُ مَنْ هو خيرٌ منه من أكابِرِ النَّوعِ الإنساني وهم الرُّسُلُ ـ صلواتُ الله وسلامُهُ عليهم ـ، فما له إلاَّ إظهارُ الذِّلَّةِ والافتقارِ، كما تقتضي نشأتُهُ الإمكانيَّةُ ومقامُ العبوديَّة.

واعلم أنه يُقَرَّرُ عند أهل الكشفِ والتَّحقيق أنه ما مِن حُكْمٍ للكونِ إلاَّ وله مُسنَدٌ إلٰهِيٌّ يُسندَ إليه، فمنه ما يُطلقُ، ومنه ما يُعْرَفُ ولا يُقالُ، بل يُسْكَتُ عنه أدباً، فالذِّلَّةُ والافتقارُ من أيِّ حقيقةٍ مِنَ الحقائق الإلٰهيَّة كان وقد قال لأبي يزيد: تقرَّبْ إليَّ بما ليس لي الذِّلَّةُ والافتقارُ.

واعلم أنه مَن توقَّف عليه حُكْمٌ من أحكامِ الحاكِم فلا بدَّ له أن يطلُبَهُ لإمضاءِ الحُكم، ولو كان المطلوب حاصِلاً ما عليه ما طَلَبَهُ، وظُهورُ حقائِقِ الأسماء الإلٰهيَّة مُتوقِّفة على وجود المظاهِرِ المُتعيِّنة، كرُبُوبيَّة الرَّبِّ على المربوب، وقُدْرَةِ القادِرِ على المَقْدُورِ، وعِلْمِ العالِمِ على المعلُومِ، وليست المظاهرُ سِوى آثار هذه الأسماء بل الأسماءُ، فإنه ما مِن اسمٍ مِنَ الأسماء الإلٰهيَّة إلاَّ ويتوقَّفُ على اسمٍ مِنَ الأسماءِ في الحُكْم بالإيجاد والإعدام، فما توقَّفَتِ الأسماءُ إلاَّ على الأسماء، والأسماءُ عينُ المُسمَّى، فمنه وإليه كان الأمْرُ.

* * *

السَّمِيــعُ

السَّمِيعُ الذي يُدْرِكُ المسموعات سِرّاً وجَهْراً، لا يشغُلُهُ سِماعٌ عن سِماع، ولا يَعْزُبُ عن إدراكه مسموعٌ وإن يَخْفَى، ويسمَعُ السِّرَ والنَّجْوَى، بل هو أدَقُّ من ذلك وأخْفَى.

اعلم أنَّ الحقَّ ـ جلَّتْ عَظَمَتُهُ ـ عند سَمْعِ كل سامِعٍ بحسب استعداد ذلك السَّامِعِ، كما أنَّه تعالى عند لسان كل قائلٍ، وما ثَمَّ قائِلٌ إلاَّ هو سامِعٌ، فسَمْعُ كل سامِعٍ لا يكونُ إلاَّ مِن هذه الحَضْرَةِ السَّمِيعِيَّةِ.

لكن مِنَ السَّامِعِينَ مَن لا يفهم ممَّا يسمَعُ إلاَّ دُعاءً ونِداءً، فحظُّ مثلَ هذا السَّامِعِ من قولِ المُتكلِّم صورتُهُ دون رُوحِهِ، فإنَّ للكلام رُوحاً وهو معناهُ الذي أُريدَ به، وصُورةً وهو مجرَّدُ اللَّفظِ، وهذا مِن ﴿كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنفال: الآية 21]، إلاَّ أنه لا فرق بين الأصمِّ الذي لا يَسمعُ وبين مَن يَسمعُ ولا يفهَمُ ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الأنفال: الآية 22].

ومنهم: مَن يكونُ سماعُهُ مع الفَهْمِ لِما أُرِيد له ذلك المَسْمُوعُ لِكمالِ استعداده، وهو الذي كان الحقُّ سَمْعَهُ وبَصَرَهُ.

وعلامَةُ السَّامِعِ الكامِلِ أن يكون عينُ سَمْعِهِ عينَ فَهْمِهِ.

فإنَّ السامِعَ: إمَّا مُكاشِفٌ عارِفٌ أو غيرُ مكاشِفٍ.

وغيرُ المكاشِفِ لا يسمعُ كلام الحقِّ إلاَّ مِن خبرٍ إلٰهي على لسان رسولٍ أو كتابٍ مُنزَّلٍ أو رُؤْيَا، فَهَيَّأَ ذاتَهُ للعمل بمُقتضى ما سَمِعَ، أو بالقيام على خلافِهِ بحسب ما يحْكُمُ عليه التَّوفيقُ أو الخُذلانُ.

والعارِفُ يسمَعُ ويَنْظُرُ في خِطابِ الحقِّ إيَّاهُ، في ما يسمَعُهُ من كل مُتكلِّم في الأكوان، فيرى نَفْسَهُ مخاطباً بذلك الكلام، ويُبْرَزُ له، فما يفهمُهُ به يعملُ بمُقتضاه، ونفسه أيضاً عينٌ من أعيانِ الأكوانِ، وإنْ كان الإنسانُ كثيراً ما يُحدِّثُ نَفْسَهُ، بل أكثرُ أعمالِ المَرْءِ بمُقْتضَى ما يُؤَمِّلُ نَفْسَهُ ويُحَدِّثُ به، فإذا كان المتكلِّمُ بالحديثِ نَفْسَ العارِفِ فذلك إعلامُ الحَقِّ في مرتبة النَّجْوى، فيُراقِبُ نَفْسَهُ، فإنه قائِلٌ في نَفْسِهِ، سامِعٌ منها فيما هي مُتكلِّمة بقولٍ وبما هو ذُو سَمْعٍ يَسْمَعُ ما يقول، فإنَّه ليس في كلامِ الشَّيءِ نَفْسَهُ صَمَمٌ أصلاً، فإنه لا يُكلِّمُ نفسه إلاَّ بما يفهمه، فعينُ السَّمْعِ في هذه المرتبة عينُ الفَهْمِ، وفيه إشارة إلى أنَّ الحق سبحانه كان مُتكلِّماً سَمِيعاً ولا كَوْنَ ولا مَكانَ، والآن على ما عليه كانَ.

* * *

البَصِيــرُ

البَصِيرُ بأمُورِ عِبادِهِ، البَصِيرُ عِبارَةٌ عمَّن رُؤْيَتُهُ صِفَةُ ذاتِهِ لا بِجَارِحَةٍ، وللمُسْتَمِدِّ من آثارِ هذه الحضرَةِ ثلاثُ مراتب:

الأول: إما أن يَعْبُدَ الله كأنَّه يراهُ.

الثاني: وإما أن يعبده لعلمه بأن الله يراهُ، والأول قريبٌ إلى التَّشبيه، والثاني إلى التَّنزيه.

والثالث: أرْفَعُ منهما، وهو للكامِلِ المُحقِّقِ الذي يعبُدُ الحقَّ بالحقِّ، يقول بالتَّشبيه ويشهَدُ التَّنزيه وبالعكس، ليس هو مِنَ المؤمنين به، لأنَّ المؤمِنَ محجُوبٌ مِنْ حيث إنه مؤمن بقول المُخْبِرِ، والمكاشَفُ صاحِبُ شُهُودٍ، يُشاهِدُ صِدْقَ المُخْبِرِ مُشاهَدَةَ عينٍ.

وصاحِبُ هذا المقام ذُو عينين: عينِ بَصَرٍ وعينِ بَصِيرَةٍ، وإنَّهما له بمثابة كفَّتَي الميزانِ، يخْفِضُ تارةً ويَرْفَعُ أُخرى، لعلمه بالمواطِنِ وما يقتضي كلُّ موطِنٍ من الحُكْمِ، لا يتعدَّى أبداً، فتراهُ في موطِنٍ يرحَمُ الخَلْقَ ويُرافِقُ بهم، فإذا حضَرَ إقامَةُ حدٍّ من حدود الله أزال حُكم الرَّأفَةِ، وأقامَ الحَدَّ، لتحقُّقِهِ بِسِعَةِ الرَّحمة الإلٰهيَّةِ، وكمالِ رَأْفَتِهِ بعباده، ومع ذلك شَرَعَ الحُدُود، وأمر بإقامتها، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النُّور: الآية 2].

وعَذَّبَ أقواماً، وأهلكهم بأنواع العذاب بمقتضى حِكْمته، فصاحِبُ البصيرة لا يزال ميزان الشَّرع في يديه، يزِنُ به أفعالَهُ وأقواله قبل وقوعها، فإن عَلِمَ أنها تَقُودُ به إلى محلِّ السعادة أمضاها، وإلاَّ أمْسَكَها، وحَمَى نَفْسَهُ عنها، ولَمَّا أخبرَ الحقُّ ـ سبحانه وتعالى ـ أنه جعل للإنسان عينين أَخْبَرَ عن نَفْسِهِ تعالى أنَّ له

أعْيُناً، قال جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطُّور: الآية 48]، وهي أعْيُنُ الخَلْقِ ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية 198]، ولكن لا يعلمون إلاَّ مَنْ فَتَحَ الله عَيْنَهُ بنُورِ العَيَانِ فيُشاهِدُ ذلك.

ومِنْ أهلِ هذا الشُّهود مَن يستنْكِفُ عن البعض، لِمَا يرى فيه من النَّقص في الإدراك.

ومنهم مَنْ يتلاشى رَسْمُهُ في أشِعَّةِ أنوار العَظَمَةِ، وينمحي رقم وجوده عن لوحِ التقييد، لاستغراقه في تيَّارِ بحرِ الشُّهود، فيُرْسِلُ عِنانَ أمْرِهِ مع الحقِّ في إطلاق استرسال الرُّؤْيَةِ، لعدم تميُّزِهِ بأحكام الشُّهود المقدور، فيرى المقدور كما يراهُ الحقُّ من حيث وقوعه، لا من حيث الحُكم عليه، ويرتفع عنه الحكم بارتفاع التَّمَيُّزِ، وذلك لا يقدحُ في حالِهِ، لأنها خارجةٌ عن الوَزْنِ، لِفَنَاءِ صاحِبِهِ في الله، وفي هذا المقام يقول الحقُّ عزَّ سُلطانه لعبده: «**اعْمَلْ ما شِئْتَ فقد غَفَرْتُ لَكَ**»(1).

وصاحِبُ هذا الحال لا يشاءُ إلاَّ بمشيئةِ الحقِّ، وإن كان الحقُّ لا يُبِيحُ الفَحْشاء، فالفحشاءُ محكوم عليها في تلك الأعمال، ويزول الحكم في حقِّ هذا الشخص، ويبقى عينُ العملِ، لوقوع السَّتْرِ بينه وبين الحُكم، كما وقع بين فِعْلِ المغفور وبين العقوبة، وهو كالمقتول في سبيل الله عُجِّلَتْ له جَنَّتُهُ في الدُّنيا، وإن أُقِيمَ عليه الحدُّ، فذلك مِن جَهْلِ الحاكِمِ بالمقام الذي هو فيه.

* * *

(1) رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر تفضل الله جلَّ وعلا على التائب المعاود، حديث رقم (625) [2/ 392] ورواه النسائي في السنن الكبرى، ما يقول إذا أذنب بعد ذنب، حديث رقم (10252) [6/ 111] ورواه غيرهما.

الحَــاكِــمُ

الحاكِمُ بِما حَكَمَ، وأنْزَلَ مِنَ الأحكام المشروعة لِمَنْعِ الخَلْقِ عن الظُّلم، فهو الحَكَمُ الذي لا يقعُ في وَعْدِهِ رَيْبٌ، ولا يُوجَدُ في فِعْلِهِ عَيبٌ.

اعلم أنَّ هذا الاسم مماثلٌ لاسم العَلِيمِ من وجه، وذلك أنه من شرْطِ الحكم أن يكون الحاكِمُ عالماً بالحُكْم لا بالمحكوم له وعليه، ولذلك يجب عليه الحكم بلفظ الشُّهود والإقرار، وإن كان الإقرارُ كَذِباً والشَّهادَةُ زُوراً.

وأيضاً كما أنَّ العِلْمَ لا أثَرَ له في المعلوم، كذلك لا أثر للحُكْمِ في المحكوم عليه، بل المحكوم عليه جعل الحاكِمَ حاكِماً، كما أنَّ المعلوم جعل العالِمَ عالِماً، لكون العلم تَبَعاً للمعلوم.

ويُميَّزُ عن العليم من وجه آخر، وهو أنَّ العِلْمَ تابعٌ للمعلوم، وليس الحُكم تابِعاً للمحكوم عليه أو له، بل هو تابعٌ لشرطِ الحُكْمِ والشَّاهِدِ أو الإقرار.

وأيضاً للحاكم أن يحكم بغلبة ظنِّه، وإن لم يُصادف الحقَّ في الحُكم لا يُلْزَمُ شَرْعاً، ويُسمَّى الحُكم وليس العِلْمُ كذلك فإنه لا يُسمَّى عالِماً إلاَّ بعد تحقُّقِهِ المعلومَ، فالمحكوم عليه جعلَ الحاكِم حَكَماً على نَفْسِهِ، فهو الحَكَمُ على نفسه، لأنه ما حَكَمَ الحاكِمُ إلاَّ به، وهذا مِنْ سرِّ القدَرِ، فإنَّ الله تعالى ما حَكَمَ على الأشياء إلاَّ بالأشياء وما تقتضي خصوصياتها وقابلياتها واستعداداتها، فما جاءها شيءٌ من خارجٍ، وإنما هي أعمالُهُم تُرَدُّ عليهم.

* * *

العَـــدْلُ

العَدْلُ هو المَيْلُ، وقيل: هذا مصدرٌ أُقِيمَ مقامَ الاسم، هو الذي يُخافُ من عدلِهِ، ولا ييأسُ من فضْلِهِ، فعدْلُهُ في أفعاله دليلُ ما صدَقَّهُ في إنزالِهِ.

لمَّا كان أمور مراتِبِ الأكوانِ مَبْنياً على المَيْلِ والعدولِ سمَّى نَفْسَهُ العَدْلَ، لعُدُولِهِ عن الوجوبِ إلى الإمكان، وعَدْلِهِ المُمكنات من حضرة الثُّبوتِ إلى حضرةِ الوجود، فما في الكون إلاَّ العدلُ، وما ظَهَرَ الوجود إلاَّ بالعدلِ، كما أنَّ المؤمن عَدَلَ عن الباطِلِ إلى الحقِّ، كذلك الكافِرُ عدَلَ عن الحقِّ إلى الباطِلِ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: الآية 1].

أَخْبَرَ الحقُّ أنه ما عَدَلَ مَنْ عَدَلَ ـ كان العدلُ ما كانَ ـ إلى الحقِّ أو إلى الباطِلِ إلاَّ به وبإرادته ومشيئته، لأنه لا حَوْلَ ولا قوَّةَ إلاَّ به، وإنما سمَّاهم كُفَّاراً لأنهم ستروا وجه الإطلاق بتقييدهم، وإنما صَدَرَ السِّتْرُ عنهم لأحد الأمرينِ:

الأول: إما لأنهم ستروا عين البصيرة عن التصرُّفِ الصحيح، واقتصروا على ما بدا لهم، ولم يُوفُوا النَّظر حقَّهُ، ليظهر لهم حقيقة الأمر على ما هو عليه في نفسه، فحُرِمُوا بتقصيرهم الخير الكثير.

الثاني: وإما لأنهم بعد إمعانِ النَّظر عَلِمُوا وأشهدوا الأمر على ما هو عليه، ولكن جحدوا وسَتَرُوا عن الغير، لمنفعةٍ كانت تحصلُ لهم مِن مالٍ وجاهٍ، كما فعَلَ أحبارُ اليهود، فالمَيْلُ عينُ الاستقامة لكلِّ عينٍ من أعيانِ عالَمِ الإمكان في مراتِبِ الوجودِ، وإن توَهَّمَ النَّاظِرُ خِلاف ذلك، كما يُشاهَدُ من اعْوجاجاتِ أغصانِ الأشجار، ومَيْلِهَا، وتداخُلِ بعضها على بعضٍ، فإنَّ ذلك كلَّها مستقيمة في عينِ المَيْلِ عند المحقِّقِ، لأنها مَالَتْ بحُكم جريانِ الطَّبيعة في مجارِيِّ

موادِّها، كذلك مَيْلُ أعيانِ أغصانِ الأشجار، وتداخُلِ بعضها على بعضٍ، فإنَّ ذلك كلَّها أغصانُ شجرةِ الكونِ في مراتِبِ جُزْئياتها واختلاف حالاتها، وتوجُّهُها إلى غاياتها وإخراجُ كمالاتها إنما هو بحُكم جَرَيانِ حِكْمَةِ فاطِرِها وتصرُّف مُوجِدِها: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هُود: الآية 56].

* * *

اللَّطِيـــفُ

اللَّطِيفُ بسَرَيانِهِ في أفعالِ الموجودات، واخْتِفاءِ لطائِفِ حِكْمَتِهِ في مظاهِرِ الكائناتِ، هو الذي يَسَّرَ كلَّ عَسِيرٍ، وجَبَّرَ كُلَّ كسِيرٍ.

اعلم أن حقائق هذا الاسم وأسرارهُ عَمَّتْ مراتِبَ الوجود، واللَّطيف مأخوذٌ من اللُّطْفِ وهو الخَفَاءُ، وأغْرَبُ مَثَلِهِ خَفِيَّاتُ أَلْطافه مَدِّ الظِّلِّ وقَبْضِهِ، فإنَّ البصر لا يُدْرِكُ غير امتداده وانقباضه حالاً بعد حال، ولا قُدرة له على شهود حركته المحسوسة على الدَّوام، فضلاً عن شهود حقيقة خروجه من الأصل الحقيقيِّ ورجوعه إليه، فإنَّ الظلَّ إذا أَخَذَ في الامتداد ما يخرُجُ مِن ذاتِ الشَّخص، وكذلك إذا انقَبَضَ لا ينقبِضُ إلاَّ إلى ما منه خرَجَ، هذا شهادةُ العين، ويقول الحقُّ عزَّ شأنه: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الفرقان: الآية 46] إشارة إلى أنَّ عينَ ما خرَجَ منه هو الحقُّ سبحانه، ظهَرَ بصورة خَلْقٍ فيه ظِلٌّ، يُبْرِزُهُ تارَةً ويَقْبِضُهُ أخرى، وكما أضاف القبض إلى نفسه، كذلك أضاف امتداده إليه بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: الآية 45] وهذا من ألْطَفِ الإشاراتِ، فإنَّ العين تَدْرُكُ وتَشْهَدُ حركَةَ الامتداد وانقباضه من ذات الكثيف، وهي في الحقيقة من لطائِفِ تصرُّفات القويِّ اللَّطيفِ، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النِّساء: الآية 80] إشارة إلى سَرَيَانِ هذا اللُّطف الإلٰهيِّ الذي هو كسَرَيانِ نُورِ الشَّمس في أجزاءِ الجَوِّ وامتزاجهما بحيث لا تقعُ الإشارة على أحدهما إلاَّ ويُشاركه الآخر، فالإشارة إلى النور إشارة إلى الهواء، والإشارة إلى الهواء إشارة إلى النور، كذلك سبَبُ اختِفاءِ الذَّاتِ المُتعالية شِدَّةُ ظهورِهِ واحتجابُه عن الإدراك بِسُبُحاتِ نُورِهِ.

❊ ❊ ❊

الخَبِيــرُ

الخَبيرُ بمعنى العَلِيمُ، وقيل: الخبيرُ، هو الذي أخْبَرَ عمَّنْ شاءَ، لا تبدِيلَ لِحُكْمِهِ، ولا تحويلَ لقوله.

اعلم أنَّ تعلُّق عِلْم الخِبْرَةِ تعلُّقٌ خاصٌ، وهو العِلْمُ الحاصِلُ بعد الابتلاءِ، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ [محمَّد: الآية 31]، وهو يعلَمُ ما يكون قبلَ كَوْنِهِ لِعِلْمِهِ به في ثُبُوتِهِ، ولا يقعُ في مراتب الأكوان الوجوديَّة إلاَّ ما كان ثابتاً في الأعيان الثُّبُوتيَّة، ولكن أوْجَبَ الاختبارَ والابتلاءَ لإقامةِ الحُجَّةِ، والابتلاءُ نتيجةُ الدَّعوى وثَمَرَتُهُ، وهي أصْلُهُ، فحيثُ كانت الدَّعوى كانَ الاختبارُ، ومَنْ وصفَ نَفْسَهُ بأمرٍ توجَّهَ عليه الاختبار والابتلاء، والتَّكليفُ ابتلاءٌ وقد عَمَّ، وإنْ لم يَعُمَّ الدَّعوى بِحِكْمَةٍ مستورة به كما أخبر الحقُّ عنه بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: الآية 25].

فعَمَّتِ البَلْوَى كما عمَّتِ الرَّحمةُ، ولكن لا يُقاوِمُ عمومها عموم الرَّحمة، لأنها عُسْرَةٌ واقِعَةٌ بين يُسْرَيْنِ، لِكَوْنِ مَوْقِعِهَا بينَ رَحْمَةِ الامتنانِ ورحمةِ الغُفران.

وإنما قلنا بعموم رحمةِ الغفران لعموم البِشَارَةِ، وهو قوله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر: الآية 53] ولَمَّا لم يكن للكريمِ المُطْلَقِ ظُهُورٌ إلاَّ بالمُسْرِفينَ والمُذْنِبينَ عمَّتِ البَلْوَى لِتَعُمَّ المَغْفِرَة.

❊ ❊ ❊

الحَلِيــمُ

الحَلِيمُ الذي لا يُعَجِّلُ بالانتقام لمن عصاهُ مِنَ الأنام، غَفَرَ بعدَ ما سَتَرَ، وعَفَىٰ بعد ما نَظَرَ، وأَمْهَلَ وما أَهْمَلَ، ولم يُسارِع بالمُؤاخَذَةِ لِمَنْ عَمِلَ.

اعلم أنَّ مِن شأنِ هذا الاسم إثباتُ الاقتدارِ، فإنَّ صاحِبَ العَجْزِ عن إنْفاذِ اقتداره لا يُسمَّى حَليماً، فلا حِلْمَ إلاَّ بإمهالِ القادِرِ على الأَخْذِ، وأَصْلُ الحِلْم في اللُّغة الإفادَةُ، ولذلك سُمِّيَ النَّوْمُ الحُلْمَ، لإفادَةِ المعْنَى عن صورته، فيُعَبِّرُ العارِفُ تلك الصورة إلى المعنى الذي جاءَتْ له، فيَرُدُّها إلى أَصْلِهَا، كما أَفِدَ العِلْمَ فأَظْهَرَهُ في صورةِ اللَّبَنِ، فرَدَّهُ رَسُول الله صلَّى الله عليه وآلِهِ وسلَّم بتأويل رُؤْياهُ إلى أَصْلِها، وهو العِلْمُ.

وقد يقعُ الحُلُمُ في اليَقْظَةِ أيضاً كظُهُورِ المَلَكِ في صورة البَشَرِ، فالمحجوبُ يُبْصِرُ بَشَراً، والكامِلُ لا يُراعِي إلاَّ الحقيقة المَلَكِيَّة، ولَمَّا كان مُخالفة القادر يقتضي المؤاخذة والانتقام، فأَفَدَ حُكْمُ اسم الحليم في موطِنِهِ سلطَنَة المُنتقم بالإمهال، ولذلك قال عزَّ مِن قائلٍ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [النِّساء: الآية 133] لاقترانِ القُدرةِ مع الحِلْمِ والإمهالِ، ولا يشاءُ إلاَّ ما هو الأمر عليه، لأنَّ الإرادة تتبَعُ للعِلْمِ، والعلمُ يتبعُ المعلوم، والمعلومُ ما ظَهَرَ، فلا تبديل لكلمات الله.

* * *

العَظِيـــمُ

العَظِيمُ لِعُلُوِّ شأنِهِ في قلوبِ العارفين، الذي عَجَزَتِ الأبصارُ عن إدراكِ سُرادِقاتِ عِزِّهِ، وكَلَّتِ الألْسُنُ عن وصْفِ جلال قُدْرَتِهِ.

اعلم أنَّ الواقِفَ في مقامِ العَظَمَةِ إمَّا مؤمنٌ وإمَّا صاحِبُ شهودٍ، وذلك أنَّ الأمر يُعَظَّمُ بقَدَرِ ما يُنسبُ إليه من التَّفَرُّدِ بالاقتدارِ ونُفُوذِ الأحكامِ، فإذا كان الكِبرياءُ والاقتدارُ بحيث لا قُدْرةَ لأحدٍ على رَدِّ حُكْمِهَا، ولا نَفْيِ شيءٍ لأمْرِها، عَظُمَ وَقْعُهَا في القلب حتى ينتهي إلى الحَيرَةِ والدَّهَشِ، وظُهورُ عَظَمَةِ الحقِّ ـ تعالى كِبرياؤُهُ ـ في قلوب أهل الإيمانِ إنَّما هو بحَسَبِ معرفَتِهِم بآثارِ الأسماءِ الإلٰهيَّة، فمَنْ كان مَعْرِفَتُهُ بِصِفاتِ الحقِّ أكْمَلَ كان سَطْوَةُ تجلِّياتِ العَظَمَةِ في باطِنِهِ أَتَمَّ، ولذلك كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وآلِهِ وسلَّم يقول: **«أنا أَعْلَمُكُمْ بالله وأخْشَاكُمْ منه»**[1].

وأمَّا صاحِبُ الشُّهودِ فلا يحصلُ له صَوْلَةُ العَظَمَةِ إلاَّ مِن التَّجليَّات الجلاليَّة، مِنْ غيرِ أنْ يَحْصل له شيءٌ من تأثيراتِ الأسماءِ، ولا مِنَ الأحكام الإلٰهيَّةِ، بل بمجرَّدِ التَّجلِّي يحصلُ العَظَمَةُ في نَفْسِ مَن يُشاهِدُهُ، وشهُودُ هذه العَظَمَةِ لا تحصلُ إلاَّ لمن يكون الحقُّ سَمْعَهُ وبَصَرَهُ، لا لِمَنْ شاهَدَهُ بنفسِهِ كالمُشاهِدِ بحسَبِ عقله وما يقتضي دليلُهُ المُقيَّدُ، فعلى هذا ما عُبِدَ الله قَطُّ من حيثُ ما هو عليه وإنما عُبِدَ من حيثُ ما هو مَجْعُولٌ في نَفْسِ العابِدِ بحَسَبِ

(1) رواه البخاري بلفظ: «إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا» الصحيح، باب قول النبي ﷺ: أنا أعلمكم بالله. . .، حديث رقم (20) [1/16].

اعتقادِهِ في الله، ولهذا السِّرِّ أقامَ الحقُّ عُذْرَ عِبادِهِ بقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعَام: الآية 91] لاشتراكِ الكُلِّ في الجَعْلِ وتَقْييدِهِ المُنَزِّهِ وغيرَ المُنَزِّهِ، فلا شُهُودَ أعظَمُ ممَّا ارْتبطت عليه أفْئِدَةُ العارفين من العقائد، الذين يشهدونه من غير تقييدٍ، فلا يلحَقُ عَظَمَتَهُمْ عَظَمَةُ مُعَظِّمٍ أصلاً.

* * *

الغَفُـــورُ

الغَفُورُ مَضَى ذِكْرُهُ في حقائِقِ اسْمِ الغَفَّارِ[1].

* * *

(1) انظر شرح اسم الله تعالى (الغفَّار) صفحة 53.

الشَّكُـورُ

الشَّكُورُ بمعنى المَشْكُورِ بِما شَكَّرَ عِبادَهُ عليه مِن عَمَلِهِمْ بطاعتِهِ، ووقوفهم عند حدوده، ليُبالِغُوا فيها شُكْرَهُم عليه، هو الذي رَزَقَ العباد، وأعطاهُم ما كان عليه فَرْضٌ، وإذا سألَهُمْ قالَ: عَلَيَّ فَرْضٌ.

اعلم أنَّ المُوجِبَ للشُّكر هو الإنعامُ، والنِّعمةُ عبارة عمَّا يقعُ به إلْتِذاذٌ، وهي إما باطنةٌ كالعِلْم والحِكمة والمَعْرِفة، وإما ظاهرة كالمأكُولِ والملبُوس والمنكُوح، وأعظَمُهَا النِّكاحُ، وهو إمَّا لإنتاجِ وإيجادِ أعيانِ الأمثالِ لزيادَةِ الشَّاكِرِينَ على بِساطِ الشُّكرِ، وإمَّا لمُجرَّد اللَّذَّةِ وهو مِنْ أعظمِ النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ ولذلك امْتَنَّ به الحقُّ على رسوله حيث حَبَّبَ النِّساء إليه مع قِلَّةِ أولاده، فلم يكُنِ المُرادُ إلاَّ عينَ النِّكاحِ مثل نِكاحِ أهلِ الجنَّة لمُجرَّدِ اللَّذَّةِ لا للإنتاج، لِيَشْهَدَ مَشْهَدَ الامتنانِ بشُهُودِ هذه اللَّذَّةِ الدَّالَّةِ على اللَّذَّاتِ الخالِصَةِ الجِنانِيَّةِ.

واعلم أنَّ الحقَّ ـ عزَّ شأنُهُ ـ لمَّا وصفَ نفسه بأنه شكُورٌ يَشْكُرُ عِبادَهُ، طالَبَهُم بالشُّكر ليظهروا بصفته لكونهم على صورته، ولا يُوَفِّي العبدُ حقَّ الشُّكر إلاَّ بأن يَرَى النِّعْمَةَ منه كما ورد في الخبر أنه تعالى **«أوْحَى إلى مُوسى عليه السَّلام أنِ اشْكُرْ لي الشُّكْرَ، قالَ: ومَنْ يَقْدِرُ على ذلك يا رَبِّ؟، قالَ: إذا رَأَيْتَ النِّعْمَةَ منِّي فَقَدْ شَكَرْتَني»**[1].

وفيه تنبيهٌ، وهو أنَّ له رُؤْيَةَ النِّعمة الباطِنَةِ العِلميَّةِ مِن العبد، كما أنَّ للعبد

(1) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومراجع. وأورد نحوه الإمام الرازي في التفسير الكبير بلفظ: «ونقل أن داود عليه السلام قال: يا رب كيف أشكرك وشكري لك لا يتم إلا بإنعامك عليَّ وهو أن توفّقني لذلك الشكر، فقال: يا داود لما علمت عجزك عن شكري فقد شكرتني بحسب قدرتك وطاقتك».

رؤية النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ منه، لِتَوقُّف العِلْمِ على المعلوم، وزيادة تعلُّقاته بتنوُّعِ أحوالِ العبد، وهو سِرُّ قوله حتَّى تَعْلَمَ، وفي الحقيقة هو عِلْمُهُ بنفْسِهِ بحُكْمِ سَرَيَانِ الهُوِيَّةِ في مراتِبِ الكوْنِ، ولهذا قال عليه السَّلامُ: «**الصَّدَقَةُ تَقَعُ بِيَدِ الرَّحْمانِ**»[1]، وقال تعالى: ﴿هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: الآية 104] فيَدُ السَّائِلِ صُورَةٌ حجابيَّةٌ عن يدِ الرَّحمانِ، وهي تقعُ في يدِ الرَّحمانِ قبل وقوعها في يدِ السَّائِلِ.

ويقول تعالى له: «**جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمْنِي**»[2]، وهذا ثَبَتَ في صحيحِ مُسلم، فعند هذا القول كان الحقُّ حِجاباً على العبد، وعند الأَخْذِ والعَطاءِ كان العبدُ صُورةَ حِجابيَّةً عن الحقِّ، فتحقَّق أيها المُنَعَّمُ الطَّالِبُ أنه ما أَنْعَمَ إلاَّ هو، ولا قَبِلَ الإنعامَ إلاَّ هُوَ، واشْكُرْ على نِعْمَةِ هذا الشُّهُودِ، فإنَّهُ الشَّاكِرُ والمَشْكُورُ، لا إِلٰهَ إلاَّ هُوَ.

* * *

(1) رواه الطبراني بلفظ: «إن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل...» المعجم الكبير، حديث رقم (8571) [9/ 109].

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

العَلِـيُّ

العَلِيُّ في شأنِهِ، لِعُلُوِّهِ بذاتِهِ عمَّا يليقُ بِسِماتِ الحُدُوثِ وصِفاتِ المُحْدَثاتِ.

اعلم أنَّ العُلُوَّ إما أن يكون بالمكان أو بالمكانة أو بهما جميعاً.

فأعْلى الموجودات بالمكانة والمكان مَنْ وَجَبَ له الوجود لنفسه استقلالاً، لم يفتقر إلى غيره، فكان له الغِنَى صفةً ذاتيَّةً، وكلُّ ما سِواهُ يفتقرُ إلى فَيْضِ وجودِهِ، ويُذْعِنُ لِسَطْوَةِ سُلطانِهِ، ويَلْجأُ إلى جَنابِ عِزِّهِ، ومَنْ كان بهذه الصفة لا بدَّ أن يكون له عُلُوُّ قَدَرٍ ومكَانَةٍ في قلوب العارفين، وكلُّ مَنْ كان وجودُهُ بغَيْرِهِ من أفرادِ أعيانِ مراتِبِ الكونِ فهو مُستوٍ لعُلُوِّ تصرُّفات هذا العلِيِّ، فكُلُّ ما سوى الحقِّ عَرْشُ الرَّحمانِ، لظُهُورِهِ مِن حقائِقِ سَرَيانِ النَّفَسِ الرَّحمانية وقيامه به وإن لم يَشْعُر بذلك، ومِنْ هذا السرِّ ظَهَرَ العُلُوُّ فيمَن عَلا في الأرض أو أرادَ العُلُوَّ، لجهلِهِ بحقيقةِ العُلُوِّ الذي هو رُتْبةٌ لا تَلِيقُ إلاَّ بجانِبِ مَنْ تفرَّدَ بالقُدرةِ والبقاءِ، وأحاطَ وجُودُهُ بالكُلِّ، وأشْمَلَ لطائِفَ وجُودِهِ الكُلَّ، فهو العَلِيُّ مِنْ حيثُ مجموعِيَّتِهِ الأحدِيَّةِ وأحدِيَّتِهِ المجموعيَّة، لا من حيث أفراده المجموع، ولذلك قال عزَّ اسمه: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القَصَص: الآية 83] إشارةً إلى اهتمامِ قلبِ العبدِ وانضمام عَزْمِهِ لوقُوعِ أمْرٍ، وإنْ لم يظهَرْ في الحِسِّ فإنها واقِعَةٌ في الحَضْرَةِ العِلميَّةِ، فطُلاَّبُ الرِّئاسة ـ وإنْ لم يظهَرْ ذلك منهم لِمانِعٍ ـ فقد حُرِمُوا الخيرَ الكثيرَ، لأنهم أرادوه وحصَلَ في نفوسهم، غير أنه لم يحصل في أرضِ النُّفوسِ، والعبدُ المُتَلَبِّسُ بصفَةِ سيِّدِهِ لابِسٌ ثوبَ زُورٍ لا تَقْبَلُهُ ذاتُهُ، ولهذا لا يعترِفُ مخلوقٌ بعُلُوِّ مخلوقٍ قطُّ عند

مشاهدة العَيْنِ، ولا يُعَظَّمُ أحدٌ في عينِ أحدٍ إلاّ المحبوبُ في عينِ المُحِبِّ، هذا حظُّ العامَّة من أحكامِ عُلُوِّ العَلِيِّ.

وأما حظُّ العارِفِ مِن هذه الحَضْرَةِ شُهُودُ عِلْمِهِ بذاته، وما يقتضي حدوثه من مقامِ الانحطاط وبُعْدِهِ عن رُتْبَةِ العُلُوِّ، ومُطالعته العناية الإلٰهيَّة والتَّشريفَ الرَّبانيّ لَهم، بإضافته العِبَادَ إليه الذي كان بهم علِيّاً، لأنه لولا انحِطاطُ المُمْكِن ما ظَهَرَ لِعُلُوِّ العَلِيِّ سُلطانُه.

* * *

الكَبِيــرُ

الكَبِيرُ الَّذي احْتَجَبَ بِرداءِ الكِبرياءِ عن دَرْكِ الإدراكِ، قال الحقُّ جلَّ ذِكرُهُ: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية: الآية 37]، وقال تعالى: «**الكِبْرِياءُ رِدَائِي**»[1]، والرِّدَاءُ حِجابُ المُرْتَدِي عن الغَيْرِ، وأخبر أيضاً أنه تعالى: «**مَا وَسِعَهُ سَمَاؤُهُ ولا أَرْضُهُ ووَسِعَهُ قَلْبُ عَبْدِهِ المُؤْمِنِ**»[2]، وقلبُ الشيء باطِنُهُ، فظاهِرُ العبدِ حِجابٌ عليه، فهو ردائه، لكونه مخلوقاً على صورته، ولمَّا كانت صورة الخَلْقِ عينَ الكِبرياءِ للحقِّ والحِجابِ على ذاتِهِ أو وجهِهِ، لا يَخْلُو الحِجابُ عن شهود المُحْتَجِبِ به لكن بوجهه الباطن، فإنَّ للرِّداءِ ظاهِراً وباطِناً، فيَشْهَدُهُ الرِّدَاءُ بباطِنِهِ، ومِنْ هذا المقام قالَ مَنْ قالَ:

رَأَيْـتُ رَبِّـي بِـعَـيْـنِ قَـلْـبِـي ... فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنْتَ[3]

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، حديث رقم (203) [1/ 129] ورواه ابن حبان في الصحيح، باب التواضع والكبر والعجب، حديث رقم (328) [2/ 35] ورواه غيرهما.

(2) ورد هذا الحديث بلفظ: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن». أورده علي القاري في المصنوع برقم (293) [1/ 164] وأورده غيره.

(3) أحد أبيات تنسب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وجاءت الأبيات كاملة على النحو التالي:

رأيـتُ ربّـي بِـعـيـنِ قـلـبـي ... فـقـلـتُ لا شـكَّ أنـت أَنـتـا
أنـتَ الـذي حُـزت كُـلَّ أيـنٍ ... بِـحـيـثُ لا أيـنَ ثـمَّ أَنـتـا
فـلـيـسَ لـلأيـنَ مـنـكَ أيـنٌ ... فـيَـعـلَـمُ الأَيـنُ أيـنَ أنـتـا
ولـيـسَ لِـلـوَهْـم فـيـكَ وَهـمٌ ... فـيَـعـلَـمُ الـوَهـمُ كـيـفَ أنـتـا
أحَـطـتَ عِـلـمـاً بِـكُـلِّ شـيءٍ ... فـكُـلُّ شـيءٍ أراهُ أنـتـا =

ولا يَرَاهُ ظاهِرُ الرِّدَاءِ أبداً إلاَّ إذا انْقَلَبَ، ولا يَنْقَلِبُ.

وعند صاحب هذا الشُّهود يتحقَّق صِدْقُ قول الفريقين: مُثْبِتُ الرُّؤيَةِ مِن الأشاعِرَةِ ومُنْكِرُهُ مِنَ المُعتزلة، ويُعْلَمُ أنَّ ظاهِرَ العالَم مجالٍ ظاهِريَّة للحقِّ مِنْ الاسمِ الظَّاهِرِ تعالى للمُحَقِّقِ الجامِعِ من حيث العالَم إحاطَةٌ لا يتقيَّدُ بجِهَةٍ خاصَّة: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البَقَرَة: الآية 115]، ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ [فُصِّلَت: الآية 54].

والرِّداءُ حائِلٌ بين ظاهِرِ العالَم وباطِنِ العبدِ، والحقُّ ظاهِرٌ لباطِنِ الرِّدَاءِ أبداً، وإنْ لم يشعُرْ رِدَاءُ الباطِنِ ظاهِرَهُ الذي هو الكون، فباطِنُ الخَلْقِ حقٌّ، وظاهِرُ الحقِّ خَلْقٌ في هذا الموطِنِ، وبالعكس في الموطِنِ الأوَّلِ.

* * *

وفـي فَـنـائـي فَـنـا فَـنـائـي وفـي فَـنـائـي وَجَـدتَ أنـتـا
(الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي).

الحَفِيــظُ

الحَفِيظُ الذي حَفِظَ على العبدِ توفِيقَهُ، وأسْبَغَ عليه النِّعَمَ بتأييدِهِ، وحَفِظَ على المعدُومِ عَدَمَهُ، وعلى الموجودِ وُجُودَهُ.

اعلم أنَّ الحِفْظَ فيه قُطْبانِ يدُورُ عليهما فَلَكُ الوجود، وما يُحفظ الكون إلاَّ بالعينينِ: عينِ الحقِّ وعينِ الخَلْقِ، فالحقُّ يحفَظُ على الخَلْقِ وجُودَهُم ليُفِيدَهُم بقاءَ الوجودِ، ويستفيدَ سِرَّ العِلْمِ، فإنَّ المعلوم يحفَظُ العِلْمَ على العالَمِ، والعِلْمُ يتقلَّبُ بتقلُّبِ معلومِهِ في أطوَارِ الأحوالِ، ومِنْ سَرَيانِ أحكامِ الحَفِيظ في مراتِبِ الكونِ وقعَ اسمُ الحَفِيظِ على أفرادِ المُمكنات، فأعيانُ الكائِناتِ وأشخاصُ الموجوداتِ بأجمعهم حافِظُون لحدود الله عندَ أهلِ الكشْفِ، فإنَّ لكلِّ شيءٍ حدّاً في الوجود، ومَوْقِعُ كل شيءٍ حدٌّ مِنْ حُدودِ الوجود، يَنْحَفِظُ ذلك الحَدُّ بوقوعِ ذلك الشيء فيه، فكُلُّ شيءٍ عينٌ مِنْ أعْيُنِ الحقِّ، كما يُقالُ لكلِّ عامِلٍ مِنْ عُمَّالِ المُلوكِ: هذا عَيْنٌ مِن عُيُونِ السُّلطانِ، لكونه حافِظاً لمصلحة المَملكَةِ، ولهذا وصَفَ الحقُّ نفسه بالأعيُنِ، فقال عزَّ شأنه: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القَمَر: الآية 14] إشارَةً إلى سفينَةِ الكَوْنِ تجري من بحرِ الوجود بأعْيُنِ المُمكناتِ، فوجودُهُ مجمُوعُ الخَلْقِ في الحِفْظِ، فهو بكُلِّ شيءٍ محفُوظٌ، كما أنَّه على كل شيءٍ حَفِيظٌ.

* * *

المُقِيــتُ

المُقِيتُ بِمَا قَدَّرَ قُوْتَ كلِّ مَقُوتٍ بحسَبِ حالِهِ على المِقدَارِ المعلومِ.

لهذا الاسم جِهتان: الاقتدَارُ وإيصالُ الرِّزْقِ، فهو خالِقُ الأقواتِ ومُوْصِلُهَا إلى كلِّ شيءٍ لِقَدَرِهَا وحَسَبِهَا، كالأَطْعِمَةِ إلى الأبدانِ، والمعرِفَةِ إلى قُلُوبِ أهل الشُّهُودِ والإيقانِ.

اعلم أنَّ القُوت عِبارَةٌ عمَّا لا يقومُ بقاءُ صُورَةِ المَقُوتِ إلاَّ به، وهو على مقدارٍ خاصٍ.

والقُوتُ إمَّا عُلْوِيٌ وإما سُفْلِيٌ، ولها خزائِنُ يَنْزَعُ منها بقَدَرٍ معلوم، فأعلى الخزائن حَضْرَةُ العِلْمِيَّةِ وأدْناها أفكارُ البشريَّة وما بينهما خزائِنُ صوريَّة ومعنوية، والخزائنُ بأجمعها عند الله، لأنه عينُ الوجود، وإنَّ حَضْرَةَ الوجود جامِعُ الحضَرَاتِ، لشُمُولِهِ على الحُدُوثِ والقِدَم، والخالِقِ والمخلوقِ، والقادِرِ والمَقْدُورِ، والمُلْكِ والمالِكِ، ولكلِّ واحدٍ قُوتٌ لصاحِبِهِ فالآثارُ قُوتُ الأسماءِ، لظهور كل اسم في مظهريَّة أثَرَها، وتَمَيُّز بعضها عن بعضٍ بتعَقُّل أعيانِهَا في ألواحِ مظاهِرِها، فعُلُوُّهُ قُوتُ أهلِ السَّماءِ من العالمين، ودُنُوُّهُ قُوتُ أهلِ الأرضِ مِنَ العارِفِينَ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقِعَة: الآية 85].

سُئِل سهلُ بن عبد الله التَسْتريّ ـ قُدِّسَت أسراره ـ عن القُوتِ قال: ذِكْرُ الحَيِّ الذي لا يَمُوتُ، فقيل: نَسْأَلُكَ عن قُوةِ الأشباحِ، قال للسَّائِلِ: ما لَكَ ولها، دَعِ الدِّيارِ إلى بانِيِهَا، إن شاء عَمَّرَها وإنْ شاءَ خَرَّبَها، وما جَعَلَ الحَقُّ ـ عزَّ شأنُهُ ـ الأقواتَ العُلْوِيَّةَ والسُّفْلِيَّة إلاَّ لإزالةِ أمراضِ الافتقار، وكُلُّ عبدٍ مُفْتَقِرٌ إلى سيِّدِهِ، وخادِمُ القومِ سيِّدُهُم، فقِيامُ العبدِ بِخِدْمَةِ سيِّدِهِ لِبَقَاءِ حقيقَةِ العُبُوديَّةِ عليه

وأداءِ حقوقها، وقيامُ السَّيِّد بمصالِحِ عَبِيدِهِ لِبَقاءِ اسْمِ السَّيادَةِ عليه، فإنَّ في فَنَاءِ المُلْكِ فناءَ اسمِ السِّيَّادَةِ، فالخادِمُ مخدُومٌ مِنَ الوَجْه الذي به المخدُومُ خادِمٌ: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرّعد: الآية 31]، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّرُ﴾ [الرّعد: الآية 42] المَسْتُورُون المحجُوبُون عن شُهودِ الحقائِقِ في هذه النَّشْأَةِ ﴿لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: الآية 42]، فإنَّه ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسرَاء: الآية 72].

* * *

الحَسِيبُ

الحَسِيبُ بمعنى الكافِي، والحاسِبِ الذي يَعُدُّ على الخلائِقِ نِعَمَهُ، لِيُرِيَهُمْ مِنَنَهُ، ويَعُدُّ على العبدِ أنفاسَهُ، ويَصْرِفُ عنه بِفَضْلِهِ بَأْسَهُ.

اعلم أنَّ هذا الاسم وحُكْمَهُ بَرْزَخٌ بين العِلْمِ والجَهْلِ، فهي حَضْرَةُ الظَّنِّ والتَّخمِينِ، ولم يبْلُغْ رُتْبَتَها مَبْلَغَ العِلْمِ، ولذلك وَصَفَ الحقُّ أهل الحِجابِ بقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: الآية 104]، وما أحْسَنُوا صُنعاً، وما كان الأمرُ إلاَّ شُبْهَةً ظَهَرَتْ في صورَةِ دليلٍ.

ومِن أحكامِ هذا الاسم كان نزولُ المُتشابِهاتِ التي مَنْ خَاضَ فيها نُسِبَ إلى الزَّيْغِ، فإنَّ مَنْ مالَ إلى إحدى الشُّبْهَتين فقد صَيَّرَها مُحْكَمَةً، فعَدَلَ بها عن حقيقتها، لأن المُتشابِهَ لا يَقبلُ المَيلَ، لتساوي شُبَهِهَا بالطَّرفين، فالعارِفُ الأديبُ مَن وقف عندها ولم يحكُمْ فيها بشيءٍ، وإن حَكَمَ بالكشفِ حَكَمَ بالوجهين، ليكون ممَّن أعطى كلَّ ذي حقٍّ حَقَّهُ كما أُمِرَ.

ومِن أحكامها أيضاً ظُهورُ العدد في أعيانِ مراتِبِ المَعْدُوداتِ ومرَاتِبِ أعيانِ الموجودات، حتى تَخَيَّلَ وتوَهَّمَ المحجوبُ الكَثْرَةَ والاختلافاتِ في مراتِبِ الأعدادِ ومقاصِدِ الآحادِ، وليس ذلك إلاَّ تكرار الواحِدِ في كلِّ مرتبة منها فكما أنَّ بِتِكْرار الواحِدِ وبُرُوزه تَرَتَّبَتْ مراتِبُ الأعدادِ، وبِحَذْفِهَا وإسقاطها انْتَفَتْ نِظامُها، كذلك بظُهُورِ الحقِّ في المظاهِرِ الخَلْقِيَّةِ ترَتَّبَتْ مراتِبُ الوجود، وتزَيَّنَتْ باستهلاكِ ذَرَّاتِ الأعيانِ وانطِماسِهَا في إشْراقِ أنوارِ الهُوِيَّةِ المُطْلَقَةِ واحتجابِها بِرِدَاءِ الكِبرياءِ، وتَنَزَّلَتْ وتجَرَّدَتْ عن ملابِسِ العدَدِ، وظَهَرَتْ حقيقيَّةُ الواحِدِ الأحَدِ.

* * *

الجَلِيــــلُ

الجَليلُ مأخُوذٌ مِنَ الجلالِ الذي أفْنَى العارِفِينَ بكَشْفِ جلالِهِ، وأحْيَى المُحِبِّينَ بوَصْفِ جَمَالِهِ، فالعارِفُ مَنْ غالَبَ الكَشْفَ جلالُهُ، والمُحِبُّ مَنْ طالَبَ بِوَصفِ جمالِهِ.

اعلم أنَّ الجلال مِن صفاتِ الوجه، بسُلطانِ هذا الاسمِ دَوامُ الحُكم دُنْيا وآخِرَة، لكن عموم آثارِ حُكْمِها يَظْهَرُ في الباطن في هذه النَّشأةِ الدُّنيويَّة، كما يقول صاحب الخيالِ لشيءٍ في طَوْرِ خيالِهِ: كُنْ، فيَكُونُ ذلك الشَّيءُ في القُوَّةِ المُتَخَيِّلَةِ، ولا يَقْدِرُ على ظهورها في الحِسِّ الظَّاهِرِ، لِضَعْفِ القُوَّةِ وعَدَم بلوغها رُتْبَةَ التَّصَرُّفِ في حَضْرَةِ الحِسِّ، وموطِنُ الآخِرَةِ يقتضي إطلاقَ الصور الخياليَّة والحِسِّيَّة لقُوَّة تصرُّف المُتصرِّف وإطلاق الموطِنِ، فإذا قال المُريدُ لِمَا يُريدُهُ: كُنْ فيكونُ في الحِسِّ والخِيالِ جميعاً، فيَعُمُّ حُكْمُها.

واعلم أنَّ جلالَةَ هذا الاسم في الأسماءِ الإلٰهيَّة من حيثُ سَرَيانِ آثارِها وبُرُوزِ لطائِفِهَا وانعكاس حقائقها في مرايا قوابِلِ الأعيانِ ومظاهِرِ أشخاص عوالِمِ الإمكان بمنزلة الصَدَا في الحقائِقِ الكونيَّة، فإنه ما يَرُدُّ إلاَّ ما تكلَّمَ به، كذلك ما مِن عينٍ من أعيانِ مراتِبِ الوُجُود إلاَّ وهو قابِلٌ لسَرَيَانِ هذا الاسمِ، وظاهِرٌ به، ووَاصِفٌ له، فَجَمَعَ الأضداد بحقيقة الجمعيَّةِ، وأحاطَ آثارَهَا بالعارِفِ والمعروفِ، وأشْمَلَ سَرَيَانُهُ الخَطِيرَ والحَقيرَ، فللعارِفِ جلالَةٌ في رُتبة الأصالةِ، فكما أنَّ العَظَمَةِ جلالَةٌ للتَّعظيم، كذلك كمالُ الحقَارَةَ جلالَةٌ للحَقِيرِ، فما تَخلَّصَتِ الأكوانِ من مكانِ ظُلْمَةِ المحالِّ إلاَّ بِضِياءِ أشِعَّةِ أنوارِ الوجود من ذلك

الجلال، لولا حقَارَةُ العبدِ الذّليلِ ما ظَهَرَ آثارُ جلالَةُ الجليلِ، ولولا استغاثَةُ المَلْهُوفِ القاصِدِ ما عُرِفَ في الكَوْنِ مَجْدُ الماجِدِ، ولا يُنْضَبَطُ الجليل إلاَّ بالجليل.

* * *

الكـريـم

الكَرِيمُ الَّذِي لا يُحْوِجُ العبدَ إلى وسيلةٍ لحصولِ رِضائِهِ، ويُعْطِي الجَزِيلَ ولا يَمُنُّ بِعَطائِهِ.

اعلم أنَّ اسمَ الكريم يتبعُ الجليل من وجهين:

أحدهما: لِمَا تقتضي حَضْرَةُ الجلالَةِ مِنَ الجَمْعِ بين الأضدادِ، كذلك آثارُ الكَرَمِ الإلٰهيِّ يشمُلُ البَرَّ والفاجِرَ.

والثاني: لإزالة قُنُوط السَّامِعِ وَصْفَ العَظَمَةِ وتَخَيُّلِه عدم الوصول إلى العظيم لِمَا عليه من الاحتقار والذُّلِّ، فأزالَ الحقُّ ذلك عنه بقوله: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحمٰن: الآية 27]، فأخْبَرَ أنه تعالى مَعَ عَظَمَةِ شأنِهِ وعُلُوِّ كِبْرِيائِهِ مُكْرِمٌ عَبيدَهُ بنَظَرِ العناية، وراحِمٌ ورَؤُوفٌ بهم بكَمَالِ جُودِهِ وكَرَمِهِ، كما امْتَنَّ عليهم بالوجود قبل كونِهِمْ موجوداً ومذكوراً، فلولا سَرَيانُ الكَرَمِ والجُودِ لبَقِيَتِ الممكنات في ظُلْمَةِ العَدَمِ، فكرامَتُهُ بهم في إعطاء خِلْعَةِ الوُجُودِ إيَّاهُم أجَلُّ وأعَزُّ مِن كَرَامَتِهِ بهم بعد وُجُودِهِم بما يَسُرُّهُمْ مِنْ نَيلِ الأغراضِ.

وبُنْيَةُ هذا الاسم وأمثالها مما هو على وزنِ فعِيلٍ يقتضي الفاعِلَ والمفعولَ في حُكْمِ أهل الكشفِ، فكما أنه تعالى كريمٌ بما أكْرَمَ عبيدَهُ بالوجود الذي هو الخيرُ المَحْضُ، وأعْطاهُم جزيلَ الهِبَاتِ وغرائِبَ المِنَحِ، كذلك مُكْرِمٌ ومُتَكَرَّمٌ عليه بِطَلَبِهِ منهم القَرْضَ والصَّدَقَةَ، وقَبُوله ذلك، وهو مِن سريانِ آثارِ هذه الصِّفة في أجزاء مراتب العالَمِ، ورجوعها إلى الحضرةِ المُتعالية، ليكون الأمر منه إليه.

ومِن عمومِ آثار هذا الاسم أيضاً إحاطَةُ الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ بمراتِب الإنِّيَّاتِ

ومدَارِجِها، مع اختلاف أحكامها وتضادِّ جِهَاتِهَا، لإزالَةِ الحَرَجِ عنهم، وإطلاقهم في اختيارهم وتوجُّهاتهم وتَوَلِيَتِهِمْ، ليكون وِجْهَتُهُمْ إليه أينما توجَّهُوا، وإنْ اتَّبَعُوا أهوائَهُم فلا يَخْلُوُ عن وجه الحقِّ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية 115].

* * *

الرَّقِيب

الرَّقِيبُ: الشَّاهِدُ على أحوالِ عِبادِهِ بما هو عليه من لزومِ الحِفْظِ لِخَلْقِهِ، لِيُراقِبُوهُ على دوامِ أَوْقاتِهِم.

اعلم أنَّ اسم الرَّقيب مُشتقٌّ مِنَ الرُّقْبَى، وهو تمليكُ رَقَبَةِ الشيء، ولها حُكْمُ الإحاطة، لشُمُولِ مُراقَبَةِ الحقِّ أعيانَ الممكناتِ.

والمتحقِّق بحقائق هذا الاسم لا يزالُ في زيادة عِلم ربَّاني وعِرْفانٍ عيَانِيٍّ، لمُشاهَدَتِهِ شُؤُونَ الحقِّ بحُكم المَعِيَّةِ التي تقتضي هذه الحَضْرَةَ.

ومِن علامة صِحَّةِ حالِ المُراقِبِ أنْ لا يخلو ميزانُ الشَّرعِ من يدِ تصَرُّفِهِ، فلا يزالُ نظَرُ صاحِبِ هذا المقام إلى ميزانِ الشَّرْعِ إمَّا بعينِ الشُّهُودِ، وإمَّا بعينِ الإيمانِ، فإذا أخَذَ أخَذَ بالعَدْلِ، وإذا أعْطَى أعْطَى بالفَضْلِ، ليكونَ معصوماً في مُرَاقَبَتِهِ، فإنَّ أسْعَدَ الخَلْقِ مَنْ حَفِظَ الأدَبَ بدوامِ مُراقَبَةِ الحَقِّ في المواطِنِ والمَجَالِي، وأكثرُ ما يكون سلطانُ هذا الاسم في حضرةِ الأفعالِ، فيُراقِبُ العبدُ مُراقبةَ الحقِّ في مراتِبِ هذا المشهَدِ، ويكون معه بحسَبِ ما يقتضي ذلك المشهَدُ، فإنْ ظَهَرَ له ما لا يُوافِقُ غَرَضَهُ دُنياً ودِيناً، سأَلَ رَفْعَ ذلك الحُكْمِ، وإلاَّ سأل الأَصْلَحَ.

* * *

المُجيـــب

المُجِيبُ مَنْ دَعَاهُ لِقُرْبِهِ وسَمَاعِهِ دُعاءَ عِبادِهِ، هو الذي يُجِيبُ العبدَ قبلَ أنْ يسْأَلَهُ، ويُعْطِيهِ فوقَ ما يستَحِقُّهُ.

اعلم أنَّ الإجابَةَ على نوعين: إجابة امتثالٍ وإجابة امْتِنانٍ.

فالأول: إجابَةُ العبد أوامِرَ الحقِّ، وإجابةُ الخَلْقِ بعضهم بعضاً.

والثاني: إجابَةُ الحقِّ دُعاء الخَلْقِ، وهو شِبْهُ إجابَةِ الإنسان نَفْسَهُ لِمَا يَدْعُوهُ.

وليس بين دُعاءِ نَفْسِ المَرْءِ وإجابَتِهِ إيَّاهُ زمانٌ، بل زمانُ الدُّعاءِ زمانُ الإجابة، كذلك قُرْبُ الحقِّ من إجابة العبد هو قُرْبُ العبدِ مِن إجابَةِ نَفْسِهِ، كما وَصَفَ الحقُّ هذا القُرْبَ بقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: الآية 16] فشبَّهَ قُرْبَهُ مِنَ العبدِ قُرْبَ العبدِ مِن نفسِهِ.

ثمَّ ما يدعو نفسُ العبدِ إليه في حاجةٍ مخصوصة، فقد يفعَلُ لها ذلك لأمْرٍ عارِضٍ أو مصلحة، كذلك ما يدعُوُ العبدُ ربَّهُ إليه في حاجَةٍ مخصوصة فقد يفعلُ، لكن هذا في إجابة السؤال لا في إجابة الدُّعاء، فإنَّ الدُّعاء هو النِّداءُ بالله، لا بُدَّ من إجابة هذا النِّداءِ بِلَبَّيْكَ، ولا لَبَّيْكَ مِنَ الحقِّ في حقِّ كلِّ دَاعٍ، ثمَّ ما بعدَ هذا فهو خارِجٌ عن الدُّعاءِ، فيُوصَلُ ما بعدَ الدُّعاءِ والنِّداءِ مِنَ الحوائج ـ وهو ما قامَ في خاطِرِهِ ودَعَا لأجْلِهِ ـ لَمْ يَضْمَنِ المُجِيبُ ذلك، إنْ شاء قضى ذلك وإلاَّ فلا بِحَسَبِ قُوَّةِ الرَّابِطَةِ وعَدَمِهَا بين السَّائِلِ والمُجيب، وذلك أنَّ الخِلافَ والوِفاقَ في الدُّعاءِ والإجابَةِ من علامَةِ تصحيح النَّتِيجةِ الإلٰهِيَّةِ، فإنَّ إجابَةَ الحَقِّ سُؤَال عبْدِهِ في مُقابَلَةِ إجابَةِ العبدِ أوَامِرَهُ، فلو أجابَ العبدُ رَبَّهُ في كلِّ ما أمَرَهُ، لأجَابَ

الحقُّ عَبْدَهُ في كلِّ ما سَأَلَهُ أو خَطَرَ له من تكوينِ أمْرٍ، فظَهَرَ وقوع المُخالفة والمُوافقةِ من الجانبين، لأنه على صورتِهِ.

وقد يُكْشَفُ للشَّخْصِ عن خواصّ الأحوالِ والأسماءِ والأزْمِنَةِ والأمكِنَةِ ما يُوجِبُ قضاءَ حاجَتِهِ، ولا يُكْشَفُ له عن حقيقةِ خيريَّةٍ فيَسْأَلُ ويعُودُ وَبَالُهُ عليه إمَّا في الدُّنيا وإما في الآخِرَةِ، فيكونُ ممَّن جَنَى على نَفْسِهِ، ولهذا أكابرُ الأوْلِيَاءِ الذين مَلَكُوا الأحوال لو كُشِفَ لهم عن خفِيَّاتِ الأسرارِ لا يُرَى عليهم أثَرُ المَكَانَةِ والقُرْبِ والإجابَةِ، بل لا فَرْقَ بينهم وبين العامَّةِ في الظَّاهِرِ، لِمَا يَشْهَدُونَ ما فيه من المَكْرِ والاستدْرَاجِ، والذين مَلَكَتْهُمُ الأحوالُ لهم خَرْقُ العوائِدِ، ولا يَفِي فوائِدُ ذلك بآفاتِهِ، وأدْنَى ما فيه مِنَ الآفاتِ أنْ يَذُوقَ في ذلك طَعْمَ نَفْسِهِ، وصاحِبُ هذا الذَّوْقِ لا يَفْلَحُ أبداً.

❊ ❊ ❊

الــواسِــع

الوَاسِعُ لِكَثْرَةِ عطائِهِ وتَتَابُعِ آلائِهِ، الذي كَثْرَةُ عَطائِهِ لا تُسْتَوْفَى بالحَصْرِ، وعمومُ آلائِهِ لا يُسْتَقْصَى بالذِّكْرِ.

اعلم أنَّ مِنْ عُمومِ أحكامِ هذا الاسم اتِّسَاعَ العطايا، وأوَّلُ ذلِكَ خَلْعُ الوجود، ثم ما يستحِقُّه الموجود بما به بقائُهُ وصلاحُهُ، سواءً سَرَّ به أو ساء، وإن كان السرور هو المطلوبُ، لكن قد يَجِيءُ ابتداءً وقد يأتي بعد ما يَسْتَوِي بِحَسَبِ مِزَاجِ التَّرْكِيبِ وقَبُولِ المَحَلِّ للعوارِضِ، فإنَّ العوارِضَ والوقائِعَ مِن حيثُ الوجود أَحَدِيُّ العينِ والحُكْمِ، وإنَّما يختلفُ في الأعيانِ آثارُها بحَسَب اختلاف أمْزِجَةِ الأشخاص، كَمَنْ يَغْلَبُ الصَّفْرَاءُ على حاسَّةِ ذوْقِهِ، فيَجِدُ العسل مُرّاً، فإنْ قال: العسلُ مُرٌّ صَدَقَ في ذَوْقِهِ ووُجْدَانِهِ، وكَذَبَ في إضافَتِهِ المَرارةَ إلى العَسَلِ، وكم من مزاجٍ يَلْتَذُّ بالأمر الذي يتألَّمُ به مِزَاجٌ آخر، فالأمرُ واحد، واختلف حُكْمُهُ في المَحالِّ بحَسَبِ أمْزِجتها وخصوصياتها وقابِلِيَّاتِها، فما مِنَ الحقِّ إلاَّ الخيرُ، وحُكْمُ اللَّذَّةِ والألَمِ إنما هو بِحُكْمِ القوابِلِ، بل الشخص الواحد ربما يتضرَّرُ بما به ينتفِعُ هو بعينِهِ، كما يتأذَّى بالحَرِّ والبردِ، ويعلَمُ أنهما ممَّا تَقْتَضِيهِ الفُصُولُ بسبَبِ أذْوَاقِ الخَلْقِ، فتضرَّرَ في الحالِ بما هو ينتفِعُ به في المَآلِ، فعَينُ الضَّرَرِ عينُ النَّفْعِ، ولكن لا يعلَمُ كثيرٌ من الناس لعمومِ السَّتْرِ وإسْبالِ الحُجُبِ مِنْ حضرةِ الواسِعِ، فإنَّه واسِعُ المَغْفِرَةِ وهي السَّتْرُ، فعَمَّ السَّتْرُ كما عَمَّتِ الرَّحْمَةُ، وما سَتَرَ إلاَّ بالوجود، والوجود ظُهورٌ ومَظْهَرٌ، فاسْتَتَرَ بما ظَهَرَ به.

* * *

الحَكِيــمُ

الحَكِيمُ الذي أنْزَلَ كلَّ شيءٍ مَنْزِلَتَهُ، وجعلَهُ في مرتبتِهِ.

اعلم أنَّ الحِكمة أخصُّ من العِلْم، لتعلُّقِهِ بالمعلوم بحسب ما رَتَّبَتْهَا الحِكْمَةُ، فكلُّ حَكيم عَلِيمٌ وما كُلُّ عليمٍ حكيمٌ، فالحِكْمَةُ أَعْلَى رُتبةً من العلم عند المحقِّقِ، ولذلكَ امْتَنَّ الله تعالى على داود عليه السَّلام ـ مع وُفُورِ عِلْمِ النُّبُوَّةِ والكِتابِ ـ بالحِكمةِ وفصْلِ الخِطَابِ، وهو الإيجازُ في الكلامِ في موطِنِه لِصَاحِبِ الفِطْنَةِ، ورُبَّ مَوْطِنٍ يقتضي تكرار الكلام لتفهيم المُستمع، ولذلك كان رسُول الله صلَّى الله عليه وآلِهِ وسلَّم يُكرِّرُ الكلامَ ثلاث مرَّاتٍ مُراعاةً للأَدْنَى، فالحِكْمة تقتضي الإيجاز في موطِنٍ، وفي بعضها تقتضي الكَثْرَةَ والتِّكرار، فالحكيمُ حاكِمٌ يَحْكُمُ في الأمرِ أنْ يكونَ هكذا، أو المواطِنُ بخصوصيَّاتها تقتضي الحُكْم لِذَاتِهَا، فكان الحُكم للمواطِنِ به [الحكيم] كما كان الحُكم له [الحكيم] بها للمواطن، فدَارَ الأمرُ منه إليه.

ومِنْ أهل الله مَنْ يُكشَفُ له عن سِرِّ ترتيبِ الحِكْمَةِ، فيُؤَدِّيهِ إلى البُهْتِ والحَيْرَةِ، منهم من لا يعلمُ ذلك إلاَّ بعد وقوعِ حُكْمِهِ في الوجود، فيعترف بجَهْلِهِ بالمصالِحِ والحَيْرَةِ.

وغاية ما ينتهي إليه طائِرُ هِمَّةِ العارِفِ أنْ يعلَمَ بالجُملةِ أنَّ الظَّاهِرَ الواقِعَ في الوجود إنما هو في قبضةِ الحِكْمَةِ الإلٰهيَّةِ، صادِرٌ عن حَضْرَةِ الحَكِيم القَادِرِ، وهذا هو الذي اسْتَعْجَلَ النَّعِيمُ بدَوَام الفرحِ والرِّضا، وقامَ به التَّفْويضُ والتَّسليم، وزالَ عنه الضَّجَرُ والسَّخَطُ بزوالِ الغَرَضِ، فإنَّ الجهلَ والنِّزاعَ لا يقعُ إلاَّ فيما لا يُوافِقُ الغرضَ، وصاحِبُ هذا الشُّهُودِ لا يُنافِي غَرَضَه شيءٌ بزوالِ غَرَضِهِ بمُطَالعَةِ أسرارِ حِكْمَةِ الحَكِيمِ.

الــوَدُودُ

الوَدُودُ الذي يَوُدُّ أولياتَهُ ويَوَدُّونَهُ، ويُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَهُ.

الوُدُّ هو ثُبُوتُ الحُبِّ، فلا يُؤَثِّرُ فيما سبقَ لهم من المحبَّة معاصِيهِم، فإنها ما نزَلَتْ بهم إلاَّ بحكمَةِ القضاءِ والقدر السَّابِقِ، لا للطَّرْدِ والبُعْدِ.

اعلم أنَّ الوُدَّ مرتَبَةٌ من مراتِبِ الحُبِّ، فإنَّ المحبَّة لها أربعة أحوالٍ، لكل حالٍ اسمٌ يُعرفُ به:

فأولُ سقوطِهِ في القلب يُسمَّى بالهَوَى.

ثم إثْباتُهُ في القلبِ هو الوُدُّ.

ثمَّ الخَلاصُ عن تعلُّقاتِ الغيرِ وتصفيتُهُ وهو الحُبُّ.

ثمَّ التفَاتُهُ بالقلب الْتِفَاتَ اللَّبْلابَةِ بالشَّجرةِ حتى يُغَيِّبَهُ عن غير محبوبه وهو العِشْقُ.

فالوَدُودُ هو ثابِتُ الحُبِّ، فالحقُّ ثابتُ المحبَّةِ لعباده، فإن الصانِعَ يُحِبُّ صُنْعَهُ، والمُحِبُّ يَطْلُبُ الرَّحمةَ مِنَ المحبوب، فمقامُ صَبابَةِ الحُبِّ الإلٰهِيَّةِ أولُ مرحُوم، والصَّبابةُ رِقَّةُ الشَّوقِ إلى لِقاءِ المحبوب، ومِن هذه الصِّبابَةِ زيَّنَهُ بزينَةِ الشُّهود، وأكْساهُ خِلْعَةَ الوجود، وأدَارَ أكؤوسَ الأفراح بينَ الشَّاهِدِ والمشهُودِ، فيخُاطِبُهُم بإشاراتِ ألْحَاظِ الجَمالِ، ويُخاطِبُوهُ بِلِسانِ التَّحَنُّنِ والأحوالِ.

ثـمَّ قال: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ [البُرُوج: الآية 14] ليكونَ الأمرُ مَستُوراً بين المُحِبِّ والمحبوب، فهو سَمْعُ المحبوب وبَصَرُهُ ولِسانُهُ وغيرُ ذلك مِنَ القُوَى، وإنْ كان خَلْفَ حِجابِ الخَرَسِ والطَّرَشِ والعَمَى، فكلُّ فردٍ من أفراد مراتب الخَلْقِ مَنَصَّةٌ من منصَّاتِ مَجَالِي تَجَلِّياتِ الحَقِّ.

فَمِنَ **المُحِبِّينَ** مَنْ يَعْرِفُ مَحْبُوبَه في الدُّنيا معرِفَةَ شُهُودٍ، فيَتَلَذَّذُ بِلَحَظاتِهِ ويتنعَّمُ في أوقاته.

ومنهم مَن يتوقَّفُ أمْرُهُ في العِرفانِ حتى يُكشَفَ له الغِطاءُ، فبَانَ له أنَّه كان عينَ الغِطاءِ، فالعالَمُ إنسانٌ، والإنسانُ عَيْنُهُ، والمحبُوبُ مِنَ الإنسانِ إنسانُ العينِ مِنَ العينِ.

* * *

المَجِيد

المَجِيدُ بِما له مِنَ الشَّرَفِ على كلِّ موصوفٍ بالشَّرَفِ، فالمَجْدُ في اللُّغَةِ الشَّرَفُ، فهو الذي بِمَجْدِهِ أغْنَى أوليائَهُ بلا مَالٍ، وكفاهُمْ بلا احْتِيالٍ، وأعَزَّهُمْ مِنْ غيرِ رَهْطٍ وإشكالٍ.

اعلم أنَّ لهذا الاسم الشَّرَفُ والعُلُوُّ والمَجْدُ عن وصفِ كُلِّ مُنَزِّهٍ، فإنَّ كل واصِف واقِفٌ مع نَعْتٍ مخصوص، فتنزيه الحقِّ نفسَهُ عن ذلك النَّعْتِ من حيث تَقْييده وتخصيصه، لا من حيث إنَّ ذلك له أو ليس له، لأنَّ للحقِّ ـ جلَّتْ عَظَمته ـ أحدِيَّةَ المجموعِ لا أحدِيَّةَ كلِّ واحِدٍ مِنَ المجموعِ، فالواصِفُ إنما يَصِفُهُ بأحَدِيَّةِ كلِّ واحِدٍ مِنَ المجموعِ، فهو المُخاطَبُ بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصَّافات: الآية 180] وكلُّ مُسَبِّحٍ في السَّماوات والأرض يُسبِّح الحَقَّ ويُنَزِّهُهُ عن عَقْدِ غيرِهِ فيه، لأنَّ نَظَرَ كلِّ مسَبِّحٍ فيه جُزْئِيٌّ، فالذي يُثْبِتُ له واحِدٌ هو عينُ ما يُنفيهِ الآخَرُ عنه، وكلُّ واحِدٍ منهما مُسَبِّحٌ بِحَمْدِهِ، فأثْبَتَ الحقُّ لهذا ما نفاهُ الأول لا ما أثْبَتَهُ، وأثْبَتَ الآخَرُ عينَ ما نَفاهُ الأول لا ما أثْبَتَهُ، وذلك لقُصُورِ نَظَرِهِم عمَّا يقتضي الأمرُ كما هو عليه.

ولا يُوصَفُ بالتَّسبيح ونقِيضِهِ الشَّامِلِ للقيد والإطلاق إلاَّ العبدُ الجامِعُ الكامِلُ المُشاهِدُ للجَمْعِ والتَّفصيل، وفي الخبر: «**أنَّ المُصلِّيَ إذا قالَ: مالِكِ يوم الدِّينِ، قال الحقُّ: مَجَّدَنِي عَبْدِي**»[1]، وهذا حالُ الكامِلِ العارِفِ، فإنَّه لا يَنْطِقُ إلاَّ بِلِسانِ العِرْفانِ والشُّهُودِ، فهو الذي مَجَّدَ الحَقَّ بشَهَادَتِهِ واعْتِرافِهِ بأنَّهُ مالِكُ يومِ

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة. . . ، حديث رقم (393) [1/ 295] ورواه ابن حبان في صحيحه، ذكر وصف المناجاة التي يكون المرء في صلاته بها مناجياً لربّه عزّ وجلّ، حديث رقم (1784) [5/ 84] ورواه غيرهما.

الدِّينِ، وهو مَوَاطِنُ الجَزَاءِ دُنْياً وآخِرَةً، بخِلافِ ما يَتَوَهمُ المحجوب، فإن الآفاتِ والعاهاتِ والمصائِبِ كلها جَزَاءٌ ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الرُّوم: الآية 41] ولا فرق بينهما، إلاَّ أن الجَزَاءَ في موطِنِ الدُّنيا ربما يُؤَجَرُ أو يُكَفَّرُ عنه، وربما لا يُؤجَرُ صاحِبُهُ ولا يُكَفَّرُ عنه، ولِمَا ثَبَتَ أَنَّ أعمالَ العِبادِ تَعُودُ إليهم، فلا بدَّ أن يرجِعَ إليهم المَجْدُ الذي مَجَّدُوا الحقَّ به، فالعبدُ مُقَدَّسٌ بتقديسه، ومُنَزَّهٌ بتنزيهِهِ، ومُمَجِّدٌ بتَمْجِيدِهِ، ومِنْ هذا المقام قالَ مَن قال: «سُبْحاني[1]، وأنا الحَقُّ»[2].

ولَمَّا كانَ العامِلُ والفاعِلُ الحقيقيُّ الواحِدَ الحقَّ ـ وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ـ انْجَذَبَتْ الأمُورُ ورَجَعَتِ الأعمالُ إليه بعد ظُهُورِ الدَّعاوِي، وإليه يرجِعُ الأَمْرُ كُلُّهُ.

* * *

(1) القائل هو أبو يزيد البسطامي (انظر: مدارج السالكين، فصل إذا عرفت مراد القوم بالفناء. . . ، [1/ 155] وانظر إحياء علوم الدين، بيان ما بدل من ألفاظ العلوم [1/ 36].

(2) ينسب هذا القول إلى الحسين بن منصور الحلاج (انظر تفسير روح المعاني للآلوسي، سورة آل عمران (189): ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 189] [4/ 154].

البَـاعِـث

البَاعِثُ الذي بَعَثَ المُمكناتِ مِنَ العَدَمِ إلى الوجودِ، ومِنَ الوجودِ إلى البرزخِ نوماً أو موتاً، ومنه إلى المَحْشَرِ عموماً، وبَعَثَ الرُّسُلَ إلى الأُمَمِ خصوصاً.

اعلم أنَّ الله تعالى لَمَّا بَعَثَ المُمكناتِ مِنَ العَدَمِ إلى الوجودِ، جعَلَ نوعَ الإنسانِ خُلفاءَ في الأرضِ، لِمَا يقْتَضِي أصْلُ خِلْقَتِهِ مِنْ شَرَفِ الإضافةِ - وهو نَفْخُ الرُّوحِ - كونَهُم مُدَبِّرينَ ممالِكَ مسالِكِهِم، حاكِمينَ على رعايا جوارِحِهِمُ الظَّاهِرَةِ وقُواهُمُ الباطِنَةِ، فجَعَلَ النُّفُوسَ مُلُوكاً، ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المَائدة: الآية 20] مِنْ سُرْعَةِ طاعَةِ رعاياها لها، فإنَّ زمانَ أمْرِهَا زمانَ أعمالِ رعاياها، ثُمَّ بَعَثَ إلى بواطِنِهِم رُسُلاً، كما بعثَ إلى ظواهِرِهِمْ رُسُلاً يَتْلُو عليهم آياتِهِ، والرِّسالَةُ لا تكون إلاَّ بينَ الملوكِ لا بينَ الرَّعايا، فالأرواحُ المَنْفُوخَةُ في الأجسامِ وإنْ كانت مِنْ أصْلٍ مُقَدَّسٍ موصوفٍ بالطَّهارَةِ والنَّزاهَةِ ولكِنْ أثَّرَ فيه بِقَاعُ الأجسامِ كما يُورِثُ البُقْعَةُ في الماءِ العَذْبِ مِنَ المَلُوحيَّةِ والمَرَارَة وغيرهما، كذلك الرُّوحُ طَيِّبٌ في الأصلِ، فإنْ كان مَحَلُّهُ طَيِّباً زَادَ طِيبُهُ، وإنْ كان خَبيثاً صَيَّرَهُ بِحُكْمِ مِزاجِهِ، وأطْيَبُ الخَلْقِ محلاً الرُّسُلُ والأولياءِ، فإنَّهم ما زادوا الطَّيِّبَ إلاَّ طِيباً، وتتفاوَتُ مراتِبُهُم في ذلك، وكذلك تتفاوَتُ مراتِبُ أهْلِ الاخْتِلالِ والاخْتِلاطِ:

فمنهم: مَنْ أظْهَرَ النِّزاعَ لِقُوَّةِ خُبْثِ المَحَلِّ.

ومنهم: مَنْ لَمْ يُظْهِرْ، فكانَ إرسالُ رُسُلِهِ إليهم رَحْمَةً بهم، ولكن لِسَبْقِ تصرُّفِ رُسُلِ الأفكارِ مَالَ كلُّ صاحِبِ نَظَرٍ بما أدَّاهُ إليه نَظَرُهُ، فتقرَّر عندَهُ أنَّ الإلٰه

هو الذي له هذا الحُكْمُ، وما عَلِمَ أنَّ ذلك عَينُ جَعْلِهِ، فما عَبَدَ النَّاظِرُ إذا ما خَلَقَهُ بِتَصَوُّرِه في نَفْسِه وسَمَّى ذلك التَّصَوُّرَ اعتقاداً، والحقُّ ـ جلَّتْ عَظَمَتُهُ ـ حاكِمٌ لا محكومٌ، ولا تنضبِطُ حقيقَةُ ذاتِهِ المُقدَّسَةِ للعقلِ، بل ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ﴾ [الروم: الآية 4] فالمُوَفَّقُ المعصومُ مَنْ عَرَضَ مُعْتَقَدَ فِكْرِهِ على ما جاءت به رُسُلُ الحقِّ، فإنْ وَافَقَ فذلك نِعْمَةٌ مِنَ الله، وإنْ ظَهَرَ الخِلافُ فعليه باتِّبَاعِ رُسُلِ الحقِّ ـ عزَّ شأنُهُ ـ فالحَقُّ ما بعثَ الرُّسُل إليهم إلاَّ لِبَعْثِهِمْ إليه ـ تعالَى ـ رُسُلَ الأحوالِ لِطَلَبِ ما يُؤَيِّدُهُمْ به في تَدْبِيرِهِ ما وَلاَّهُمْ عليه، وكانَ الأَمْرُ منهم إليه، كما كانَ منه إليهم، فالمُلْكُ إذاً مُلْكُ المَلِكَ.

* * *

الشَّهِيد

الشَّهيدِ لِنَفسه بأنه لا إلٰه إلاّ هُوَ، ولِخَلْقِهِ بما جاؤوا به من الخيرِ والشَّرِّ، لِيُريهِم مِنَّتَهُ بالرَّحمة والغفران، فهو الذي على الأسرارِ رَقِيبٌ، ومِنَ الأخيارِ قريبٌ.

اعلم أنَّ الأمْرَ الإلٰهِي منه ما لا يمكن أن يُعْصَى، ومنه ما يمكن أن يُعْصَى.

أما الذي لا يُعصى، هو توجُّهُ الخِطابِ من غير واسطةٍ إلى عينِ الممكِنِ بالإيجادِ بأن يقول له كن فيكون، فهذا هو الأمر الذي لا يَعْصِيهِ المُخاطَبُ أصلاً.

وأما الأمْرُ الذي يمكن أن يُعْصَى، هو صِيغَةُ الأمر لا حقيقةُ الأمر، وهو الأمرُ بإتيانِ فِعْلٍ أو تركه مع عدم الإرادة بوقوعه، وهو على الحقيقة أمرٌ لفظيٌّ صُورِيٌّ لا روح له، فإنَّ روح الأمر الإرادة، وإنما الإنسان المُكَلَّفُ هو محلُّ ظهورِ هذا الأمر بتكوين الحقِّ فيه، فيقول الحقُّ للشهادة كُن فتكون الشَّهادَةُ، وما لها محلٌّ إلاّ الإنسان الشَّاهِدُ وهو القائِلُ، فيُنْسِبُ الشَّهادَةَ إلى مَنْ ظَهَرَتْ فيه، وليس له فيها تكوينٌ، وإنما التَّكوينُ فيها للحقِّ في هذا المحلِّ، وقِسْ على هذا جميع الأفعالِ، فالمُحقِّقُ يُشاهِدُ تكوين الأشياء في ذاتِهِ وفي ذاتِ غيره، أعياناً ذاكِرَةً مُسَبِّحَةً لله، وإنْ أُطْلِقَ عليها اسْمُ المَعْصِيةُ، فإنَّ صاحِبَ الكَشْفِ يشهَدُ الفِعْلَ مُجرَّداً عن الحُكم، لعلمه بأنه ليس لها عينٌ وجوديَّةٌ، لأنَّ مُسمَّى المعصية إنما هو التَّرك، والتَّركُ لا شيء ولا عينَ له، فهو مثلُ مسمَّى العَدَم، فإنه اسمٌ ليس تحتَهُ شيء وُجودِيٌّ، فإنَّ الشَّأنَ محصورٌ في أمرٍ لا يُفعلُ أو نَهْيٍ لا يُمْتَثَلُ،

ليس غير ذلك شيءٌ، فإذا قيل: أَقِمِ الصلاة فلم يفعل، ليس تحت لم يفعل شيء إلاَّ أمرٌ عدمِيٌّ لا وجود له، وكذلك إذا قيل لا تفعل ولم يمتثل، فمدلوله عدمٌ لا وجود له، ولا بُدَّ للعبد في كل نَفَسٍ أن يكون في شأنٍ، وذلك الشَّأنُ ليس له، فإنَّ الشَّأنَ الظاهِرَ في وجودهِ هو هُوِيَّةُ الحقِّ: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرَّحمٰن: الآية 29]، فتظهَرُ تلك الشؤونُ، وأعيانُنَا من تلك الشؤون ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 98].

* * *

الحَــقُّ

الحَقُّ بمعنى الموجودِ، هو الوجود الذي لا يأتيه الباطل مِنْ بين يديه ولا مِنْ خَلْفِهِ، لأنَّه وجودٌ لا عن عَدَمٍ، ولا يَعْقُبُهُ العَدَمُ، الذي أوْجَبَ الحقوق بلا علَّةٍ، وبايَنَ الكُلَّ بلا عُزْلَةٍ.

اعلم أنَّ مَن نَزَعَ الحقُّ عن قلبه حجاب العَمَى، وشاهَدَ حقيقةَ انقلابه في الصور وتحوُّلِهُ فيها، عَلِمَ أنَّ العالَمَ في كلِّ نَفَسٍ في تحوُّلٍ وانقلاب عن شؤونِ الحق الذي يُحَوِّلُ الليل والنَّهار، فتَحَوَّلَ الكُلُّ لِتَحَوُّلِ وتَقَلُّبِ أموره: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يُونس: الآية 32]، وهي الحَيْرَةُ، وما بعدَ الحقِّ شيءٌ سوى الخَلْقِ، وبوجودهم ظَهَرَ حُكْمُ الحيرةِ، لأنه سُمِّيَ خَلْقاً لاختلافِ الأحكامِ.

فإنَّك إذا نظرتَ إليه من حيث وجوب وجوده قلت حقٌّ.

وإذا نظرتَ إليه من حيث إمكانه قلت خَلْقٌ.

وكذلك حالُ السالِكِ السَّائِرِ تارَةً يقول: «أنا أنا، وهُوَ هُوَ»، وتارة يقولُ: «أنا هُوَ، وهو أنا»، وتارة يقول: «لا أنا، ولا هو»، وهذا عند كشف سرِّ قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: الآية 17]، فَنَفَى وأَثْبَتَ، وهو مِنْ مُوجِباتِ الحَيْرَةِ.

وهو الحقُّ بانْفِرادِهِ بوجوب الوجود ﴿نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: الآية 18].

وهو الشؤون التي كُلُّ يومٍ هو فيها أزلاً وأبداً، ولا يزهَقُ إلاَّ ما له عينٌ

وجودِيَّةٌ إما في الحِسِّ وإما في الخِيالِ، وكلُّ ما زَهَقَتْ وذَهَبَتْ صُورَتُهُ لا يَرْجِعُ أبداً، لأنَّ الرجوع تِكرارٌ، ولا تِكرار لأعيانِ الوجود، لعدمِ نهاية التجلِّيَّاتِ الحقيقيَّة، والحقُّ ما دَمَّغَهُ وأَذْهَبَهُ عن حدِّ الوجود الظَّاهِرِ إلاَّ ويَقذِفُ مكانَهُ صُورَةَ أخرى، فما زَهَقَتْ صورةُ باطِلٍ إلاَّ بِوُرُودِ صورَةِ حقٍّ، فهي مِن حيثُ ورودها حقٌّ، ومن حيث زُهُوقِهَا باطِلٌ، فهي الدَّامِغَةُ والمدغومة، عند كشفِ هذا السِّرِّ قال مَن قال: «أنا الحَقُّ»[1]، فإنَّ الوَلِيَّ لا يَنطِقُ إلاَّ بلِسانِ الحالِ.

* * *

(1) سبقت الإشارة إلى هذا القول.

الـوَكِيـلُ

الوَكِيلُ بمعنى الكافي، الذي وكَّلَهُ عِبادُهُ على مصالِحِهِمْ، فكفاهم وأغناهُم بما فيه نَفْعُهُمْ، ووكَّلَهُم على التَّصَرُّفِ في المنافِعِ على حدٍّ مُعيَّنٍ، فهي لهم من حيث نَيْلِهِم فيها من المنفعة، وهي للحقِّ من كونها مُسَبِّحَةً بحمدِ ربِّهِ.

اعلم أنَّ الوكالة رُتبةٌ إلٰهيَّةٌ، سَرَتْ في مراتب الأكوانِ سريانَ الحَيَاة، فكما أنَّ ما في الكونِ إلاَّ حَيٌّ، كذلك ما في الكونِ إلاَّ وكيلٌ، فمَنْ وَكَّلَ الحقَّ بقوله وإقراره أصاب الحق، ومن جَهِلَ وغَفَلَ وكَّلَهُ الحالُ، ولسانُ الحالِ أنْطَقُ مِن لِسانِ المَقالِ، والوكِيلُ بحُكْمِ مُوَكِّلِهِ، لا يتصرَّفُ إلاَّ فيما أُذِنَ له، ولا يَزيدُ على الحدِّ المُفوَّض إليه، فله الحُجَّةُ البالِغَةُ، فمَن قال لِوَكِيلِهِ: لِمَ فعلتَ كذا؟ كشف له حقيقتَهُ حتى يُشاهِدَ أنه باستعداده وخاصيَّتِهِ جعلَهُ أن يفعل ما أنكر عليه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: الآية 3] إشارةٌ إلى أنه وجود الإنسانية لمَّا ظَهَرَتْ في آخِرِ مراتِبِ دائِرَةِ حقائق الوجود وبه كَمُلَتِ الصورة الوجوديَّة الإلٰهيَّة، وفيه شَهِدَ حقائِقَ الكنز المخفِيِّ، فهو آخِرُ موجودٍ وأول مقصودٍ، فهو حَسْبُهُ كما هو حَسْبُهُ وذلك لأنَّ الممكن لا يَعْرِفُ نفسه إلاَّ بالحق، فهو الغاية التي إليها ينتهي أمْرُهُ، فهو حَسْبُهُ.

ولمَّا كان ظهور أحكام الصفات الإلٰهيَّة موقوفاً على وجود الممكن، وما ثَمَّ مرتبةٌ وجوديَّةٌ بَعْدَهُ، لأنه سَدٌّ بين الوجود المُطلق والعدم المطلق، فهو حامِلُ الحُكْمينِ، وجامِعُ الطَرَفَيْنِ، فإن نُسِبَ إليه الوجود يُصَدَّقُ، لظهور نور الوجود عليه، وإن نُسِبَ إليه العَدَمُ يُصَدَّقُ، لِبَقِيَّةِ ظُلْمَةِ العدم فيه، وبوجوده امتاز المعدوم من الموجود، فهو برزخٌ بين البحرينِ، قابِلٌ بذاتِهِ للطَّرفين، فلو كان للمعدوم لسان لقال: أنَّه على صورتِهِ، لذلك كان حَسْبُهُ.

القَــوِيُّ

القَوِيُّ بمعنى القادِرِ، هو القويُّ بما عليه مِنَ العِزِّ والاقتدارِ بالجمعِ بين الأضداد.

اعلم أنَّ حقيقة آثارِ هذا الاسم لا يظهَرُ إلاَّ على العبدِ الجامِعِ، وهو الإنسان الكامِلُ، ولهذا ما سُمِعَ قبل خَلْقِ آدمَ قولُ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله، وفي الخبرِ: «**إنَّ جبرائيل عليه السلام لمَّا علّم آدَمَ عليه السلام آدابَ الطَّوَافِ بالبيتِ قال له: إنّا طفْنَا بالبيتِ قبلَ أن تُخْلَق بكذا وكذا ألفَ سنة. فقال له آدمُ عليه السلام: فما كُنتُم تقولونَ عِندَ الطَّوَافِ به؟ قال جبرائيل عليه السلام: كنا نقولُ: سُبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلٰهَ إلاَّ الله، واللهُ أكبَرُ، فقالَ آدمُ عليه السلام: وأَزِيدُكُمْ أنْ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ**»[1]، فاختصَّ آدمُ عليه السلام بهذا الذِّكْرِ، والكُمَّلُ مِنْ وَرَثَتِهِ الذينَ لم يَبْقَ صِفَةٌ مِنَ الصِّفاتِ الإلٰهِيَّةِ إلاَّ وظَهَرَتْ في مِرْآةِ وُجُودِهِم.

ولمَّا كانَ الممكن محلَّ ظهورِ الاقتدارِ الإلٰهِيِّ جَبَّرَ ضعفَ إمكانه بقُوَّةِ الوجود، فوقع الدَّعوى والتَّنازُعُ ممَّنْ وقَعَ، وظَهَرَتْ آثارُ المطلوبِ فيمن ظهرتْ، فأعاد إليهم المُضَعَّفَ الثاني: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحَج: الآية 5]، وذلك أنَّ الدُّنيا حامِلَةٌ بالإنسان والهِرَم شَهْرَ ولادَتِها لتقذفه من بطْنها إلى البرزخ، فيُرَبِّيها في مَهْد البرزخ، لِيَسْتَعِدَّ في نشأةِ الآخِرَةِ لقَبُولِ القُوَّةِ الصَّافِيَةِ عن شوائِبِ النِّزاعِ والدَّعوى، هذا حُكْمُ حقيقة باطِنِ الاسمِ.

وأمَّا حكمُ آثار ظاهِرِهَا سَرَى في أجزاءِ مراتِب الكونِ حتى الضَّعْفِ الذي

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

هو ضِدُّ القُوَّةِ، يُقال للضَّعيف: قَوَى ضَعْفُهُ وقَوَى عليه الضَّعْفُ، والضَّعْفُ مانِعٌ قَوِيٌّ عن الحركةِ، فنُسِبَتْ القُوَّةُ إلى الضَّعْفِ، ووُصِفَتْ بِضِدِّهِ، وهذا مِن سريانِ حُكمِ القُوَّةِ في الأشياء، وفيه إشارة لمن فَهِمَ، ولَمَّا غفَلَ أكثرُ الناس عن سِرِّ عموم هذا الحكم، أمَرَهُمْ أن يستعينوا به في الاقتدار كما استعان بهم في القَبُولِ، فكما لا قُوَّةِ للمُمْكِن على ما كَلَّفَهُ الحقُّ مِنَ الأعمالِ، كذلك لا يُنَفَّذُ اقْتِدَارُ الحقِّ في أمْرٍ لا يَظْهَرُ إلاَّ بقولِ القابِلِ، إلاَّ بوجودِ الممكن القائِلِ، فما ثَمَّ قُوَّةٌ مُطْلَقَةٌ دون مُساعدَةٍ، وهذا سِرُّ قوله تعالى: «**قَسَّمْتُ الصلاة بيني وبين عَبْدِي**»[1]، فإنَّ الصَّلاة الوجوديَّة لا تَتُمُّ إلاَّ بالاقتدَارِ والقَبُولِ.

* * *

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة. . . ، حديث رقم (395) [1/ 296].

المَتِيـــنُ

المَتِينُ بمعنى الشَّديدُ، الذي لا يحتاجُ إلى جُنْدٍ ومَدَدٍ، ولا يستعينُ على أفعالِهِ بأحَدٍ.

اعلم أنَّ المِتَانَةَ في المعاني كالكِثافَةِ في الأجسام، ومِن متانَةِ الحقِّ أنه عَصمَ اسمَ الله أنْ يُسَمَّى به غيره ملفوظاً أو مرقوماً، حتى لا يُفْهَمَ مِنْ هذه الكلمة أبداً إلاَّ هُوِيَّةُ الحقِّ، فلا دليل على الحقِّ أدَلُّ من هذه الكلمة إلاَّ الإنسانُ الكامِلُ، فإنه أدَلُّ على الله من هذه الكلمة، ولذلك سمَّاهُ الحقُّ كلمةً، فكلِمَةُ الله لا تعلُّقَ لها إلاَّ بالإنسان، والكلمة الإنسانيَّة ناطقة بنفسها، فهي أقوى في الدِّلالة على هُوِيَّتِهِ، ولذلك قال عليه السلام: «**إنَّ أوْلِياء الله الذين إذا رأوا ذكر الله**»[1].

وما ظَهَرَت أحكام المِتانَةِ إلاَّ في مِرْآةِ الإنسان، وهي القُوَّةُ المُتَخَيَّلَةُ التي هي آخرُ درجات الحِسِّ، ولذلك إنَّ عالَمَ الخِيالِ أشْبَهُ شيءٍ بوجودِ الحقِّ، لإلْحاقِهِ المُحالَ بالممكن، وجَمْعِهِ بين الضدَّيْنِ، فإنَّ الشخص الواحد قد تكثر نسبته فيكون أباً وابناً وعبداً وسيِّداً، وهو لا يتغيَّرُ، وأما إلحاقُهُ المُحالَ بالممكن فهو أن يرى العبد في منامه ما هو مُحالُ الوجود موجوداً، وهذا مما لا يَسَعُ لأحَدٍ إنكارُهُ، وما جاز هذا إلاَّ لحَضْرَةِ الخِيالِ، وأعْظَمُ ما يَظهرُ حُكمُ هذا الاسم في أهل الكشفِ، لأن الذي اعْتقدَ في الحقِّ بالدَّلِيلِ النَّظرِي إذا جاءَتْ له شُبْهَةٌ أثَّرَتْ في مُعْتَقَدِهِ، فجعل يبحث عن ما يُزيلُ الشُّبهة، أو ما يُثْبِتُ له ما هو أقوى من عنده، فلو كانت المِتانَةُ من صفاتِ مُعْتَقَدِهِ ما أثَّرَتْ فيه الشُّبْهَةُ الوارِدَةُ،

(1) رواه إسحاق بن راهويه في المسند برقم (24 ـ 2306) [5/ 180] ورواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (11108) [7/ 494] ورواه غيرهما.

فليست المِتانة إلاَّ للحقِّ المُطْلق عن تقييد النظر، وهو الذي يستندُ إليه العارِفُ المُحَقِّقُ، ولا يدري ما هو، لِعُلُوِّ قَدْرِ المِتانَةِ عن طَوْرِ النَّظَرِ والإدراك، كما قال الصِّدِّيقُ ـ رضي الله عنه ـ: «**العَجْزُ عن دَرْكِ الإدْراكِ إدْرَاكٌ**»، فبالمِتَانَةِ يكون الاستنادُ إليه، والعِلْمُ المُسْتَنَدُ عينُ نَفْيِ العِلْمِ به على عِلْمٍ بأنه لا يَعْلَمُ، فمِتانَتُهُ حِجابٌ فلا يُعْرَفُ.

* * *

الــوَلِــيُّ

الوَلِيُّ بمعنى النَّاصِرِ، هو الذي نَصَرَ أولياءه، وقَهَرَ أَعْدَاءَهُ، فالوَلِيُّ بِحُسْنِ رِعايتِهِ مَنصورٌ، والعَدُوُّ بحُكْمِ شِقاوَتِهِ مقهُورٌ، قالَ الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة: الآية 257].

اعلم أنَّ حُكْمَ هذا الاسم في نَصْرِ المؤمنين على نوعين:

الأول: نَصْرُهُمْ بإخْراجِهِمْ مِن ظُلْمَةِ العَدَمِ إلى نور الوجود في العمومِ.

الثاني: وإخراجهم من مَضِيقِ العِلْم بهم إلى سِعَةِ العِلْم بالله في الخصوص، وهو خروجُ العارِفِ من ظُلْمَةِ الحِجابِ إلى نور الشُّهُودِ، فيَشْهَدُ ما كان غَيْباً له.

فعلى الأوَّلِ يكون وجود العبد فَرْعاً عن أصْلِ وجود الحقِّ وعلى الثاني يكون عِلْمُ الحقِّ فَرْعاً عن أصلِ عِلْمِ العبد، لأنَّ عِلْمَ العبدِ به فَرْعٌ عن عِلْمِهِ بنفسه، لقوله عليه السلام: «**مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ**»(1)، فهو عينُ الدَّليلِ.

وأما نَصْرُ الطَّاغُوتِ مَنْعُهُمْ إيَّاه عن دخول الجنَّة، لكونهم على مزاجٍ يتضرَّرُ بنعِيمِها، كما يتضرَّرُ الجُعَلُ بِرِياحِ الوَرْدِ.

وأمَّا نَصْرُ الحقِّ للمؤمنين في الدنيا لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم: الآية 47] فإنْ كانَ الألِفُ واللاَّمُ للجِنْسِ فَمَنْ اتَّصَفَ بالإيمانِ فهو منصورٌ، ومِن هنا يُظْهِرُ المُؤمنين بالباطِلِ في أوقاتٍ على المؤمنين بالحقِّ، لا مِنْ حيث إنَّهم آمَنُوا بالباطِلِ، ولكن لتَحَقُّق إيمانهم في قُوَّةِ زَعْمِهِم أنهم ما

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2532) [2/ 343].

آمنوا به من كونه باطِلاً، وإنَّما آمنوا به لاعتقادِهِم فيه أنَّه الحقُّ، وها هنا سِرٌّ آخَرُ، وهو أنَّ الإيمانَ إذا قَوِيَ في صاحِبِهِ بما كان، فله النَّصْرُ على الأضْعَفِ، كيف والمُشْرِكُ مُؤْمِنٌ بوجود الحقِّ وإن لم يُؤْمِنْ بالتَّوحيدِ وبعضِ الرِّسالةِ، فهو بوجْهٍ ممَّن آمَنَ بالحقِّ، لكنَّ إيمانَهُ لم يبلُغْ قُوَّةَ إيمانِ المُؤْمِنِ بالحقِّ من حيثُ أحَدِيَّتِهِ، وهذا من أسرارِ تسميةِ الحقِّ أهل الباطِلِ مؤمنين: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يُوسُف: الآية 106].

* * *

الحَمِيـــدُ

الحَمِيدُ بمعنى الحامِدِ، هو الذي يَحْمَدُ على يَسِيرِ الطَّاعَةِ، ويُجَازِي بكثيرِ الثَّوابِ، وهو الحَمِيدُ بما هو حامِدٌ لنفسه بنفسه إجمالاً، وبِلِسانِ كلِّ حامِدٍ تَفْصيلاً، وبما هو محمود بكل ما هو مُثنىً عليه، فإنَّ عواقِبَ الثَّناءِ تعُودُ إليه، وكلُّ اسم فعيلٍ من أسماءِ الحقِّ يَعُمُّ اسْمَ الفاعِلِ والمفعُولِ بالدِّلالةِ الوَضْعِيَّةِ، فهو الحامِدُ والمحمود، ولا يطَّلِعُ على سِرِّ الحَمْدِ إلاَّ مَنْ له المقامُ المحمودُ، فما خُصَّ بِعِلْمِ الثَّناءِ إلاَّ محمَّد صلَّى الله عليه وآلِهِ وسلَّم، كما أنه ما ظَهَرَ بِعِلْمِ الأسماءِ إلاَّ آدَمُ عليه السلام.

واعلم أنَّ الإنسان لمَّا خُلِقَ على مزاجٍ يُمَيِّزُ بين اللَّذَاتِ والآلامِ بحيث يتضرَّرُ بالآلامِ ويَحْزَنُ، ويَنْتَفِعُ باللَّذَّاتِ ويُسَرُّ، وهما حالتان من أحوالِ الكونِ، سَمَّى عِلْمَهُ بمن أورثه حال النَّفع شُكْراً، وعبارته عن ذلك حمداً، وهما عينُ شُؤونِ الحقِّ، وليس الشؤون إلاَّ التجلِّيَاتِ الوجوديَّة، وهو الخيرُ المَحْضُ، غير أنه تَختلفُ أحكامها في القوابِلِ، فرُبَّ أمْرٍ يتضرَّرُ به زيدٌ ويَلْتَذُّ به عمروٌ، والأمر واحِدُ العينِ لا انقِسامَ فيه، ويختلفُ حُكْمُهُ في المُمكِناتِ بحسبِ قابِلِيَّتِها واستعداد ذاتِهِ، وكذلك كان رسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول في السَّرَّاءِ: «**الحَمْدُ لله المُنْعِم المُفْضِلِ**»[1]، فكان يُقَيِّدُهُ بتقييدِهِ حُكْمُهُ وأثَرُهُ، ويقول في الضَّرَّاءِ: «**الحَمْدُ لله على كُلِّ حَالٍ**»[2]، وهذا الحَمْدُ أعْظَمُ مِن حَمْدِ السَّرَّاءِ،

---

(1) ـ (2) ونص الحديث كاملاً: «عن حبيب بن أبي ثابت قال: كان النبي ﷺ إذا جاء الأمر يعجبه ويسرّه قال: الحمد لله المنعم المفضل الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وكان يقول فيما يكرهه: الحمد لله على كل حال». رواه الطبراني في الدعاء، حديث رقم (1770) [1/ 501] ورواه غيره.

لإطلاقه واشْتمالِهِ على الكُلِّ، فإنَّ من إنعامِ الحقِّ أنْ ألْهَمَ صاحِبَ الضَّرَّاءِ الثَّناءَ، واسْتَعْمله بحمده، ووَقَاهُ عن الضَّجْرِ والسَّخَطِ، فعافى باطِنَهُ بما ألْهَمَ مِنَ التَّحميدِ، ثم زادَهُ عافِيَةً بإزالَةِ الضَّرَّاءِ عنه.

واعلم أنَّ ما في العالَمِ لَفْظٌ إلاَّ وفيه ثناءٌ جميلٌ في طورِ الكشفِ يشْهَدُهُ أهلُهُ، ومرْجَعُ ذلك الثَّناءِ إلى الله، وإنْ كان له وجهٌ إلى مذموم، فلا بد أن يكون له وجهٌ محمودٌ عند أهل الحقِّ، وإن لم يعثرْ عليه السَّامِعُ والقائِلُ، فهو من حيث ما هو مذمومٌ لا مُستند له ولا حُكم له، لأنَّ مُسْتَنَد الذَّمِ العَدَمُ، فلا يَجِدُ الذَّمَّ مَنْ يتعلَّقُ به، فيذْهَبُ ويبقى الحَمْدُ لله.

ثم الحامِدُ في حالِ الحمدِ إمَّا أن يَقْصُدَ الحقَّ أو غيرَ الحقِّ.

فإنْ حَمِدَ الله فقد حَمِدَ مَنْ هو أهْلُهُ، وإن حَمِدَ غير الحقِّ فما يحمِدُهُ إلاَّ بما يُشاهِدُ فيه من الصِّفاتِ الكمالِيَّةِ ونُعُوتِ المحاسِنِ، وتلك الصِّفاتُ عطاءٌ ومِنَحٌ له مِنَ الحَضْرَةِ الرَّبُوبِيَّةِ إما مركوزَةٌ في جِبِلَّتِهِ، وإما مُكْتَسَبَةٌ في تحقُّقِهِ وتَخَلُّقِهِ، وهي مردودة إلى الحقِّ، فرُجوع عاقِبَةِ الثَّناءِ إليه سبحانه.

وللحمد ثلاث درجات:

الأولى: حمدُ الحامِدِ نَفْسَهُ.

الثانية: وحَمْدُهُ غيرَهُ.

وهذانِ القِسمانِ يتطرَّقُ إليهما الاحتمالُ، ويحتاجُ إلى قرينَةِ الحالِ.

الثالثةُ: حَمْدُ لسانِ الحمدِ، وهو الذي لا يتطَرَّقُ إليه الاحتمالُ، فإنَّه عينُ قِيامِ الصِّفَّةِ بالموصوفِ، فإذا كانَ عينُ الصِّفَةِ عينَ الواصِفِ والموصوفِ كان الحَمْدُ عينَ الحامِدِ والمحمُودِ.

* * *

المُحْصِي

المُحْصِي بمعنى العالِمِ بالمعلوماتِ، الذي بما في الخواطِرِ بَصِيرٌ وبما في السَّرائِرِ خَبِيرٌ.

اعلم أنَّ الإحصاءَ أَخَصُّ مِنَ الإحاطة، لأن الإحاطة عامَّةُ الحُكْمِ في الموجود والمعدوم.

والإحصاءُ لا يكون إلاَّ في الموجود، فكلُّ مُحْصىً مُحاطٌ وما كُلُّ مُحاطٍ به مُحْصَىً، فحُكمُ الإحصاءِ سارٍ في مراتِبِ الوجود حتى الأنفاسِ، فحُكْمُ هذا الاسم عَدَّ على العبدِ أنفاسَهُ وأعمالَهُ: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾ [الكهف: الآية 49].

والإحصاء على نوعين:

الأول: إحصاءٌ بواسِطَةٍ.

الثاني: إحصاءٌ لا يُتْرِكُ بلا واسِطَةٍ.

فالواسطة هو المَلَكُ الحافِظُ الكاتِبُ لفْظَ العبد، الذي هو صورة عمله لا روحه، فإذا لَفظَ العبدُ ورَمَى به، ينظُرُ المَلَكُ إلى مَنْ أنْطَقَهُ بذلك اللَّفْظِ وهو الحقُّ، فيرى نُورَ المَعِيَّةِ قد رَمَى به القابِلُ، فيأخُذُهُ المَلَكُ أدباً مع الحقِّ، يَحفظُهُ له، وإذا عَمِلَ عَملاً عَلِمَ المَلَكُ أنَّه فَعلَ ذلك، ولكن لا يَكْتُبُ إلاَّ ما يتلفَّظُ به، فالمَلَكُ شاهِدُ إقرارٍ لا شاهِدُ أعمالٍ، لعدم إطِّلاعه على ما نَوَاهُ العبدُ في العمل، ولذلك يقبَلُ أعمالاً تستَقِلُّهُ الملائكةُ، ويَرُدُّ ويَضْرِبُ وجهَ صاحِبِ ما تَسْتَكْثِرُهُ الملائكة كما ورد في الخبر: «**المَلَكُ يُراقِبُ العبدَ، ويكتُبُ حرَكَةَ لسانه بإذْنِ الله، والله شَهِيدٌ على قَصْدِ العَبْدِ وما في ضمِيرِهِ ونِيَّتِهِ في ذلك العَمَلِ، فيَسْتُرُهُ الحَقُّ مِنَ**

المَلَكِ غيرَةً عليه»[1]، كما غارَ على الضَّنائِنِ من هذا النَّوعِ الإنساني، وهُمُ المجهولون في العالَمِ، فلا يَظْهَرُ منهم ولا عليهم ما يعرفون به، وهم لا يشهدون في الوجود إلاَّ الله، لا يعرفون ما العالَمُ، لِغَيْبَتِهِم عنه بالحقِّ، واشْتِمالِ آثارِ أسرارِهِم على مراتِبِ الكونِ، فالحقُّ ـ عَزَّ شأنُهُ ـ يَحُولُ بين نِيَّةِ العبدِ وبينَ شُهُودِ المَلَكِ، ويتَوَلاها بنفسه، ويُتِمُّ منها ما نَقَصَهُ العبدُ مِنَ الكَمالِ لِغَفْلَتِهِ أو تَقْصِيرِهِ، كما يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ لِيُرَبِّيها، حتى تكون أعْظَمَ مِنَ الجَبَلِ كما ورد في الخبر.

والإحصاءُ عينُ شُؤُونِ الحقِّ، ولا نهاية لشؤونه، وإن انتهى حُكْمُ الدُّنيا فإنَّه يَشْرَعُ في شؤونِ النَّشْأَةِ الآخِرَةِ، ولا نهاية لها، فالشؤونُ لا تَقبلُ الفراغ، والإحصاءُ لا يتناهى.

* * *

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

المُبْــدِىءُ

المُبْدِىءُ بمعنى المُظْهِرُ والمُنْشِيءُ، الذي يُبْدِىءُ الخَلْقَ بالإيجادِ، فالمَبْدَئِيَّةُ هي الرُّتبةُ الأولى، وهي مرتبة الموجود، والرُّتبة الثانية هي الرتبة الأخيرة للممكن، فالممكن من حيث وجودُهُ لا يكونُ له قدَمٌ في الأوْلَى أبداً، وإنما له الأُخرَى، والحقُّ معه، فالسابِقُ في الوجود من الممكنات واللاحِقُ سَوَاءٌ في الرُّتبةِ، فإنَّ الآخَرِيَّةَ تَشْمَلُهُمْ.

والمُبْدِىءُ هو الذي أظهَرَ الممكنات في مراتِبِها، وله حكم البدءِ في الأولى والآخرة في كل عينٍ من أعيانِ أنواعِ الإمكانِ، فلا يزالُ المُبْدِىءُ مُبْدِئاً لأنَّه يَحْفَظُ حدود مراتِبِ الوجود بإيجاد أعيانِها دائماً، ولهذا الاسم حُكْمٌ في الأسماءِ الإلٰهِيَّةِ كلها، لِمَا للأسماءِ حكمٌ فيما أوْجَدَ اسْمُ المُبْدِىءُ، فالمُبْدِىءُ تعالى في حقِّ كلِّ ما يُوجِدُهُ دائِماً مُبْدِىءُ دُنياً وآخِرَةً.

* * *

المُعِيد

المُعِيدُ عينَ الفِعْلِ من حيث هو خالِقٌ، لأنه ليس في العالَمِ شيءٌ يتكرَّرُ، وإنما هي أمثالٌ تَحْدُثُ، وأعيانٌ تُوجَدُ، وخَلْقٌ يُجَدَّدُ، فإنَّ الحقَّ إذا فَرَغَ مِنْ خَلْقِ شيءٍ عادَ إلى خَلْقِ آخرٍ، لا أنَّه يُعِيدُ عينَ ما ذَهَبَ، فإنَّهُ أوْسَعُ من ذلك، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الرُّوم: الآية 27]، يُرِيدُ به الفعل لا المخلوق، فإنَّ عينَ المخلوق ما زالت عينَ الوجود حتى يُعِيدَهُ، وما عليه أهلُ الظَّاهِرِ مِن إعادَةِ الأجسام والنفوس في دارِ الآخِرَةِ ليس ذلك إعادَةً عند أهل الكشفِ، وإنما هو انْتِقالٌ من موطِنِ الدُّنيا إلى البرزَخِ، ومن البرزَخِ إلى المَحْشَرِ، ومِنَ المَحْشَرِ إلى الجنَّةِ أو إلى النَّارِ، فالحقُّ لا يزالُ يَخْلُقُ ويَعُودُ إلى الخَلْقِ، فهو المُبْدِئُ المُعِيدُ، المُبْدِئُ لكل شيءٍ، والمُعِيدُ لشأنِهِ، كما يحكُمُ الوَالِيُ في أمْرٍ ما إذا انتهى عينُ ذلك الحُكم في المحكومِ عليه، فقد فَرَغَ منه بالنَّظَرِ إليه، وعاد هو إلى الحُكْمِ في أمْرٍ آخَرَ، فحُكْمُ الإعادَةِ باقٍ في فِعْلِ الحاكِمِ وحُكْمِهِ، لا في المحكومِ عليه.

* * *

المُحْيِـــي

المُحْيي بالوُجود كُلَّ عينٍ ثابتَةٍ لها حُكْمُ قَبُولِ الإيجادِ.

اعلم أنَّ سِرَّ الحياةِ الإلٰهيَّة سَرَى في الموجوداتِ فحُيِّيَتْ بحياةِ الحَقِّ. **فمنها** ما ظَهرَتْ حياتُها لأبْصارِ النَّاظِرينَ، ومنها ما لم تَظْهَر في الدُّنيا لأبصارِ العامَّةِ إلاَّ للأنبياءِ وبعضِ الأولياءِ الذين كُشِفَ لهم عن سَرَيانِ الحياةِ في كلِّ شيءٍ، ولِشُمُولِ هذا السَّرَيانِ نَطَقَتْ كلُّها مُسَبِّحَةً بالثَّناء على مُوجِدِها، ولا يُسَبِّحُ إلاَّ حَيٌّ، لكن وقَعَتِ الدَّعْوَى فيها، حتَّى زَعِمَ كُلُّ حَيٍّ أنَّ حياتَهُ له، فلمَّا فَزِعَ رُفِعَ عن قلبه حِجابُ الغَفْلَةِ والجَهْلِ، شاهَدَ الأمْرَ على خِلافِ ما اعْتَقَدَ، فعَلِمَ أنَّ حياةَ الكُلِّ فَيْضٌ من حياةِ الحقِّ وهو الحقُّ، وهو العَلِيُّ الكَبيرُ عن الحُلُولِ والمَحَلِّ، ولكن نِسَبٌ وإضافاتٌ كما قالَ عن نفسِهِ تعالى: «**كُنْتُ سَمْعَهُ وبَصَرَهُ**»[1]، فكذلك الحياةُ والعِلْمُ نِسَبٌ للأعْيانِ.

* * *

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

المُميت

الذي يُمَوِّتُ الأعيانَ بالانتقالِ مِن نشأةِ الدُّنيا إلى البرزخِ، ومنها إلى دارِ الآخِرَةِ، فإنَّ الموتَ عندَ أهلِ الشُّهُودِ ليس إزالَةَ الحياةِ في نَفْسِ الأمْرِ كما يَتَوَهَّمُ المحجوبون، فالشَّهِيدُ حَيٌّ بالنَّصِّ الإلٰهِيِّ، والذي هو عند المحجُوبِ مَيِّتٌ، فالموتُ عبارَةٌ عن انتِقالِ العينِ من موطِنِ الدُّنيا إلى موطِنِ الآخِرَةِ، وعَزْلُ وَالِي الرُّوحِ عن هذه المدِينَةِ الجسمانِيَّةِ ـ التي وكَّلَهُ الحقُّ بتدبيرِها أيَّام وِلايَتِهِ عليها في هذه النَّشْأةِ ـ وتَوْلِيَتِهِ وَالٍ آخَرَ مِنَ العالَم الذي يَنْتَقِلُ إليه، لأنَّه لا يُمْكِنُ أن تَبْقَى المدينَةُ بلا وَالٍ يَحْفَظُ مصالِحَها، والمَيِّتُ عندَ نَفْسِهِ حَيٌّ وإنْ انْعَدَمَ تَصَرُّفُه بالقَولِ والحَرَكَةِ، فإنَّه مُتَصَرِّفٌ بالحالِ في الأحْيَاءِ، وهو قِيامُهُمْ بتَجْهِيزِهِ وتَدْفِينِهِ، وإنَّما المَيِّتُ الحقيقيُّ مَنْ لَمْ يَصْحَبْهُ شُهُودُ حياةِ الحقِّ وسَرَيانِ فيضِهِ، فيُنْسِبُ الحياةَ إلى نَفْسِهِ، فإنَّ الحَقَّ قد ماتَ في حقِّ هذا المحجُوبِ، فهو المَيِّتُ على الحقيقَةِ، فالمحجُوبُ الجاهِلُ مَيِّتٌ في الحقيقَةِ، والمَيِّتُ حَيٌّ عندَ المُحقِّقِ.

* * *

الحَـــيُّ

لتحقيق ما نُسِبَ إليه ممَّا لا يتَّصِفُ به إلاَّ الحَيُّ.

اعلم أنَّ الحياةَ للحَيِّ القدِيمِ كنُورِ الشَّمْسِ للشَّمْسِ، يَتَنَوَّرُ بنُورِها كُلُّ مَن قابَلَها، كذلك الحَيُّ بِذَاتِهِ يَحْيَى به كُلُّ مَنْ يَرَاهُ، وما يَغِيبُ عنه شيءٌ، فكُلُّ شيءٍ حَيٌّ، ولَمَّا كانت حياة الأشياء فيضاً من حياة الحَيِّ المُطْلَقِ عليها، فالأعيانُ الثَّابتةُ حَيَّةٌ في حالِ ثُبوتِها، ولولا حياتُهَا ما سَمِعَتْ قولَ كُنْ بالكلامِ الذي يَلِيقُ بِحالِهِ، فلمَّا ثَبَتَ سَمَاعُها وإجابَتُها لأمْرِ الحقِّ تحقَّقَ حياتُها، وما عَثَرَ عليها إلاَّ المُحَقِّقُونَ مِنَ الكُمَّلِ، فالعارِفُ لا يزال في حياته الطَّيِّبَةِ بهذا الشهود، وهو أعظَمُ نعيمِ أهل الكشْفِ وألَذُّ العَيشِ، وإنْ ظَهَرَ على ظواهِرِهِم آثارُ الآلامِ العادِّيَةِ، فلا يُنافي ذلك طِيبَ حياتِهِم ولَذَّةَ عَيْشِهِم، فإنَّ الآلامَ الجِسمانيَّة لا تُقابِلُ النِّعَمَ الرَّوْحانِيَّةَ، بل تُسْتَهْلَكُ عند سَطْوَتِها، لِقُوَّةِ غَلَبَةِ المعنى على الصورة، فالمحجُوبُ إذا رَأى بَلاءً في الوَلِيِّ يَحمِلُ ذلك على حالِهِ الذي يَجِدُهُ مِنْ نَفْسِهِ عند نُزُولِ البَلاءِ مِنَ الضَّجَرِ والغَمِّ والحُزْنِ، وحُكْمُ البَلاء في نَفْسِ الوَلِيِّ بخِلافِ ما يتَوَهَّمُ هذا المحجوبُ، فإنَّ صُورةَ ذلك صُورَةُ بَلاءٍ، والمعنى عافِيَةٌ ونِعْمَةٌ، لا يَعْقِلُها إلاَّ أهْلُهَا.

* * *

القَيُّـــومُ

القَيُّومُ لِقِيامِهِ على كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ.

اعلم أنَّ طائِفَةً من أربابِ الطريقة مُنِعَتْ مِنَ التَّخلُّقِ بالقَيُّومِيَّةِ، وقالتْ إنها من خصائِصِ الحَقِّ، وعندَ أهْلِ الكشفِ هذه الصِّفَةِ أحقُّ بالتَّخَلُّقِ والاتِّصافِ، لشُمُولِ سَرَيَانِهِ، وقِيامِ الحقائِقِ الكونِيَّةِ وظُهُورِ الأسماءِ الإلٰهِيَّةِ بها.

ولَمَّا كانت القَيُّومِيَّةُ من صفاتِ الحَيِّ لِذاتِهِ ونُعُوتِهِ، اسْتَصْحَبَ القَيُّومُ الحَيَّ حيثُ كان الحَيُّ، فكما أنَّ كُلَّ شيءٍ حَيٌّ، فكذلك كلُّ شيءٍ قائِمٌ بسَرَيانِ القَيُّومِيَّةِ، وقد ثَبَتَتِ الحَيَاةُ لكل شيءٍ مِن سريانِ القَيُّومِيَّةِ، ولولا هذا السَّرَيانُ ما قامَتْ أعيَانُ المُمْكِنَاتِ لأمْرِ الحقِّ بقوله: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية 238]، فَسَرَتْ أحكامُ القَيُّومِيَّةِ وآثارُها في الحقائِقِ المعنويَّةِ ومراتِبِ الشُؤُونِ الغَيبيَّةِ وبسائِطِ الأرواحِ النُّورِيَّةِ وتَجَلِّياتِ الأسماءِ الإلٰهِيَّةِ أولاً.

وفي النفوس والأنفاس الإنسانيَّة الكماليَّةِ الجمعيَّة الإحاطيَّةِ ثانياً.

وفي حقائِقِ الحروفِ الرَّقمِيَّةِ واللَّفْظِيَّةِ والذهْنِيَّةِ الدَّالَةِ على الحقائِقِ المعنويَّة ثالثاً.

فلولا سريانُها في الحقائِقِ العِلْوِيَّةِ المعنويَّة ما خَرَجَتِ الأعيانُ الوجوديَّةُ من مكامِنِ الثُبُوتِ.

ولولا آثارُها في الأنفاسِ ما ظَهَرَتْ صُوَرُ الحُرُوفِ البَسِيطَةِ.

ولولا حُكْمُ التَّأْلِيفِ للحُرُوفِ المُشِيرَةِ الدَّالَّةِ لَمَا كانَ للكلماتِ الوجوديَّةِ ظهورٌ.

* * *

الــواجِــد

لِمَا طَلَبَ، مُشتقٌّ مِنَ الوَجْدِ، ومعناهُ الغَنِيُّ الذي اسْتَغْنى عن الكلِّ، ولا يستغني عنه الكل، فلا يفوته هارِبٌ، ولا يلحقُهُ طالِبٌ.

اعلم أنَّ ظهور آثار هذا الاسم يغلِبُ في الخصوص، وذلك أنَّه تعالى كما يجد نفوذ أمره وبلوغ حكمه في كل شيءٍ، كذلك العارفُونَ يجِدُونه ويرونه في كل شيء مع أحدِيَّة عين الوجود بلا تميُّزٍ، كما يُشاهِدُ أحَدِيَّة عين زيد، فيُقَدَّرُ أنه لو لم يكن في الوجود إلاَّ هو لم يُتميَّز عن شيء، لأنه ما ثَمَّ شيءٌ غيرُهُ، لكنَّ مراتِبَ أجزائِهِ وأعضائِهِ مُتمَيِّزَةٌ عن صدرِهِ، وأُذُنَهُ عن عَيْنِهِ، وكذا كل قُوَّةٍ من قُوَاهُ الباطِنَةِ مُخْتَصَّةٌ بحُكْمٍ ليس للأُخْرَى ذلك الحُكْمُ، فتميَّزت الصُوَرُ في عين وَحْدَةٍ لا يتميَّزُ فيها، فكذلك مراتِبُ أعيانِ الممكنات للوجود المطلق كالأعضاءِ للواحِدِ من الممكنات: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: الآية 22]، وليس عينٌ من أعيانِ النِّسَبِ الذي عبَّرَ عنه الشَّارِعُ بالأسماءِ إلاَّ وله معنى ليس للآخر، وذلك المعنى منسوبٌ إلى ذاتِ الحقِّ، وهو المُسمَّى صفةً عند أهل الكلام، ونِسْبَةً عند المُحَقِّقينَ من أهلِ التَّصَوُّفِ، والنِّسَبُ متميِّزةٌ بعضها عن بعضٍ، فأَينَ الرَّحِيمُ من القهَّارِ، وأين الكلامُ مِنَ الحياةِ، والنِّسَبُ حقائِقُ معقولَةٌ غيرُ وجودِيَّةٍ، والذَّاتُ واحِدَةُ العينِ لا تَتَكَثَّرُ بها، فإنَّ الشيء لا يتكثَّرُ إلاَّ بالأعيانِ الوجوديَّة، لا بأحكامِ الإضافاتِ والنِّسَبِ، والحقُّ ـ تعالى كِبرياؤُهُ ـ في أحدِيَّةِ ذاتِهِ المُقَدَّسَةِ مُتنزِّهٌ عن التَّغَيُّر والتَّكَثُّرِ مع وُجْدانِ كَثْرَةِ أحكام الأسماء والصفات، ومن المُحال أن يطلُبَ الواجِدُ أمراً ما ولم يحصل، وما يتوَهَّمُ أهلُ الحِجابِ من خِطابِهِ الكُفَّارَ بالإيمانِ ممَّن لا يُؤْمِنُ، فعند المُحقِّق أنَّ المانِعَ مِنْ إيمانِهِم إنَّما كان منه تعالى،

إذْ لم يُعْطِهِم التوفيقَ، فلو قال للإيمان كُنْ في محالِّهِم لكان الإيمانُ في محلِّ المأمور به، ولكِنَّ ما تعلَّقَتْ إرادَةُ الواجِدِ إلاَّ بمُجرَّدِ الأمر بتكوينِ الإيمانِ في عينِ الكافِرِ، وقد وُجِدَ المُرَادُ.

* * *

المَاجِد

مَضَى ما يتعلَّقُ بأحكامِهِ في اسْمِ المَجِيدِ[1].

* * *

(1) انظر شرح اسم الله تعالى (المجيد) صفحة (111).

الـــوَاحِـــدُ

الذي لا ينقسِمُ من حيثُ أُلُوهِيَّتِهِ، ليس لوجودِهِ أمَدٌ، ولا يجري عليه حُكْمُ أحدٍ.

اعلم أنَّ في مضمون هذا الاسم رجاءً للعموم وفتحاً للمخصوصِ، وهو خِطابُهُ للكلِّ بقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البَقَرَة: الآية 163]، ومِنْ عِندَ غيرِهِ قال: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُمَر: الآية 3] فما أشْرَكَ مَنْ أَشْرَكَ إلاَّ بسببٍ، وإن وقع الخطأُ فالوقوع من نظَرِهِمْ، ومَن قَصَدَكَ لأجل أمرٍ فذلك الأمر هو مقصودُهُ على الحقيقة، ومَنْ أحَبَّكَ لأمْرٍ لَوَلَّى بانقضائِهِ، ولهذا ذَكَرَ الحقُّ أنهم يتبرَّأونَ منهم، وما أُوخِذُوا إلاَّ مِن كونِهِم أنَّهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم، لأنهم جَهِلُوا قدْرَ الحقِّ سبحانه وتعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العَنكبوت: الآية 61]، وانظُر إلى قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية 115]، فوجْهُ الحقِّ موجود في كل جهة يتولَّى العبد إليها، ومع هذا لو تولَّى العبد في صلاتِهِ إلى غير الكعبة مع عِلْمِهِ بالجهة لَمْ تُقْبَل صَلاتُهُ، لأنَّ الله تعالى شَرَعَ له استقبال الكعبة في حالةِ الصَّلاةِ خاصَّةً، وإذا تولَّى في عِبادَةٍ أخرى غير الصلاة إلى أيِّ جهةٍ شاء فهي مقبولةٌ.

ومن خصائِصِ الكونِ أنه يَقْبَلُ الأضداد من حيث أَحَدِيَّةِ عينه، وهي أحكامُ أعيانِ الممكنات في العالَمِ الذي يُظْهِرُ الأسماء الإلٰهِيَّةَ المُتضادَّةَ بظُهُورِها.

ومن أهل الشُّهود: مَنْ يرى كثرة الأحكام لظهور كثرةِ الأسماءِ.

ومنهم مَن يرى كَثْرَةَ الأسماءِ لظهور كثرةِ الأحكام في أحدِيَّةِ عين الحقِّ.

فإذا عَلِمْتَ ذلك، **فاعلم** أنَّ الله تعالى واحِدٌ في كلِّ شَرْعٍ عيناً، لكن لَمَّا كَثُرَتْ أدِلَّتُهُ العقلِيَّةُ تَكَثَّرَتِ العقائِدُ باختلافها فيه، وكُلُّها حقٌّ، ومدلولُ الكلِّ صِدْقٌ، وكذلك تختلف مشارِبُ أذواقِ أربابِ القلوبِ وأهلِ الكشفِ، لكثْرَةِ اختلافِ التجَلِّيَاتِ الصوريَّةِ والمعنويَّةِ والطبيعيَّةِ والرَّوحانِيَّةِ والنُّورانِيَّةِ مع أحَدِيَّةِ العينِ.

ولمَّا كان الأمرُ على هذا النمط فلا يمكن للمحقِّق أن يُخَطِّىءَ قائِلاً مِنْ أهلِ النَّظَرِ أو الشُّهُودِ، وإنما الخَطَاءُ في إثباتِ الشريك، والمُشْرِكُ قائِلٌ بما ليس له وجود، والشريك عدَمٌ، ولذلك لا يَغْفِرُهُ الحقُّ، لأنَّ الغَفْرَ سَتْرٌ ولا يَسْتُرُ إلاَّ مَنْ له وجودٌ، والشَّرِيكُ عَدَمٌ، فأيَّ شيءٍ يُسْتَرُ، فإنَّه لا عينَ هنالك حتَّى تتعلَّقُ له المغفِرَةُ.

واعلم أنَّ الأحَدَ اسمٌ لفَرْدٍ لا يُشارِكُهُ شيءٌ في ذاتِهِ، والواحِدُ اسْمٌ لِفَرْدٍ لا يُشارِكُهُ شيءٌ في صِفاتِهِ.

فَوَحْدَةُ الحقِّ ـ عزَّ شأنُهُ ـ ليس بتوحِيدِ مُوَحِّدٍ، ولا بتَوْحِيدِهِ لنفسه، فتكون أحدِيَّتُهُ مَجْعُولَةً، لكنَّه تعالى واحِدٌ بنفسه لنفسه، وأحَدِيَّتُهُ ذاتِيَّةٌ، وهو تَفَرُّدُهُ بالرُّتْبَةِ الإلٰهِيَّةِ، وحْدَهُ لا شريكَ له.

❊ ❊ ❊

الصَّمَـــدُ

هو السَّنَدُ الذي يُلْجَأُ ويُقْصَدُ إليه في الحوائِجِ والنَّوائِبِ، فصَمَدِيَّةُ الحقِّ من حيث إنه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: الآية 21] والخزائِنُ غيرُ مُتناهيةٍ، لكنَّ أقسامَ كُلِيَّاتها تَرْجِعُ إلى العِلْوِيَّةِ والسُّفْلِيَّةِ والغَيْبِيَّةِ والشَّهادِيَّةِ والثُّبُوتِيَّةِ والوجوديَّة، وكلها عند الحقِّ، ومفاتيحُها بِيَدِهِ يفتحُها لمن يشاءُ إذا شاءَ بِما شاء، واخْتَصَّتِ المُخْتَزَناتُ الثُّبُوتِيَّةُ والأعيانُ الوجوديَّة بالافتقارِ، فإنَّ الحقائِقَ الثبوتيَّة تقتضي الخروج من تلك الخزائن إلى الوجود، لِرُجْحَانِ قَبُولِ الوجود في ذاتها، وكذلك ألْقَى الافتقار في الموجود منها، ليسألَ الموجود الله تعالى شأنه إيجاد ما لم يوجد نيابة عنه، والافتقار إليه، فهو في سُؤاله مُعِينُ المُخْتَزَنِ عَلى خروجه، وأما الخزائِنُ الوجودية فإنما هي أعيانُ الممكنات، وكلُّ خزانة من الخزائن الوجودية مخصوصة بما لا يوجَدُ في غيرِها من الخزائن، ولذلك افتقَرَ بعضها إلى بعضٍ، وهو طَلَبُ كل واحِدٍ منها ما عند غيرها، كاحتياجِ زيدٍ إلى ما عندَ عَمْرُو، فيَفْتَقِرُ زيدٌ إلى الله فيما يحتاجُ إليه من عند عمرو، فيُسَلِّطُ الحقُّ باعِثاً على عمرو يقضي حاجَتَهُ بما عنده بأيِّ وجه كان، فالكونُ كله خزائِنُ بعضه لبعض، ومخزون كلُّه من وجهٍ، والمخزون لا يزالُ في الانتقال من خزانَةٍ إلى خزانةٍ، وكلها عند الله وبيَدِهِ، فهو الصَّمَدُ الذي يُقْصَدُ إليه في الأمور، ويُلْجَأُ إليه في نوائِبِ الدُّهُور، ولَمَّا كانت الكيفيَّاتُ والافتقارُ مُوَزَّعَةً على أفرَادِ أشخاص مراتِبِ الوجود، فلِكُلِّه عينٌ، لكنَّ أعيانَ الوجودِ لها حظٌّ من الصَّمَدِيَّةِ فيما لا يظْهَرُ إلاّ به، ولذلك نُهينَا أن نصمَدَ في صلاتِنا إلى السُّرَّةِ صَمَداً، فهو إشارَةٌ إلى غَيْرَةِ الإلٰهِيَّةِ، وأنه لا ينبغي للعبد أن يُصَمِّدَ صَمَداً إلاّ الصَّمَدَ المُطْلَقَ عزَّ سلطانه.

القادِرُ المُقْتَدِرُ

القادِرُ بنُفُوذِ الاقتدَارِ في القوابِلِ، الذي يُريدُ فيها ظهور الاقتدَارِ له لا غيرُ، والمُقْتَدِرُ بما عَمِلَتْ أيدينا، فالاقتدَارُ له والعَمَلُ يَظْهَرُ مِنْ أيدِينا، فكُلُّ يَدٍ عامِلَةٍ فهي بالحقِّ من حيث اقتِدَارِها بالحَقِّ.

اعلم أنَّ لاسْمِ القادِرِ آثاراً خَفِيَّةً في إعطاءِ الوجود للمُمكناتِ عند قوله للمكن: «كُنْ» فسارَعَ الممكن عن اقتِدَارٍ إلٰهِيٍّ إلى التكوين، فكان وظَهَرَ منه الامتثالُ في أوَّلِ تكوينِهِ، وهو روح الطاعة، فكانت الطاعة ذاتيَّة له وهي الأصلُ، والمعصية عارِضَةٌ فيه، كما أنَّ الرحمة والغضَبَ نسبَتَانِ مِنَ النِّسَبِ الإلٰهِيَّةِ، ولكنَّ السَّبْقَ للرَّحمة، والنهاية في الحركة الدُّوريَّةِ هو الرجوع إلى البداية، ولذلك كان للخاتمة عِلْمُ السابقة، فإنَّ حركة الوجود دوريَّةٌ، ولَمَّا كان السَّبْقُ للرحمة، فلا بد من المآلِ إليها، لأنَّ العارِضَ لا يُقابِلُ الأصلَ أصْلاً، فكيف وقد زادَهُ طاعَةُ وَلادَةِ العبدِ على طاعَةِ تكوينِهِ كما أشار إليه المُترجِمُ عن الله ـ تعالى ـ بقوله عليه السلام: «**كُلُّ مولُودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ**»[1] وهي الإقرارُ لله بالعبودية، فقد حصل له نورٌ على نورٍ فأيُّ معصيَةٍ تُساوي هذين النُّورين، ولمَّا كان الاقتدارُ روح الأمر وسِرَّهُ فظَهَرَ القولُ، واختفى الاقتدارُ فيه، وكذلك لم يَطَّلِعِ الممكِنُ على اقتِدَارِ الحقِّ عليه بإخراجه من خزانة الثبوت إلى حضرَةِ الوجود ولا يمكن له شهود صدورها لكونه قابِلاً بلا اقتدار، فلا يظْهَرُ الاقتدارُ فيه إلاَّ بعد حصولِهِ، ولذلك ذهَبَ بعضُ أهلِ العِلْمِ إلى أنَّ الممكن ليس له اقتدارٌ، ثمَّ إنَّ الحقَّ ـ عزَّ شأنُهُ ـ

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم (1319) [1/ 465] ورواه ابن حبان في الصحيح، كتاب الإيمان، باب الفطرة، حديث رقم (128) [1/ 336] ورواه غيرهما.

ظهرَ صيغَةَ الأمر في القول ليَتَّصِفَ الممكن بذِلَّةِ الامتثال المُوجِبَةِ لنَظَراتِ الرَّحمة الإلٰهِيَّةِ، وظهور تصرُّفات المَلَكِ والشَّيطانِ فيه هو سِرُّ الامتثال المفطورِ في أصلِ خِلْقَتِهِ وتكوينه.

واعلم أنَّ القُدْرَةَ لا تتعلَّقُ بغير المقدُورِ، فعَدَمُ القُدرةِ على غير المقدور لا يسمَّى عجزاً، فإنَّ العجزَ هو عبارة من عدَمِ القدرة عمَّا من شأنه أن يكون مقدُوراً، فإذا لم يكن المقدورُ فبأيِّ شيءٍ تتعلَّقُ القُدْرَةُ، وهذه لطِيفَةٌ ذَوْقِيَّةٌ مُشِيرَةٌ إلى سِرٍّ من أسرار القُدْرَةِ، لا ينكشِفُ إلاَّ لأهل المعرفة، فهذا حكم القادر.

وأما المُقتَدِرُ فله حكم آخرُ، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ [الأعراف: الآية 54] وهو كلُّ ما يُوجَدُ بسببٍ أو عند سَبَبٍ، ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: الآية 54] وهو كُلُّ ما يُوجَدُ من غيرِ سببٍ، فالحقُّ قادِرٌ من حيث الأمْرِ، مُقْتَدِرٌ من حيث الحقِّ والأمْرِ، تبارَكَ الله رَبُّ العالَمِينَ.

* * *

المُقَدِّمُ والمُؤَخِّرُ

المُقَدِّمُ بعضَ الأفعالِ على بعضٍ، والمؤَخِّرُ بعضها عن بعضٍ، فقدَّمَ الأحباب بخِدْمَتِهِ، وعصمهم عن معصيته، وهو المُقَدِّمُ مَن شاءَ على مَن شاءَ، والمؤخِّرُ مَن شاءَ عمَّن شاء.

اعلم أنَّ للموجود مرتبتين:

الأول: رُتبةُ الفِعْلِ والتَّأثيرِ.

الثاني: رُتْبَةُ القَبُولِ.

فللممكنات الرُّتبة الثانية وهي القَبُولُ، وأعيانُ مراتِبِ الكونِ بالنسبة إلى الإيجاد، ونسبةُ الإيجاد إليها على السَّوِيَّةِ، فإذا تقدَّم بعضُ الممكنات إلى بعضٍ مع التسوية في النِّسبة، فذلك لرجحانِ أمر فيه يقتضي بروزه بها على غيره، كالنُّبوَّةِ والولاية والإمارة، فإنه ما من إنسان إلاَّ وهو قابِلٌ لها، فيُقَدِّمُ الحقُّ مَن شاءَ فيها بخصوصية يعلَمُها الحقُّ منه، فيتأخَّرُ الباقونَ في ذلك الزَّمانِ.

وهذا التقديم والتأخير إما أن يكون في حضرةِ الثُّبوتِ بحسب كمال استعدادات الأعيانِ الثَّابتة ونُقصانِها في قَبُول آثارِ التجلِّيَاتِ الجماليَّة والجلاليَّة، بخصوصياتها وقابليَّاتها وتأثيرات التجلِّيَات اللُّطْفِيَّةِ والقَهرِيَّة، فإنَّ التجليَّات الجلاليَّة ذاتُ هيبَةٍ لا طاقَةَ لحقائق الأكوانِ مُقاومةُ سطْوَتِها، فتتأخَّرُ عن البروزِ في مكامِنِهَا، وتأبى عن قبُول كِسْوَةِ الوجود لمُشاهَدَةِ عَظَمَتِها، كما أبَتِ السَّماواتُ والأرضُ والجِبَالُ عن قَبُولِ الأمانَةِ، وتأخَّرْنَ عن حَمْلِهَا، فيتقدَّمُ غيرُها مِنْ مَجَالِي التجليَّاتِ الجماليَّة اللُّطْفِيَّة الكماليَّة لَمَّا ذَاقَ مِن آثار اللَّطائِفِ الغيبيَّة،

واسْتَنْشَقَ طِيبَ روائِحِ النَّسماتِ النُّورِيَّةِ، رَغْبَةً في خِلْعَةِ الوجود، وشوقاً إلى قضاءِ الشُّهُودِ.

وأمَّا التقدُّم والتأخُّر في حضرَةِ الوجودِ، فهُما مرتبتان للخالِصِ والمُخْلِصِ، فالخالِصُ مَنْ لم يتغيَّر عمَّا كان عليه من طهارَةِ الفِطْرَةِ، فهو الخالِصُ لنفسه، ما مَلِكَهُ أحدٌ مِنَ النَّفْسِ والشَّيطانِ، فيُحَوِّجُهُ إلى الاستخلاصِ منه، بل لم يزل خالِصاً لنفسه، طاهراً مُطَهِّراً، فبقي عَهْدُهُ على أصله، وهو الدِّينُ الخالِصُ، ما خالَطَهُ شَوْبٌ أصلاً، ولا يَشْقَى صاحِبُ هذا العهد، لأنه لا يشقى إلاَّ الجاحِدُ والمُكايِدُ في استِخْلاصِ الدِّينِ، وهو المُخْلِصُ الذي أُمِرَ باستِخْلاصِ عَهْدِهِ عن شوائِبِ تصرُّفاتِ النَّفْسِ والشَّيطانِ، وهو صاحِبُ الرُّتبة الثانية من السعادة، والرُّتبة الأولى لصاحِبِ الدِّينِ الخالِصِ، وهم الذين يَغْبِطُهُمُ الأنبياء يومَ الجَمْعِ، وإنْ كانوا مجهولين في الدُّنيا، وهم المُستَمِدُّونَ مِن حَضْرَةِ اسْمِ المُقَدِّمِ، والمُخْلِصُونَ من اسْمِ المُؤَخِّرِ.

* * *

الأوَّلُ والآخِرُ

الأوَّلُ بالوجوب وابتدائِهِ بالإحسانِ، **والآخِرُ** برجُوعِ الأمْرِ إليه وتفضيلهُ بالغُفران، فللحَقِّ الأوَلِيَّةُ من حيث إنه المُوجِدُ لكُلِّ شيءٍ، وله الآخِرِيَّةُ من حيث رجوع الأمر كلِّه إليه، وظهور مراتب الأسماء الإلٰهِيَّةِ كلها فيما بين الأوَّلِيَّةِ والأُخْرَوِيَّةِ، فهذا من حيث إطلاقِ حُكْمِ الوجود.

فأمَّا من حيثُ الرُّتبة، إذا كان الحقُّ الأول كان الإنسان الآخِرَ، فإنَّه في آخِرِ درجاتِ مراتِبِ الوجودِ، وهو الآخِرُ أيضاً برجوعِ أمْرِ العوالِمِ إليه، لظهور نِظامِها وعادَتِها بوجودِهِ، ولذلك إذا رَحِلَ عنها زَالَتْ أمور الدُّنيا، وانْتَقَلَ الأمرُ إلى دارِ الآخِرَةِ بانتقاله، ليكون الأمرُ حيث ما كان المقصود، ولذلك قامَ الحقُّ بالإحاطَةِ لِحِفْظِهِ من ورائِهِ، لئلاَّ يَلْحَقَ به العَدَمُ فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [البُرُوج: الآية 20] وهو الأوَّلِيَّةُ لصدوره منه، وترَصُّدِهِ في الغايَةِ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النَّجم: الآية 42] فالحقُّ وراءَ العبدِ كما هو أمامَهُ، ولو لم يكن كذلك لكان انتهاؤُهُ إلى العدم، فإحاطَةُ الحقِّ لا يزالُ يحُولُ بين العبدِ وبين العَدَمِ، ولمَّا كانَ أمْرُ الوجود دَوْرِياً كان الآخِرُ عينَ الأولِ، ولا تزالُ أعيانُ مراتِبِ الكونِ سائِحاً في فَلَكِ الوجود، ولا يزالُ وجهُ السائِرِ في منازِلِ الشُّهُودِ إلى اسْمِ الأوَّلِ، وظَهْرُهُ إلى اسم الآخِرِ، ولذلك يقال لمن عدِمَ النور في موطِنِ الآخِرَةِ: ﴿ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا﴾ [الحَديد: الآية 13] لِكَوْنِ الحقِّ مِن ورائهم وهو النور، فلو أمْكَنَ لهم الرجوع إلى الوراء ـ وهي الدُّنيا ـ لوَجَدُوا الآن الحياة الدُّنيا محلَّ اكتِساب أنوارِ المعارِفِ، ولكن حالَ بينهم وبين الحياة الدُّنيا سُورُ المَنْعِ، فلا بُدَّ من رجُوعِ الآخِرِ إلى الأوَّل.

الظَّاهِرُ البَاطِنُ

الظَّاهِرُ لنفسه فما زال ظاهِراً، والباطِنُ عن خَلْقِهِ فلم يزل باطِناً، فهو الظَّاهِرُ بالكِفايةِ، والباطِنُ بالعنايَةِ.

اعلم أنَّ لأهْلِ العناية في الكشف مرتبتين فأحدُهما أعلى من الثاني:

المرتبةُ الأولى: فكامِلٌ يكونُ له به وهو السَّابِقُ.

المرتبة الثانية: وعارِفٌ يكونُ لهُ بِنَفْسِهِ، وهو المُقْتَصِدُ المُحَقِّقُ بحقائِقِ العبوديَّة، المُتَّصِفُ بجميع الأحوال من الفناءِ والبقاءِ، والمَحْوِ والإثباتِ، والغَيْبَةِ والحُضُورِ، والفَرْقِ والجَمْعِ، والمُتَقَلِّبُ في الأطوَارِ والمقامات مِنَ التَّوَكُّلِ، والزُّهْدِ، والوَرَعِ، والمَحَبَّةِ، والمَعْرِفَةِ، والصَّبْرِ، والشُّكر، والرِّضا، والتَّسليم وغيره، وذلك أنَّ نَفْسَهُ قابِلٌ للتَّغيير، لِما يقتضي حقيقةُ الوَسَطِ من تأثِيرِ أحوالِ الطَّرفينِ، والمُقتصِدُ برْزَخٌ بين كمالٍ ونُقصانٍ، وهو المُكَلَّفُ الحقيقيُّ، دخَلَ كلَّ مقام ما دعَاهُ الحَقُّ إليه ـ على لِسانِ الشَّارِعِ ـ ذَوْقاً وحالاً، اعتقاداً وعِلْماً، فإنَّ عامَّةَ عُلماءِ الرُّسومِ يعلمُونَ هذه الأمور ولا قَدَمَ لهم فيها، فمِثْلُ هذا العارِفِ إذا تجلَّى له الحقُّ من اسْمِ الظَّاهِرِ لم يثْبُتْ لظُهُورِهِ، لأنه قائِمٌ بالحقوقِ بنفْسِهِ، والمُحْدَثُ إنْ ظَهَرَ له القديمُ يَمْحُو أثَرَهُ، فمِنْ أينَ له طاقَةُ رُؤْيَةِ القدِيم، ولم يَثْبت لظهور الحقِّ إلاَّ مَن كان الحقُّ بَصرَهُ، ألا ترى حالَ الكَلِيم عليه السلام لَمَّا كان الحقُّ سَمْعَه ثَبَتَ لِسماعِ كلام الحقِّ، فلمَّا وقَعَ التَّجلِّي ـ ولم يكن يَضُرُّهُ ـ صَعِقَ، وما ظَهَرَت الرُّؤْيَةُ له ولا للجبَلِ، ولذلك وقعَ الصَّعْقُ والإنْدِكاكُ، ولو ظهَرَ ما وقَعَ ذلك، لأنه الوجود، والوجود خيرٌ كلُّه، والخيرُ لا يأتِي إلاَّ بالخير، والوجود لا يُعْطِي إلاَّ الوجود.

وأمَّا الكامِلُ فهو له به لا بنفسه، فله الثُّباتُ في كل موطِنٍ والشُّهودُ في كل مَشْهَدٍ ومَظْهَرٍ بالقُوَّةِ الإلٰهيَّةِ السَّارِيَةِ في ذاتِهِ، فلا يبقى حالٌ ولا مقامٌ إلاَّ ويظهَرُ به ويتصرَّفُ فيه، فهو مالِكُ الأحوالِ والمقامات، يكونُ الحقُّ سَمْعَهُ وبَصَرَهُ، وجميعَ قُوَاهُ، كما قال رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآلِهِ وسلَّمَ: «**إنَّما نَحْنُ بِهِ وَلَهُ**»[1].

والمُقْتَصِدُ يُنْكِرُ على الكامل، لِمَا يقتضي جمالُهُ من العبوديَّة المَحْضَةِ، ولا يُنْكِرُ الكامِلُ عليه، لاستشرافه على المقامات بوجوده الحقَّانِيِّ، فإنَّ الكامِلَ يتصرَّفُ بالحقِّ في الحقِّ للحَقِّ، والعارِفُ يتصرَّفُ بالحَقِّ في الخَلْقِ للحَقِّ، وله خَرْقُ العوائِدِ.

فالمُقْتَصِدُ صاحِبُ كرامَةٍ، وهو معلومٌ عند الحقِّ والخَلْقِ، ويتطَرَّقُ إليه المَكْرُ والاستِدْراجُ.

والكامِلُ صاحِبُ منزِلَةٍ معلومة عند الحقِّ ومجهولةٍ عند الخَلْقِ، لا يتطرَّقُ إليه المَكْرُ، لأنه على بَيِّنَةٍ من ربِّهِ، ولِمَا ورَدَ حقيقةُ الخَبَرِ الإلٰهِيِّ بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية 5]، وقال الشَّارِعُ: «**لَوْ دُلِّيتُمْ لَهَبَطْتُمْ عَلَى الله**»[2] تَحَيَّرَ المُقْتَصِدُ، وتَنَبَّهَ الكامِلُ المُعْتَكِف على باب حَضْرَتِه.

واعلم أنَّ نسبة الصعود والهبوط على السَّواءِ في ظاهريَّة الحق، وعدَمِ تحيُّر الذاتِ المُتعالية، وبراءةِ ساحة الهُوِيَّةِ عن التَّقييد والإطلاق، والصعود والهبوط نَعْتٌ، فلا صعود في ظهور الحقِّ، ولا هبوط من حيث غَيْبِ هُوِيَّتِهِ في الدَّائِرة الوجوديَّة، والصاعد في الدائرة عينُ الهابِطِ.

وما انقسمَتْ دائِرَةُ الوجود إلاَّ بالخَطِّ الموهومِ، ولا وجود لها إلاَّ به، وهو

---

(1) أورده الخازن في تفسير لباب التأويل في معالم التنزيل، سورة الجمعة، الباب (10) [6/ 103].

(2) ورد بلفظ: «والذي نفس محمد بيده لو أنكم دلّيتم رجلاً بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله ثم قرأ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: الآية 3] رواه الترمذي في سننه، باب ومن سورة الحديد، حديث رقم (3298) [5/ 403] ورواه غيره.

عينُ المُقيَّدِ، وإذا كان الحقُّ سَمْعَ المُقَيَّدِ وبَصَرَهُ ارتفَعَ التقييد والحَظُّ، ولم يَبْقَ سِوَى الدَّائرةِ.

فهو الظَّاهِرُ بنفسه لنفسه، المُظْهِرُ لغيره، ولِكَمالِ ظُهُورِهِ، وجلالَةِ بُرُوزِهِ أَبْرَزَتْ شِدَّةُ ظُهُورِهِ خفاءهُ، فسبحان مَن احْتَجَبَ بإشْراقِ نُوره، واختفى عن العقول والأبصار بشدَّةِ ظهوره.

وأما سِرُّ بُطُونِ الحقِّ من اسم الباطِنِ، فهو أنْ تعْلَمَ أنَّ رُؤْيَةَ الشيء تقتضي العِلْمَ به، وهو عِلْمُ الرَّائِيِّ أنه رأى شيئاً ما، وأحاطَ عِلْماً بما رآهُ، وعند أهل الحقِّ لا تنضبطُ رؤية الحقِّ، وما لا ينضبطُ لا يقال فيه أنه يَرَى أو يَعْلَمُ، وتتنوَّعُ الصُّوَرُ على المُكاشفِ أيضاً في تجلِّيَاتِ المَشَاهِدِ مع أحدِيَّةِ العين في نَفْسِ الأمر، فما رآهُ إلاَّ مَنْ رأى أنه ما رآهُ ولا يَعْلَمُهُ إلاَّ مَنْ عَلِمَ أنَّه ما عَلِمَ، ولذلك قال عزَّ شأنُهُ للكَلِيم: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: الآية 143] لأنَّ المقصود مِنَ الرُّؤيةِ حصول العِلْمِ بالمَرْئِي، وهو غير ممكنٍ مِنَ الممكن، ولو فَتَّشَ على دقائِقِ تغيُّراتِ أحوالِهِ في كل نَفَسٍ لَعَلِمَ أنَّ الحقَّ عينُ أحوالِهِ، وأنَّه تعالى مِن حيثُ وجودِهِ وراء ذلك كله، كما هو عينُ ذلك كلِّهِ، ولهذا قال موسى عليه السَّلام: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: الآية 143] أي لا أطْلُبُ رُؤْيَتَكَ على الوجه الذي كنتُ طلبْتُهَا، فإني قد عَرَفْتُ ما لم أكن أعْلَمُهُ منك.

فالحُجُبُ الإلٰهيَّةُ أبداً أسْدلَتْ بينه وبين خَلْقِهِ، ولو رُفِعَتْ لاحْتَرَقَت سُبُحَاتُ وجهه ما أدْرَكَهُ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ.

والحُجُبُ إنْ كانت غيرَ مخلوقة فلا حِجاب ولا احْتِجاب، وإن كانت مخلوقةً فكيف لا تُحْرِقُهُ السُّبُحاتُ.

فالحقُّ فيه أنها أسرارٌ أخفاها الله عن خلْقِهِ، سمَّى ذلك الإخفاءَ حِجاباً، فنُورِيَّةٌ منها ما حَجَبَ به من الأمور الطبيعية والرَّسميَّة، وليس الإحراقُ إلاَّ اندِرَاجَ النُّور الأدنى في الأعْلَى، كاندِرَاجِ أنوار الكواكب تحت شُعاعِ الشمس، ففي هذا المشهدِ ظَهَرَ الشَّطْحُ عمَّن ظَهَرَ، ولمَّا كانت الأشياء تنحَفِظُ بالحدود، فإذا جاوَزَ الشيءُ حَدَّهُ انْعَكَسَ إلى ضِدِّهِ، كذلك ظُهُورُ الحَقِّ لَمَّا تجاوَزَ عن حدِّ

العقولِ والإدراكِ بَطَنَ واسْتَتَرَ عن العامَّةِ، فلم يَظْهَر لهم الأمرُ على ما هو عليه: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾ [طٰه: الآية 62] وأَسَرَّ المُكاشِفُونَ النَّجْوَى لِئَلاّ تقعَ الحِكمةُ في غيرِ أَهْلِها، فإنَّ قلوبَ أهلِ الحِجابِ مدَافِنُ الحَيِّ من حيثُ أنها مَحَلُّ العِلْمِ به، والحُكْمُ عندهم للمَدْفَنِ لا للمَدْفُونِ، لعَدَمِ وقوفهم عند حدوده ومراعاتهم لحضوره، فلا حُكْمَ للحقِّ فيهم أبداً، لغَلَبَةِ أحكام أهوائهم، فهو الباطن فيهم أبداً حُكماً ومعنًى، وإن ظَهَرَ فيما ظهر إنما ظَهَرَ ليُعْرَفَ حدُّ العارِفِينَ في مَعْرِفَتِهِ أنْ يَعْرِفُوا أنَّه لا يُعْرَفُ، إذ لو عُرِفَ لم يكن باطِناً وهو الباطِنُ، والبُطُونُ يختصُّ بالممكنات، كما أنَّ الظُهُورَ يختصُّ بالوجود، والبطون الذي وَصَفَ به نَفْسَهُ إنما هو في حقِّ الممكن، فالممكنات باطِنُ الخَلْقِ، والخَلْقُ ظاهِرُهُ، لأنه مِن بطُونِ الحقِّ ظَهَرَ الكونُ، وبما ظَهَرَ اسْتَتَرَ، وفيما بَطَنَ ظَهَرَ، فالظُهورُ عينُ البُطُونِ، كما أنَّ الآخِرَ عينُ الأوَّلِ.

* * *

الوَالِــي المُتَعَالي

الوَالِيُ الحاكِمُ الذي حَكَمَ فَعَدَلَ، وأعْطَى فَأَفْضَلَ، قَدَّمَ مَن شاءَ بفضله، ﺧﺮَ مَن شاء بِعَدْلِهِ، المُتعالِي على مَنْ أراد عُلُوّاً في الأرضِ وادَّعَى ما ليس له، ...تَالِي مِنَ العَلِيِّ كالمُتَكَبِّرِ مِنَ الكَبِيرِ.

اعلم أنَّ الوالي هو الإمام الحاكِم المنصوب للولاية، ولهذا المنصب ...ب غير متناهية:

فأعْلاها الإمامَةُ الكبرى والوِلايةُ العُظْمَى لِمَنْ: ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ ...ؤمنون: الآية 88].

وأدْناها وِلايَةُ العبدِ على رعايا جوارِحَهِ وقُوَاهُ.

وبينهما دَرَجاتٌ غيرُ محصورَةٍ، فَمُلْكُ كلِّ وَالٍ يتَّسِعُ ويَضِيقُ بحَسَبِ ما ...ضي حالُهُ، والسَّعِيدُ المُسَدَّدُ مِنَ الأئِمَةِ والوُلاةِ مَنْ راقَبَ أحوَالَ مملكته مع ...ناسِ، وعرَفَ قَدْرَ مَا وَلاَّهُ الله عليه، وسارَعَ لأدَاءِ حقوقِ الرَّعايا بالعدل ...حسان، فإنْ شَغَلَهُ عن ذلك التَّمتُّعُ باللَّذَاتِ ونَيْلِ الشَّهوات فقد عزَلَ نَفْسَهُ ...سِهِ، وحَرَّمَهُ الحقُّ عن مَرْتبة الولاية والسِّيادة، ونزَلَ به الخيبَةُ والعذابُ ...حسرَةُ والنَّدامَةُ حيث لم ينفعه، فما مِن إنسانٍ إلاَّ وله مرتبة المملوكيَّة من وجهٍ ...تبة المالِكِيَّةِ من وجه: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا ...﴾ [الزّخرُف: الآية 32].

والوِلاية المُطْلقةُ المُحِيطَةُ للحقِّ عزَّ شأنُهُ الرَّفيع الدَّرجات، وأكملُ مراتِبِ ...ـة في هذا النوع الإنسانيِّ مَنْ وَالَى بينَ الأسماءِ الإلٰهيَّةِ بالتَّخَلُّقِ والاتِّصافِ ... ضريقةِ أهلِ الحقِّ، بمُحافظةِ الحدود والآدابِ عند شُهُودِ أحكامها ووجودِ

آثارِها، بتزكية النَّفْسِ وتَصْفِيَةِ القلب وتَجْلِيَةِ الرُّوح في تصاريف شؤونها، وظهور نتائجها، وبروز كمالاتها.

وشأنُ الوَالِي لا يكون أبداً إلاَّ في الخَيْرِ، وإنْ كان الأمرُ في صورةِ البلاءِ والشَّرِّ، لكونه عقوبةً ونَكَالاً إلاَّ في إقامة الحدود، فإنَّ ذلك خيرٌ مِنْ حيث إنه تطهيرٌ، ولذلك كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وآلِهِ وسلَّم يقول: «**الخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيكَ والشَّرُّ ليسَ إلَيكَ**»، ولَمَّا كان العلوُّ والتكبُّرُ والزَّهْوُ والفَخْرُ من لوازم هذه المرتبة، وهذه الصفات هي الدَّاءُ العِضالُ، أَنْزَلَ الحقُّ لهذا الدَّاء دواءً شافياً وهو أَمْرُهُ بالسُّجودِ للكعبة، فمن داوَمَ منهم شُرْبَ هذا الدواء مع الاحتماء بُرِىءَ مِنْ عِلَّتِهِ، وعَلِمَ أنَّ زِمامَ أمْرِهِ بيدِ الوالِي الحكيم الذي يَفعَلُ ما يُريدُه المُحْسِنُ، فهو البَرُّ بإحسانِهِ ونِعَمِهِ وآلائِهِ التي أَنْعَمَ بها على خلقِهِ، لافتقارهم إلى ذلك، ومِن عموم بَرِّهِ وإحسانه وشمول رحْمَةِ امتنانِهِ أَخْرَجَ المُمكنات من ظُلْمَةِ العدمِ، وأكْساهُمْ خِلَعَ الوجودِ، ثُمَّ سَرَى في أعيانِ مراتِبِ الكونِ، ولولا ذلك ما شَقِيَ وَلَدُ وَالِدٍ بِوَلَدِهِ، وأكثرُ الخَلْقِ رحمةً أَقْرَبُهُمْ إلى الرَّحمانِ، وإنَّ الله تعالى يُسْرِعُ بالبِرِّ والرَّحمة إلى الرُّحَماءِ مِن عبادِهِ بِخَلْقِهِ، فبرحمتهم خَلَقَ الله رَحِمَهُمُ الله، لأنَّ أعمالهم تُرَدُّ عليهم، والإحسان أيضاً هو الحضور مع الحقِّ، وهو أَبَرُّ البرِّ لقوله عليه السَّلامُ: «**الإحْسانُ أنْ تَعْبُدَ الله كأنَّكَ تَراهُ**»[1]، وهو الحُضُور، فإنَّ العبد إذْ جَعَلَ في نَفْسِهِ أنه يرى رَبَّهُ أو يراهُ ربُّه في أعمالٍ له انفتحت بصيرته بنور المُشاهدة، فيرى العامِلُ هُوِيَّةَ الحق لا هُوِيَّتَهُ، والعبدُ محلٌّ لظهور ذلك العملِ، فالإحسانُ رُوحُ الأعمالِ، ولا حياة للعمل إلاَّ بالحضور، ولها دوامُ البقاء إذا أَكْساهَا صاحبها حُلَّةَ الحضور، فلم يزلْ يستغفِرْ لصاحبها وإنْ كان العملُ مَعْصِيةً، فما مِن مؤمن يَعْصي إلاَّ ويَجِدُ في نفسِه ذلك ذُلَّ المعصية، لعلمه بأنها معصية، وأيُّ حضور أشرَفُ من الحضور العلميِّ، ولا بدَّ أن يُبَدِّلَ هذا الروح العلمي سيِّئة المعصيةِ حسَنَةً، وإن لم ينفَخِ العبدُ روح الحضور في عمله فلا

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم، حديث رقم (4499) [4/ 1793] ورواه البيهقي في السنن الكبرى، باب ما ترد به شهادة أهل الأهواء، حديث رقم (20660) [10/ 203] ورواه غيرهما.

ـسيِّعُهُ الحقُّ، لأنه خَلْقٌ مِن خَلْقِهِ ولا بدَّ أن يُنْفِخَ فيها روحاً إلٰهِيّاً يسبِّحُ بِحَمْدِهِ، ـذا كان النَّفْخُ من العبدِ يُسبِّح بحمدِهِ ويستغفِرُ للعبدِ، وبهذا تُمَيِّزُ العَمَلَينِ.

واعلم أنَّ صورة الحضور الإحسانيَّة تتنوَّعُ بتنوُّعِ المواطِنِ والاعتقادات ـأحوال مِنَ المواطِنِ، فلِكُلِّ عبدٍ حالٌ، ولكلِّ حالٍ موْطِنٌ بحَسَبِ حالِه، يقول ـي الحقَّ ما يَجِدُهُ في عقله، وبِحَسَب ذلك الحالِ يتجلَّى له الحقُّ في صورة ـتقاده، والحقُّ وراء ذلك، فيُنْكِرُ تارةً، ويَعْرِفُ تارَةً، ولا يتخَلَّص من حِجابِ ـنكارِ إلاَّ المُحْسِنُ الكامِلُ الذي عَمَّ شُهُودُهُ في المَشاهِدِ، ودَامَ حضُورُهُ في ـواقِفِ والمظاهِرِ.

* * *

التَّــوَّابُ

التَّوَّابُ العائِدُ على عبدِهِ بِبِرِّهِ، الذي قابَلَ الدُّعاءَ بِالعطَاءِ، والاعْتِذَارَ بالاغْتِفارِ، والتَّوبَةَ بالمغفِرَةِ.

اعلم أنَّ من عموم رحمة الحقِّ لعباده، أنَّه ـ تعالى ـ يقبلُ التوبة والطَّاعاتِ لا المعاصي، وذلك لأنَّ المقبُولَ مشهُودٌ، ولا يشهَدُ الحقُّ مِنْ عبادِهِ إلاَّ ما هو حَسَنٌ مقبولٌ عنده، فالحَسَنُ المقبولُ مِنَ الأعمالِ في ديوانِ الحقِّ، والسَّيِّئاتُ في ديوانِ الملائكة، فإنَّ الحقَّ طيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلاَّ طيِّباً، ولا بُدَّ لكل عبدٍ أن يكون على خُلُقٍ مِن مكارِمِ الأخلاقِ، وهو الأمرُ الطَّيِّبُ المقبُولُ، وهو الشَّفِيعُ لصاحِبِهِ عند الله بعد استيفاءِ المُحاسبةِ في ديوانِ الملائِكَةِ، فإذا وقَعَ فرَاغُ المَلَكِ بما اقتضاهُ العبدُ، ورَفَعَ أمْرَهُ إلى الحَقِّ يَجِدُ العبدُ في رجوعه إلى الحقِّ شفيعاً، وهو الخُلُقُ الكَريمُ الذي كان عليه ـ كانَ العبدُ مَنْ كانَ ـ فإنَّ له بذلك في دارِهِ نعيماً دائِماً في نفسه، وإن ظهر عند غيره غَيْرُ ذلك، لأنَّ التَّوَّابَ حاجِبٌ على بابِ الكريم، يُجازِي على السَّيِّئةِ الحَسَنَةَ، وفَضْلُ الله أوْسَعُ مِنْ أن يُقَيِّدَهُ المُقَيِّدُ، ولا يُعَظَّمُ الفَضْلُ الإلٰهي إلاَّ في المُذْنِبِينَ وأهْلِ الإساءَةِ، فإنَّ المُحسنين ما عليهم من سَبيلٍ.

* * *

المُنْتَقِـمُ

المُنْتَقِمُ ممَّنْ عَصَاهُ، مُطَهِّراً له مِن ذلك إمَّا في الدُّنيا بإقامةِ الحدودِ
لأسْقَام والآلام، وإما في الآخِرَةِ بما شاء.

اعلم أنَّه لَمَّا كانت النِّسَبُ التي بينَ الحقِّ والعالَم من اسْمِ الرَّحمانِ، وهي
نـي بنفسِها وَسِعَتْ كلَّ شيءٍ وأوْجَدَتْهُ منه، والانتقامُ من الأشياء الذي وَسِعَتْهُ
رَحْمَةُ، فكانَ المُنتقمُ قِطْعَةً مِنَ الرَّحْمَةِ، ولا يُوجَدُ المُنْتَقِمُ أبداً خالياً من الرَّحمة
ن وجه، فإنَّ كلَّ مَنْ غَضِبَ مِنَ المُمكنات وانتقَمَ فإنَّه رَحِمَ نَفْسَهُ بذلك
انتقام، وحَصَّلَ لِنَفْسِهِ شِفاءً بذلك ممَّا كان يَجِدُ مِنْ ألَم الغَضَبِ، فكُلُّ مُنتقِم
حمٌ مِنْ وجه مرحُومٌ من وجه، وكذلك الأسماءُ الإلَهِيَّةُ تتقابَلُ في حقِّ
ممكن، وأسماءُ الفضلِ تترجَّحُ على أسماءِ الانتِقامِ والعدلِ قُوَّةً وعَدَداً، والتَّقابُلُ
ن الأسماءِ في ميدانِ الرَّحمة التي وَسِعَتْ كلَّ شيءٍ، فرَحْمَةُ الحَقِّ عامَّة مُطْلَقَةٌ
خلاف انتقامه مع شِدَّةِ بَطْشِهِ، فإنه تعالى لا ينتقِمُ من عبدِهِ إلاَّ مع انتقامه رحْمَةً،
نَ وجود الانتقام رحمةٌ، إذ بها أخْرَجَهُ الحقُّ إلى الوجودِ مِنَ العَدَمِ، كما أنَّ
مخلوقَ إذا انْتَقَمَ مِنْ عبدِهِ لا يَخْلُو انتقامُهُ عن شَوْبِ رَحْمَةٍ، لإبقاءِ سيادته ببقاء
عبد، بخلاف الأجنبيِّ الذي ليس بينه وبين المُنتقم نسبةٌ، فإذا انتقم ممَّن هذه
سنتُهُ لا يَشُوبُ انتقامُهُ رحمةً، ولهذا قال أبو يزيدُ حين سَمِعَ القارِىء يقرأ: ﴿إِنَّ
بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾ [البُرُوج: الآية 12] قال: بَطْشِي أَشَدُّ مِنْ بَطْشِهِ، وإنْ كان
تَ البَطْشُ خَلْقاً للحقِّ، لكِنْ لمَّا خَلَقَهُ في هذا المَحَلِّ أثَّرَ فيه المَحَلُّ، فظَهَرَ
صورةِ المَحَلِّ، والمَحَلُّ المخلُوقُ الأجنبيُّ لا يطلُبُ الانتقامَ مِنْ أحدٍ في قلبِهِ
رحمةٌ.

العَفُــوّ

العَفُوُّ الذي أزالَ عن النُّفوس ظُلَمَ الذُّلاتِ برحمته، وعن القلوب صَدْمَةَ الغَفَلاتِ بكرامته.

اعلم أن حُكم هذا الاسم سَرَى في القليل والكثير، وجَمَعَ بين الضِّدَّين في الحُكْمِ، مثاله الخبر الوارد في إعفاء اللِّحيَة، فإنها تُحمل على الكثير بأن لا يُقصّ منها كما يُقصُّ من الشارِبِ، فإنها إذا تُرِكت على حالِها كَثُرَتْ، وقد يحتمل أنه أراد أن يأخذ منها قليلاً بحسب الزينة الإلٰهيَّة كما يَلِيقُ بالوجه، كما ورد: «**أنَّه عليه السَّلام كانَ يَأْخُذُ مِنْ طُولِ اللِّحْيَةِ لا مِنْ عَرْضِها**».

ومَعَ شُمُوله الكثير والقليل وجَمْعِهِ بين الضِّدَّين لا يَسْرِي حُكْمه إلاَّ في أصحاب الهِمم العالية، فإن الله عزَّ وجلَّ أباح لعبده أن يُجازي المُسيىء بمثل إساءته بقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: الآية 40] فصاحبُ السَّيِّئة مأثومٌ، والسيِّئة الجزائيَّة أيضاً مثلُها بالنص من أنها تَسُوءُ بالمُجازي بها كالقِصاص، فأبَى العارِف لعُلُوِّ هِمَّتِه أن يكون محلاً للاتِّصاف بما يُسمِّيه الحقُّ سيِّئة فاختارَ العفو على الجزاء بالمثل فإنَّ السَّيِّئة قد ذَهَبَتْ عليها وانعدمت وإن بقي أثرَها فهي لا تقبلُ الجزاء ولا أثرَها كالجُرْحِ الحاصل من فِعْلِ المُسيىء إذا اقتصَّ المجروح من الجارح صار الآخر مجروحاً ولم يُبْرِىءْ جُرْحُ الأول، فلو قَبِلَت السَّيِّئة أو أثَرُها جزاءاً لزَالَ عينُها منه، فالسيِّئة فِعْلُ المُسيىءِ وقد ذَهَبَ بذهاب زمان مباشرته ولم يبق إلاَّ المُسَمَّى فأنْزَلَهُ الشَّرع منزِلَةَ السَّيِّئة وأُضِيفَ الجزاءُ إليه، ولهذا قال عليه الصَّلاة والسَّلام في صاحِبِ السَّيِّئة: «**أمَّا إنَّه إنْ قَتَلَهُ**

ـٰنَ مِثْلَهُ»[1] فلو عَلِمَ الناسُ ما في العَفْوِ ما جازَى أحدٌ من أساءَ إليه، ولكِنَّ ـحجُبَ على أعيُنِ البصائِرِ مسدُولةٌ فلا يَسْكُنُ إلاَّ بحصول الأغراض بالمؤاخذة ستِعْجال التَّشفِّي ومِنْ أعظم الجنايات مَنْ بَهَتَ مؤمناً ونَسَبَ إليه من المذَامِّ، ـنْ كمال مكارِمِ الأخلاقِ ظهورِ العفوِ منه عند ذلك وهو أنْ يكتُمَ على الجاني ـزَهُ بعدَمِ المُنازعة وإيثار الجناية على نفسه، فمثلُ هذا لا تبلُغُ الأفهامُ كُنْهَ ما ستحقَّهُ مِنَ الأفضالِ الإلٰهِيَّةِ لكون أجْرِهِ على الله. وفي قول الحقِّ: ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ـهِۚ﴾ [الشورى: الآية 40] إشارة لمن تدبَّرَ.

ولمَّا كان من شأنِ الحقِّ أن يعفُوَ عن كثيرٍ فلا يُؤَاخِذُ إلاَّ على القليل، ـقليلُ لا بُدَّ أن يُستَهْلَكَ في جانِبِ الكثير ولذلك قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ـفُوا۟﴾ [الزُّمَر: الآية 53] وما خصَّ أهلَ دارٍ ولا الأشرافَ، وهو نصٌّ على أنَّ مآلَ ـلْـ إلى الرَّحمة.

* * *

[1] رواه أبو داود في السنن، باب الإمام يأمر بالعفو بالدم، حديث رقم (4501) [4/ 170] وروواه أبو عوانة في المسند، حديث رقم (6190) [4/ 106] وروواه غيرهما.

الــرؤوف

الرَّؤُوفُ مِنَ الرَّأْفَةِ وهو ضَرْبٌ مِنَ الشَّفَقَةِ وهو التَّعطُّف على المُذْنبين بالتوبة وعلى المُقَرَّبين بالعِصْمَة، والرَّأفةُ مِن المَقْلُوبِ مثلُ جَذبَ وجِيذَ ورَاقَ ورَفَا وهو إلْتِيامُ الخَرْقِ وإصلاحُهُ، فرأفَةُ الحقِّ إلْتِيَامُ الرَّحْمَةِ السَّابِقَةِ والرَّحْمة الخاتِمَة كما أشار إليه في أُمِّ الكتاب بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفَاتِحَة: الآية 1]، إشارة إلى الرَّحمة الإيجاديَّة السابقة، وقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفَاتِحَة: الآية 2] إشارة إلى الرَّحمة الخاتِمَةِ، فانْحَصَرَت أمور مراتب العالَمِ بما فيه من أحكام الأسماء المُتقابلة بين إحاطَةِ الرَّحْمَتَين، فإذا فَرَغَتِ الأسماءُ عن أحكامها وسَلْطَنَتِها في المظاهر انتهى الأمر إلى الرَّحمة الشاملة.

وحُكْمُ هذا الاسم أيضاً في الخصوص، ولذلك وصفَ الحقُّ نَبيَّهُ بأنه: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التَّوبَة: الآية 128]، وما قَيَّدَ الإيمانَ إلاَّ لكونه رحمةً للعالمين.

* * *

المُقْسِـطُ

المُقْسِطُ العادِلُ، الذي لا حِيفَةَ في حُكْمِهِ، ولا خوفَ على أوليائه.

اعلم أنَّ الحقَّ - جلَّتْ عَظَمَتُهُ - من هذا الاسم أعطى كل شيء خَلْقَهُ، جعل العُلُوَّ للعالي، والسُّفْلَ للسَّافِلِ، والجَمْعَ للجامِعِ المجموعِ.

فالطَّيِّبُ لا يزالُ يَعْلُو بخاصيَّته واستعداده، ولا يُطالِبُ المقصودَ الحقَّ إلاَّ بالعُلُوِّ، وليس للعلوِّ نهاية إلاَّ الحقُّ سبحانه وتعالى.

والخبيثُ يَهْوِي بخاصيَّته لا يطلُبُ المقصود إلاَّ من هذه الجهة حتى ينتهي به إلى الحق، والعارِفُ يطلُبُهُ في الإحاطة بجميع الجهات، لأنه بكلِّ شيءٍ محيط، والجِهاتُ ما ظَهَرَتْ إلاَّ بوجوده، فله الظُّهور في كل صورةٍ، فالأكْمَلُ مَنْ لم تَحْكُم عليه جِهَةٌ، ودونه مَنْ حَكَمَتْ عليه جهةُ العُلُوِّ، والهاوِيُ دونهما، والمُقْسِطُ بِقِسْطِهِ وعدْلِهِ يتجَلَّى لكل منهم في مرتبته بحسب حاله وعقْدِهِ ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: الآية 123].

* * *

الجَامِعُ

الجامِعُ بوجودِهِ، وكلُّ موجودٍ فيه، الذي يَجْمَعُ هِمَم العارفين على ما يُكاشفهم به من إفضاله.

اعلم لهذا الاسم دوامُ الجمعيَّة، وما لها حُكمٌ إلاّ الجمعُ، ومِن حُكْم هذا الاسم أنه جَمَعَ أفرادَ مراتِبِ الأكوانِ على التَّسبيح بحمده، ولولا سُلطانُ الجَمْع ما ظَهَرَ كَثْرَةُ أحكام الأسماء والصِّفات: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾ [المجادلة: الآية 7] وهو الواحِدُ والاثنانِ ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ [المجادلة: الآية 7] وهو ما لا يتناهى ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: الآية 7] بِحُكْم المَعِيَّةِ، فالجامِعُ اسم لأحدِيَّةِ الكَثْرَةِ، فلا بدَّ مِنَ الجَمْعِ في الأحَدِ، ولا بدَّ من الأحد في الجمع، فالجمعُ عينُ الوجود، ولإحاطتها بمراتب الكون والمكوِّنِ، وإن تظهَرُ في رأيِ العينِ تَفْرِقَةٌ فذلك عينُ الجمعِ، فإنَّ الدليل هنا عينُ المدلول بحُكْمِ المَعِيَّةِ وعموم سريانِ الهُوِيَّةِ، فمطلوبُ كل طالِبٍ عينُ طلَبِهِ، فإنَّ الطَّلَبَ مِنَ القومِ لا يكون إلاّ في عين التَّحصيل.

* * *

الغَنِـيُّ المُغْنِـي

الغَنِيُّ عَنِ العالَمِينَ بهم، ولاستِغْنائه عن طاعَةِ المُطِيعين، المُغْنِي بمعنى
كافي الذي أغْنَى مَنْ شاء بفضله.

اعلم أنَّ الغِناءَ على نوعين:

النوع الأول: غِناءُ الحقِّ.

النوع الثاني: وغِناءُ الخَلْقِ.

وأوَّلُ دَرَجَةِ الغِنَى في المرتبة الخلْقِيَّةِ القناعةُ والاكتِفاءُ بالموجود.

وليس الغِناءُ ما يتوهَّمُهُ أهلُ الحجابِ مِن كَثْرَةِ المالِ مع طَلَبِ الزِّيادة، فإنه
حكُومُ الفَقْرِ، وكَمْ مِن حريصٍ عنده مِنَ المالِ ما يَفِي بِعُمْرِهِ وأولادِهِ، وهو مِنْ
ـدَّة الحِرْصِ والحاجَةِ يَرِدُ موارِدَ الهَلاكِ في طلبِ الزِّيادة.

وذلك أن الإنسان إنما خُلِقَ فقيراً بالذَّاتِ لِمَا يقتضي المرتبة الإمكانيَّة،
ـهذا قال مَن قال: الإنسان لا يكون وجيهاً عند الله، لأن الافتقارَ هو عينُ
ـذِّلَّة، والذَّليلُ لا يكون وجيهاً، هذا حُكمُ إنسان الحيوانِ.

وأما للكامِلِ من هذا النوع وجهان:

الأول: وجه الافتقار بالحقِّ إلى الحقِّ.

الثاني: ووجه الغِنَى إلى الكَوْنِ.

فافتقارُهُ إلى الحقِّ هو غِناءٌ به، ولا يفتَخِرُ إلاَّ بوصوله إلى هذا الغِنَاء،
ـتقارُ العارِفِ عينُ افتِخارِهِ، فإنه حازَ المقامَ الأرفَعَ، لشهوده سَرَيانَ الهُوِيَّةِ
ـهِيَّة في أعيانِ مراتِبِ العالَم، فلا يتوَجَّه الفَقرُ مِن كل فقيرٍ إلاَّ إلى الغَنِيِّ
حمِيدِ، ولا تغيبُ حاجَةُ المُحتاجِ عن إحاطَةِ البصيرِ الشَّهِيدِ، فالعارِفُ المُستغنيُّ

بالحقِّ أغْنَى الأغنياءِ، مع أنه يَحْزَنُ ويَحْرِصُ على طَلَب مَئُونَةِ مَنْ كُلِّفَ به، فإنَّ ذلك من آدابِ الكُمَّلِ، لقُوَّةِ معرفتهم بحدود الله، والكامِلُ مَن لا يُطفىءُ نُورُ معرفَتِهِ نُورَ وَرَعِهِ.

وأما غِناءُ الحقِّ عن العالَمِينَ من حيثُ ذاته المقدَّسة ودوام إطلاقه الحقيقيِّ لا يظهرُ إلاَّ بهم، لأن كونه غنيّاً إنما هو غِنَاهُ عنهم، فإنْ لم يكن العالَمُونَ هناك فَعَنْ مَنْ، فلا بُدَّ منهم لِثُبوتِ الغِناءِ نَعْتاً له.

* * *

المُعْطِــي

المُعْطِي ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: الآية 50].

اعلم أنَّ العطاءَ الإلٰهيَّ في أهل التَّحقيق على نوعين:

الأول: امْتِنانٌ.

الثاني: واجِبٌ.

فعطاءُ الامتِنانِ خَلْعَةُ الوجود، فإنه تعالى بكمالِ جُودِهِ وعمومِ رحمتِهِ أنْعَمَ على أعيانِ العالَمِ بمقتضى الجُودِ، وأكْساهُمْ كَسْوَةَ الوجودِ.

وأما عطاءُ الوجوبِ خُصَّ بها قومٌ مَنْعُوتُونَ بقوله: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الأعراف: الآية 156] في موطِنِ الجزاءِ.

ثمَّ يَعُمُّ عطاءُ الامْتِنانِ ـ وهي الرَّحمة التي وَسِعَتْ كلَّ شيء ـ بإنْعامٍ يَليقُ بأهل المواطِنِ وأمْزِجَةِ أهلِ الدَّرجاتِ والدَّرَكاتِ، فلأهْلِ كل دارٍ نعيم مِن العطاءِ الإلٰهيِّ، لا يشعُرُ بها غير أهلها: ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ۝٢٠﴾ [الإسراء: الآية 20] فَعَمَّ العطاءُ للكُلِّ مع اختلاف المشارِبِ والأذواقِ، فما في الكون عينٌ إلاَّ ويشمُلُهُ العطاءُ، بل هو عينُ العطاءِ، وبالعَطاءِ انْتَظَمَتْ أمور العالَمِ، وبالعالَمِ ظَهَرَتْ أحكامُ العطايا، فأوَّلُهُ تكوينٌ وآخِرُهُ تتمِيمٌ، ولا نهاية للتَّكوين، فأحكامُ اسْمِ المُعْطِي دائِمٌ بدوامِ التَّكوين.

* * *

المَـانِـعُ

المانِعُ الذي مَنْعُهُ عَدْلٌ، وعَطَائُهُ فَضْلٌ.

اعلم أنَّ حُكْمَ هذا الاسم في حضرة الإمكان، فإنَّ المنعَ إنما هو عينُ الممكِنِ، لعدمِ قَبُوله ما لا يقتضي استعداده وخاصيَّته.

فإنَّ أبوابَ المواهِبِ الإلٰهِيَّة مفتوحة، وفيض الوجود دائمٌ، فمَن تنعَّمَ فما حصل له التَّنَعُّم إلاَّ بقابليته وخصوصيته، ومَن تألَّم فلا يَلُومَنَّ إلاَّ نفسَهُ، وإنْ وصَفَ الحقُّ نفسه بالإمساكِ بقوله: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فَاطِر: الآية 2] فذلك عينُ العطاءِ من وجه الحِكمة، فكَمْ من بلاءٍ في صورة العطاءِ، وكم من عِصْمَةٍ وآلاءٍ في صورةِ الإمساك، فإنه إذا أمسَكَ ما أمْسَكَ إلاَّ لِيُظْهِرَ العبدُ الافتقارَ، وهو مفتاحُ أبواب العناية، فبالإمساكِ أعْطاهُ ذلك، فمن أمْسَكَهُ عطاءٌ كيفَ يُوصَفُ بالمَنْعِ.

فاسْمُ المانِعِ يقتضي حُكْمَ المَنْعِ لِعَطاءِ العينِ، كوجودِ البياضِ في محلِّ الأبيضِ إنما هو مِنَ العطاءِ الإلٰهِيِّ، وعينُ إعطاءِ البياض في محلِّ الأبيضِ يمنعُ ما يضادُّهُ من الألوانِ، فهو المانِعُ في عينِ العطاءِ، والمُعْطِي في عينِ المَنْعِ.

❊ ❊ ❊

الضَّــارّ

الضَّارُّ بِما لا يُوافِقُ الغَرَضَ، الذي يُضِرُّ مَن يشاءُ بالخذلان، ويَبْتَلِي من
شاءُ بالحِرمانِ.

اعلم أنَّ لأسرارِ هذا الاسم دِقَّةٍ، لاشتمالِ حُكْمِها على الحَضْرَتَين،
شتراكها بين الحقِّ والعبدِ، لكون الإنسان محلَّ النِّزاعِ دونَ سائِرِ الأنواعِ،
ذلك لم يظهَر دَعْوى الرُّبوبيَّة إلاَّ من هذا النَّوع، فأَوَّل ضَرَرِ هذا الاسم كان
نسه بإيجاده هذا النوع المُنَازِعَ، لِدَعْوَاهُ رُتْبَة الفاعِلِيَّة، فإنَّ نَفْيَ الفعل عنه
ضافته ذلك إلى نفسه أضرَّ بالعبد بما أَلْحَقَهُ بالعدَم وإنْ أَثْبَتَ له أضرَّ بنفسه،
هذا من عموم حُكْمِ النِّسَبِ، فإنها تُفَرِّقُ بِحُكْمِهِ بين الرَّبِّ والمربوب بالقِدَم
حُدُوثِ، ولذلك يقول الحقُّ - عزَّ اسمه - لعبده: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ
الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ [الضحى: الآية 4] لأزَلِيَّة رُتْبَة العَمَاءِ حيث «**كانَ الله ولَمْ يكُنْ مَعَه**
شيءٌ»[1]، والآخِرَة ظهور كَوْنِ العَبدِ في حدِّ الوجودِ، والوجود خيرٌ له من
عدم، والآخِرَةُ خيرٌ له، وما أَوْجَدَ الحقُّ هذا المُنازِعَ إلاَّ لظهور الكنز المَخْفِيِّ،
من أن يظهَرَ بجميع أسمائه وصفاته في مرآة قابليَّة العبد وهو عينُ النَّفع، فهو
ضارٌّ في عينِ النَّفْعِ.

❊ ❊ ❊

(1) صحّ بلفظ: «كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء» رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، حديث رقم (3019) [3/ 1166] ورواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب مبتدأ الخلق، حديث رقم (17480) [9/ 2] ورواه غيرهما.

النَّافِعُ

النَّافِعُ بما يُوافِقُ الغَرَضَ، الذي ينفعُ مَن يشاءُ بما يشاءُ مِن عين الفَضْلِ.

اعلم أنَّ ظهور حُكْمِ هذا الاسم قد يكون بمجرَّد إزالةِ ما يُنافي الغَرَض، وقد يكون بوصول الطَّالِبِ إلى مطلوبه، وقد يَعُمُّ الأمرين وأكثر ما يظهرُ آثارُ حُكْمِها في الاتِّباعِ، وهو قَبُول العطاءِ الإلٰهِيِّ مِن أيدي الرُّسُلِ.

فإنَّ العطاء إمَّا أن يكون بواسطة الرُّسُلِ، وإما أن يكون من غير واسطةٍ، فالأخذُ في هذا النوع من العطاء على خَطَرٍ، يحتاجُ إلى ميزانٍ صحيحٍ، وهو ما شرَعَ الحقُّ على ألْسِنَةِ الرُّسل، فإن لله تعالى مَكْراً في عِبادِهِ لا يشْعُرُ به كلُّ واحِدٍ، قال تعالى: ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النَّمل: الآية 50]، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية 99].

وليس للرُّسُلِ صِفَةُ المَكْرِ، لأنهم بُعِثُوا مُبَيِّنين هادِينَ إلى طريقِ السَّعادة، فالقُبولُ مِنَ الرُّسل على الإطلاق مع تقييد رتبتهم، ومن الحقِّ على التقييد مع إطلاقه، فعمَّ التقييدُ والإطلاقُ في الجانبين.

فالأخذُ مِنَ الرُّسل أنْفَعُ للعبد وأحْصَلُ لسعادته، فالرُّسل مظاهِرُ هذا الاسم.

ثم **اعلم** أنَّ حُكْمَ هذا الاسم لا يتعلَّقُ إلاَّ بالمعدوم، فإنَّ النَّفع عبارة عن حصول الغَرَضِ.

وتعلُّقُ الغرَضِ:

إما أن يكون بإزالة أمْرٍ مكروهٍ، فيتعلَّق الغرَضُ بإعدامِهِ حتى يَلْحَقَهُ بالعَدَمِ.

وإمَّا أن يكون تَعَلُّقُه بتحصيل أمرٍ محبوبٍ، فيتعلَّقُ الغرض بإيجاده حتى يَلْحَقَهُ بالوجود وهو حصوله، فإنَّ المراد معدومٌ، والعدَمُ الشَّرُّ المَحْضُ، والشَّرُّ عَيْنُ الضَّرَرِ.

* * *

النُّــور

النُورُ هو الظَّاهِرُ بنفسه، المُظْهِرُ لغيره، وهو الذي نوَّرَ قلوبَ أوليائه بالمعرفة، ونوَّرَ الأرض بنورِ أوليائه فيها.

اعلم أنَّ درجاتِ الأنوارِ كثيرةٌ: **منها** ما عندَهُ الإدراك، **ومنها** ما به الإدراكُ، **ومنها** يُدْرَكُ به، **ومنها** ما يُدْرَكُ به، **ومنها** ما لا يُدْرَكُ في نفسِهِ لِسَطْوَتِها كالشَّمس، فإذا كان لنُورٍ من الأنوارِ المحسوسة الذي هو أخَسُّ أقسامِ الأنوارِ مثل هذه السَّطوة والغَلَبَةِ على الإدراك، فما ظنُّك بكبرياء النُّور الأعظمِ المُطْلَقِ عن التَّقييد والإطلاقِ.

ولولا احتجابُهُ بحِجابِ الكِبرياءِ والجلالِ لأحْرَقَتْ سُبُحاتُ وجهِ كلِّ مَنْ أدْرَكَهُ، وما في الحُجُبِ المذكورة في الخبرِ الوارِدِ حجابُ النور غيرَ الواحِدِ، وما بقي فهي حُجُبٌ ظُلمانيَّة، ولذلك أفْرَدَ الحقُّ النُّور وأجْمَعَ الظُّلُمات حيثُ ما وَرَدَ مُشِيراً إلى أحدِيَّةِ ذاتِهِ وكَثْرَةِ الحقائق الإمكانيَّة، ولَمَّا كان أعْلَى الحُجُبِ وأعْظَمُها حجابُ النُورِ، والحقُّ ـ جلَّت عَظَمَتُهُ ـ هو النُّورُ، وهو المُحْتَجَبُ فيه به، فبنفسه احْتَجَب، وهو عينُ الحِجابِ على العبدِ.

ولمَّا كان النُّور ما يظهرُ بنفسه ويُظْهِرُ به غيرَهُ، وليس شيءٌ أظْهَرُ للعبد من وجودِهِ، فهو عينُ نُورِهِ، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: الآية 122] ولا يمشي إلاَّ لأجْلِهِ، وهو مِنْ وجودِهِ، وهو عينُ الهُوِيَّةِ مِن حيث سرَيَانِ نُورِ الوجود مِن سماءِ الجُودِ، فما مَشَى إلاَّ بِرَبِّه والحقُّ هو الذي أزال بنورِهِ ظُلْمَةَ الحُدُوثِ، وعينُ المُمكنات لم تَزَلْ في ظُلْمَةِ الثُّبُوتِ ما لها

ـجودٌ مِن نَفْسها، وما ظَهَرَ منها في الوجود إنما هو بِحُكْمِ قابِلِيَّتِهِ في مِرْآةِ ـجود، فمَنْ ظَهَرَ حُكْمُهُ من الممكنات في مِرآةِ الوجودِ عَلِمَ ولَحِقَ باحْتِجَابِ ـخرِ، ومَنْ بَقِيَ في شَيئِيَّةِ ثُبُوتِها لا يَعْلَمُ حتى يُكَلِّمَ بظُهُورِ حُكْمِها.

ويتفاوتُ ذلك بحَسَبِ تفاوُتِ درجاتِ الأنوارِ المحسوسَة كالشَّمْسِ والقمرِ ـسِّراجِ والنَّجْمِ، والمعقولة كنُورِ البَصَرِ والعقلِ والعِلْمِ والكَشْفِ.

ومِفتاحُ الكُلِّ إنما هو نُوران: العقلُ والشَّرْعُ.

* * *

الهَـــادِي

الهَادِيُ مُشتقٌ من الهِدَايَةِ، الذي يَهْدِي القلوبَ إلى معرِفَتِهِ، والنُفوس إلى طاعته، والأحياء بالتقرُّب إليه، والعُلماءَ إلى شهود ما هو الأمر عليه.

اعلم أن الهُدَى:

إما توفيقيٌّ ـ وهو الذي يُورِثُ السَّعادة ـ وهو ما قامَ به الأنبياءُ وخواصُّ الأوْلِياء.

وإمَّا تِبْيانيٌّ - وهو الشَّرع المُنَزَّلُ، وهو يُورِثُ العِلْمَ في العموم، والسعادة في الخصوص.

فالهُدَى التَّوفيقي اصْطِفاء، والتِّبيانيُّ ابتلاءٌ.

ومن خصائص أحكام هذا الاسم التوفيقُ والبيانُ.

فالتوفيقُ هو الأخذُ والتمسُّك بهُدَى الأنبياء.

والبيانُ هو شَرْحُ ما جاءَ به الحقُّ عن كشفٍ، لا عن ظنٍّ بحُكْمِ النَّظرِ أو تأويلٍ بحكم الفِكْرِ، فإنَّ البيانَ ما يتطرَّقُ إليه الاحتمالُ، ولا يظهَرُ حقيقتُهُ إلاً بالكَشْفِ أو النَّصِّ، فإنه لا بيانَ أبْيَنُ مِن بيانِ الحَقِّ.

ومَنْ حَكَمَ على الشَّرْعِ بنَظَرِ عقلِهِ، ونَفَى ما دلَّ عليه بظاهِرِهِ، وصَرَفَهُ إلى معنى يُوافِقُ غَرَضَهُ، فهو مِمَّن حَرَّمَهُ الله بَرَكَةَ العِلْم، وضاعَفَ حَسْرَتَهُ، وليس له قَدَمٌ في مَنْزِلَةِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزُمر: الآية 18] والكلامُ كلُّه حَسَنٌ من حيث الوجود، وأحْسَنُهُ ما يُوافِقُ المقصود، ولا يُصادِفُ ذلك إلاً أولو الألبابِ، الغَوَّاصونَ في تَيَّارِ الحقائِقِ، المُسْتَخْرِجُونَ لُبَابَ الدُّرَرِ مِنْ أصْدافِ

الألفاظِ، بخلافِ أهلِ الظَّاهِرِ فإنه لا يقعُ نَظَرُهم إلاَّ على الحِجابِ، والمحجوبون عقولهم على دُونِهِ.

ومن أهل التَّقييد: مَن قال بالرُّؤيةِ وتعلَّقَ بِمَا أثْبَتَ ذلك رسُول الله صلَّى الله عليه وآلِهِ وسلَّم بقوله: «**تَرَوْنَ رَبَّكُمْ**»[1] وصَدَقَ.

ومنهم: مَنْ نَفَى لِنَفْيِهِ عليه السلام حين سُئِلَ: هل رأيتَ ربَّك؟ قال: «**نُورٌ أنَّى أَرَاهُ**»[2]، فَصَدَقَ النَّافِيُ والمُثْبِتُ في تَقْييد عَقْدِهِما، وهذا كمن أبْصَرَ صُورَةَ زيدٍ فحَكَمَ أنه رأى زَيداً وهو صادِقٌ في حُكْمِهِ.

وعَلِمَ آخر أنَّ خَلْفَ هذه الصورة أمرٌ منه بقاءُ الصورة وتدبيره فقال: إنَّ زيداً هو عينُ ذلك الأمرِ لا عينُ الصورة، ولا يرى ذلك لاحتجابه بالصورة، وصَدَقَ بأنه ما رآهُ.

ومن قال: إنَّ زيداً هو مجموعُ هذه الصورة الظاهِرَةِ والأمْرِ الباطِنِ، هو الذي أصابَ، كذلك من قال إنَّ الحقَّ ظاهِرٌ، والظَّاهِرُ لا تُخْفَى مُشاهَدَتُهُ، فهو مشهودٌ مَرْئِيٌّ صَدَقَ، لأنه بكل شيءٍ مُحِيطٌ، وعلى كل شيء شهيدٌ.

ومن قال إنّهُ باطِنٌ والباطِنُ لا يظهَرُ صَدَقَ لقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: الآية 103] فهو مِنْ هذا الوجه لا يُشْهَدُ ولا يُرَى.

والرَّاسِخُ في العِلْمِ هو الذي تولَّى الحقُّ تعليمَهُ بنفسه فخَصَّهُ بشُهُودِ الأمر على ما هو عليه: ﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَـٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزُّمَر: الآية 18].

* * *

(1) رواه النسائي في السنن الكبرى، المعافاة والعقوبة، حديث رقم (7761) [4/ 419] ورواه أحمد في المسند عن أبي هريرة حديث رقم (10919) [2/ 533] ورواه غيرهما.

(2) رواه مسلم في صحيحه، باب في قوله عليه السلام: نور أنى أراه، حديث رقم (178) [1/ 161] ورواه الطبراني في المعجم الأوسط، حديث رقم (8300) [8/ 170] ورواه غيرهما.

البَـــدِيـــعُ

البَدِيعُ بمعنى المُبْدِعِ، هو الذي يَخْلُقُ بلا مِثالٍ سابِقٍ، لا شَبِيهَ له في الإبْدَاعِ، ولا شريكَ له في الاختراع.

اعلم أنَّ أكثر ما يَظْهَرُ حُكْمُ هذا الاسم في حضرةِ الخِيَالِ، فإنَّ مِنْ شأنِ هذه القوَّة: قوَّة الخَيَالِ، إبداع المعاني وإنزالها في صورة الألفاظ، لينتقِلَ المعنى إلى الصورة الحِسِّيَّةِ، ولا قُدْرَةَ لها على عكس هذا الأمر، فالإبداعُ أمرٌ خياليٌّ وإن ثبتَ ظهُورُ سُلطانه في الكونِ، فالكونُ خَيالٌ: «**فَإِنَّ النَّاسَ نِيامٌ**»[1]، فالنَّومُ خِيالٌ، ونومُ النائِمِ خِيالٌ في خِيالٍ، ومن هذا الوجه قالَ مَن قال: إنَّ العالَمَ ما هو عينُ الحقِّ، فإنما هو ما ظهَرَ في مِرآةِ وجودِ الحقِّ، كما تَحْدُثُ الصورة في المرآة ينظُرُ الناظِرُ فيها، فالصورة ما هي عينُ الناظِرِ، ولا الناظِرُ عينُ ما ظَهَرَ في المِرآةِ، كذلك الأمر في وجود العالَمِ والحقِّ، وهو إما أن تكونَ الأعيانُ مَجالِيَ آثارَ تجلِّيَّاتِ الحقِّ ومظاهِرِهِ، وهو الظَّاهِرُ في المظاهِرِ بحَسَبِ قابِلِيَّاتها وخصوصياتها، أو تكون عينُ الوجود المُطْلَقِ عينَ المِرآةِ، فتُرَى الأعيانُ من مِرآةِ الوجود وما يُقابلها فيه، ويترائى بعضهم من حيث ما هي عليه من غير زيادةٍ ونُقصانٍ، فانظُر كيف شِئْتَ فإنه لا يخلُو مِن إبداعٍ، فما في الوجود إلاَّ مُبْتَدِعٌ، وإنْ تَرَى ما لها أمْثالٌ مِن بياضٍ وسوادٍ وحرَكَةٍ وسُكُونٍ، فاعلَمْ أنَّ الحركة في كلِّ مُتحرِّك يُسمَّى حَرَكَةً، فيتخيَّلُ المُتَخَيِّلُ أنها أمْثالٌ، وليس الأمر كذلك، فإنَّ الحركَةَ مِنْ حيث عينُها حقيقةٌ واحدةٌ، وحُكْمَها سَرَى في كلِّ مُتحرِّك، فهي في

(1) رواه البيهقي في كتاب الزهد الكبير، وعزاه إلى سهل بن عبد الله التستري، برقم (515) [2/ 207].

ـتَهَا لا مِثْلَ لها، وكذلك البياضُ والسَّوادُ، والإبداعُ الحقيقيُّ هو الوجه الخاصُّ ـذي للحقِّ في كل شيءٍ، وبه يمتازُ ذلك الشيءُ عن سائرِ الأشياءِ.

* * *

البَــاقِــي

البَاقِي بدَوَامِ الوجودِ والإيجادِ، الذي لا تَقْبَلُ ذاتُهُ الزَّوَالَ، ولا يجري عليه حكم الحدوث والانتقال، فهو جلَّ ثناؤُهُ باقٍ ببقائه والعبدُ باقٍ بإبقائِهِ، قال الله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾ [النّحل: الآية 96] وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحِجر: الآية 21] فالعبيدُ وما عِندهم عندَهُ، فإن أعيانَ مراتِبِ الكونِ بأجمعها محفوظَةٌ في خزائِنِهِ، وخزائنه عنده: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾ [النّحل: الآية 96] فلهُمُ البقاءُ مع انتقالِهِم من موطِنٍ إلى موطِنٍ، وإنْ نَفِدَ مِنْ عندِ العَبِيدُ ما عندهم صورة، فلا يَنفَدُ ما عند الحقِّ من عندَهُ: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [القَصَص: الآية 60] وما عنده إلاَّ الكوْنُ، فهو خيرٌ من حيثُ الوجود، وأبْقَى مجمُوعِيَةً من أفرادِ مراتِبِهِ، وكونُهُ لم يزل في درجة الإمكان، ولمَّا كان الحُكْمُ والأمْرُ للحَقِّ ـ عزَّ شأنُهُ ـ في عينِ الوجود، والحُكْمُ لا يزالُ باقياً ببقاءِ ذاتِ الحقِّ، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [طٰه: الآية 73] فهو خيرٌ وأبقى ممَّن هو خيرٌ وأبْقى.

واعلم أنّه لَمَّا كانت المواطِنُ حاكِمَةً بخصوصياتها، يَحْكُمُ على مَنْ ظَهَرَ وحَصَلَ فيها، فمَنْ مرَّ على مواطِنَ لا بُدَّ أن يَنْصَبِغَ بآثارِ حُكْمِها، كمَنْ يرى الحَقَّ في النَّومِ الذي هو مَوْطِنُ الخَيالِ، فلا يَرَى الحقَّ أبداً في هذا الموطِنِ إلاَّ في صُورةٍ ـ كانت الصُورَةُ ما كانَتْ ـ، وهذا مِنْ حُكْمِ المَوْطِنِ.

ثمَّ إذا خَرَجَ مِنْ مَوْطِنِ الخَيالِ إلى موطِنِ النَّظَرِ العقليِّ، لم يدْرُكِ الحقَّ في هذا الموطِنِ إلاَّ منزَّهاً عن المِثَالِ والصُورَةِ، فقد بَانَ أنَّ العبدَ يَحْكُمُ على الحَقِّ في كلِّ موطِنٍ بحُكْمٍ غيرِ ما حَكَمَ به عليه في موطِنٍ قَبْلَهُ، فعند ذلك عَرَفَ

ـمُحَقِّقُ أنَّه ما عَرَفَ الحقَّ حقَّ مَعْرِفَتِهِ، فلا يَعْرِفُ هُوِيَّةَ الحقِّ ـ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ ـ كما هُوَ إلاَّ هُوَ، فهذا غايةُ الكُمَّلِ في العِلْم بالله، وذلك أنَّ ما عِندَهُمْ مِنَ العِلْم في موطِنٍ يَنْفَدُ في موطِنٍ آخَرَ: فـ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: الآية 96] لأنَّه لا يتنوَّعُ في نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وعِلْمُهُ بنفسِهِ لا يقبَلُ التَّغَيُّرَ والتَّبديلَ، فهو الباقِيُ الهادِيُ.

* * *

الــوَارِثُ

الوَارِثُ لِمَا خَلَّفَهُ العبيدُ عندَ انتقالِهِمْ إلى البَرْزَخِ.

اعلم أنَّ أحكام هذا الاسم سَرَتْ في المراتِبِ كُلِّها مِنَ الصُوريَّةِ والمعنوية.

فالصُوريَّةُ، هي أنَّه يَرِثُ الأرض ومَنْ عليها عند انتِقالِ الكُلِّ مِنْ نَشْأَةِ الدُّنيا إلى نشأةِ الآخِرَةِ جُمْلَةً ويَرِثُ أيضاً في هذه النشأةِ مِنْ بعضِ عِبادِهِ حُكماً وعَدْلاً، لِيُوْرِثُها مَن يشاءُ.

وأما المعنويَّة فوارِثِيَتُهُ فيما يتعلَّقُ به عِلْمُهُ مِنَ العِلْمِ الابْتِلائِيِّ كما قالَ تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمَّد: الآية 31] والمُوَرِّثُ يَخْدِمُ الوَارِثَ بما تَعِبَ في جميع ما أورثَهُ، غيرَ أنَّ الإِرْثَ المعنوي ـ الذي هو العِلْمُ ـ لا يَنْقُصُ شيئاً مِنْ مُوَرِّثِهِ بِورَاثَةِ الوَارِثِ، بخلاف الدِّينار والدِّرْهم، فإنهما نَقْلُ العينِ بالوراثة مِنَ المَيِّت إلى الوارِثِ، والأنبياءُ ما ورَّثوا إلاَّ العلم وهو ما وَرَّثَهُمُ الحَقُّ، فالأنبياءُ وَرَثَةُ الحقِّ، «**والعُلَماءُ وَرَثَةُ الأنْبياءِ**»[1]، فالحَقُّ وارِثٌ من وجْهِ ومُوَرِّثٍ من جِهَةٍ، وكذلك الخَلْقُ.

فمِنَ العلماء مَن وَرِثَ عِلْمَ الأحكامِ والشَّرْعِ مِن ظاهِرِ النُّبُوَّةِ، **ومنهم** مَن وَرِثَ عِلْمَ الأسرارِ والكشفِ مِن باطِنِ النُّبُوَّةِ، ولهما المرتبةُ الشَّأْنِيَّةُ في الوِراثةِ، فإنها ما حصلَ لها العِلْمُ حتى تقدَّم بها النَّبِيُّ المُعَيَّنُ، فما يحصلُ للوَرَثَةِ مِنْ حضرَةِ النُّبُوَّةِ مِن العِلمِ لا يُقْبَلُ كما يَقْبَلُها العِلْمُ النَّظَرِيُّ فهو في غايَةِ البَيانِ، وأيُّ

---

(1) رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر وصف العلماء الذين لهم الفضل الذي ذكرنا قبل، حديث رقم (88) [1/ 289] ورواه غيره.

ـمِلِ عَمِلَ بأمْرٍ مشرُوعٍ وحصَلَ له مِنْ ذلك العَمَلِ عِلْمٌ بالله فهو مِنَ العِلْمِ ـوْرُوثِ.

ثمَّ لا يخلُو أنْ يكون ذلك الأمر المشروع شرعاً لنبيٍّ مخصوصٍ أو كان ـرعاً لمن قبلَهُ مِنَ الأنبياء قرَّرَهُ نَبيُّ هذا العامِلِ لأمَّتِهِ.

فإن كان ممَّا اختَصَّ به نَبِيُّ هذا العامِلِ فهو وَارِثُهُ خاصَّةً لا يُنْسَبُ إلى ـيرِهِ.

وإنْ كان ممَّا تقيَّدَ به نَبِيٌّ قَبْلَهُ ثُمَّ قَرَّرَهُ نَبِيُّ هذا العامِلِ، فهو وَارِثُهُ خاصَّةً ـرِثُ نَبِيِّهِ بما قَرَّرَهُ، فيُحْشَرُ في صُفوفِ الأنبياءِ خَلْفَ الشَّارِعِ والمُقَرِّرِ، وإنْ ـزَ ذلِكَ ألْفُ نَبِيٍّ فإنَّ له الحَشْرَ مع الكُلِّ، وهذا مِنْ حُكْمِ نَشْأةِ الآخِرَةِ ـبرزخِ، فإنه يرى الشخص الواحد نفسه في صور كثيرة وأماكن مختلفة في آنٍ ـحد وهو ليس غيرَهُ.

وكذلك يكونُ طَلَبُ الناسِ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآلِهِ وسلَّم في مواطِنِ ـقيامَةِ، فيَجِدُونَهُ حيثُ طَلَبُوا، فيجِدُهُ الطَّالِبُ في موطِنٍ في الوقت الذي يَجِدُهُ ـطالِبُ الآخَرُ في موطِنٍ آخَرَ بِعَيْنِهِ، هذا حُكْمُ الوِراثَةِ بالوساطَةِ.

وأمَّا وِراثَةُ العبدِ مِنْ غيرِ واسِطَةٍ أعَمَّ حُكْماً، وهو وِرَاثَةُ الصِّفاتِ من الحياةِ ـعِلْمِ والقُدْرَةِ والإرادة والكلامِ والسَّمْعِ والبَصَرِ، فإنَّه لا يَعْقِلُ العبدُ مِن صِفاتِ ـحقِّ إلاَّ ما هو عليه في نَفْسِهِ، فوَصَفَ الحقُّ نَفْسَهُ بالصِّفاتِ وما يقتضيها مِنَ ـجلالِ والكِبرياءِ تعليماً لعباده، ثم نَزَّهَ نفسه عنها وقال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ ـ يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصَّافات: الآية 180] فقامَ التَّنْزِيهُ مقامَ ما وَرِثُوهُ مِنَ الصِّفاتِ.

* * *

الــرَّشِيــدُ

الرُّشْدُ هو الاستقامَةُ، الذي أرْشَدَ عِبادَهُ في أخْذِهِ بِنَاصِيَةِ كلِّ دابَّةٍ إلى صِراطٍ مُستقيم.

اعلم أنَّ الإنسان لَمَّا كان جاهِلاً بما يكون منه قبلَ كونه، لا يقدِرُ على التَّمييز بين الأمر والإرادة، وما وقع منه ما وقع إلاَّ بِعِلْمِ الحقِّ، والعِلْمُ يَتْبَعُ المعلومَ، فلا تَناقُضَ بين الأمْرِ والإرادَةِ، وإنَّما التَّناقُضُ بينَ الأمْرِ وما يقتضي العِلْمُ، وليس عينٌ مِن أعيانِ الوجودِ إلاَّ له استقامَةٌ ورُشْدٌ كما تقتضي ذاتُهُ، لكن قد تجتمِعُ آثارُ الصِّفاتِ الثلاثة المُكَمِّلَةِ في شخصٍ وهي العِلْمُ والإرادَةُ والأمْرُ، فلهُ أعْلَى درجة الرُّشدِ والاستقامَةِ.

وقد تتعلَّق الإرادَةُ بمُجَرَّدِ صِيغَةِ الأمرِ في حقِّ شخصٍ، فلا حظَّ لهذا الشخص من الأمر إلاَّ صيغَتَهُ لا العمل به، لتعلُّقِ العِلْمِ بما هو عليه، فليس على العبد إلاَّ أن يُهَيِّىءَ مَحَلَّ وُرُودِ الأمْرِ بالمُراقَبَةِ فقط، فإذا وَرَدَ الأمْرُ الإلٰهِيُّ بالتَّكوين يُراقِبُ أثَرَ الأمْرِ في قلبه هل يَجِدُ الإباءَ أو القَبُولِ؟

فإنْ حصل القبول ينظر في أيِّ عُضْوٍ من الأعضاءِ السَّبعة يظهرُ أثَرُهُ، فيُراقِبُ حُكْمَ العِلْمِ فيه حتى يظهر ما هو عليه، فإنَّ الحقَّ لا يَحْكُمُ فيه إلاَّ به، فمن كان حالُهُ مُراقَبَةَ شؤُونِ الحقِّ فهو في عينِ السَّعادَةِ.

وإنْ وَقَعَ منه خِلافُ ما أمِرَ به فإنه فائِزٌ بدَرَجَةِ الرُّشْدِ والاستقامة المأمُورِ بمُراقَبَتِهِ وحُضُورِهِ مع الحقِّ، والحُضورُ رُوحُ الصَّلاةِ التي هي أفْضَلُ الطَّاعاتِ فلا تُساوِيهِ معصيَتُهُ أصلاً، بل تُسْتَهْلَكُ تحت سَطْوَتِها.

ويُكشفُ لصاحِبِ هذا المقامِ سِرُّ القَدَرِ، ولذلك كان رسول الله صلَّى الله عليه وآلِهِ وسلَّم يقول: «**شَيَّبَتْنِي سُوْرَةُ هُودٍ وأخَوَاتُها**»[1] لِما كان فيها مِن أمْرِ الاستقامَةِ وعدَمِ الاطِّلاعِ على سِرِّ العِلْمِ هل يُوافِقُ الأمْرَ أم لا؟ فلمَّا تبيَّنَ له الأمرُ المقرَّر بظُهُورِ سِرِّ القَدَرِ وقَفَ عنه الشَّيبُ، ولم يَقُمْ به هَمٌّ بحُصُولِ الاستقامَةِ والرُّشْدِ.

* * *

(1) رواه عبد الرزاق في المصنف، باب تعليم القرآن وفضله، حديث رقم (5997) [3/ 368] ورواه الطبراني في الكبير برقم (5804) [6/ 148].

على ما أُوْذِيَ به، فلا تُزعِجُهُ كثرَةُ المعاصِي إلى تعجيلِ العقوبة مع اقْتِدَارِهِ على ذلك.

الصَّـــبُورُ

اعلم أنَّ سَرَيَانَ حُكْمِ هذا الاسم عمَّتِ المَراتِبَ، ولذلك وصَفَ الحقُّ نَفْسَهُ بالصَّبْرِ، ووصَفَ عِبادَهُ أيضاً بالصَّبْرِ، وخَصَّهم بالمَعِيَّةِ والهِدَايَةِ والصَّلاةِ والرَّحْمَةِ، فصَبْرُ الحقِّ هو إمهالُهُ مَنْ آذاهُ بالمُخالفَةِ والشِّرْكِ، ولم يُؤَاخِذْهُم عند ذلك، بل يُعافِيُ أجسامَهُم، ويُكَثِّرُ أموالَهُم، ويُوَسِّعُ في أرزاقِهِم بعموم رَحْمَته وإحسانه، ويُمَتِّعُهُم إلى حينٍ بكمالِ كَرَمِهِ وامْتِنَانِهِ، ثمَّ شَكَى إلى عِبادِهِ مَنْ يُؤْذِيهِ فيما ذا يُؤْذِيهِ، مع بقاءِ اسمِ الصَّبُورِ عليه تعليماً لِخَلْقِهِ، ليعلموا أنهم إذا شكوا إليه ما نزل عليهم من البلاءِ لا يقدحُ ذلك في نِسبةِ الصبر إليهم، وذلك أنه ما في الوجود شيء إلاَّ فيه سرٌّ وحِكْمَةٌ تجري على جَرَيَانِ الإرادة، فكما أنَّ الحقَّ ما يُنْعِمُ ما يُنْعِمُ على عبْدِهِ إلاَّ لِيشكُرَهُ ويَحْمِدَهُ على ذلك، كذلك ما يبتلي المُبْتَلى ببلاءٍ إلاَّ ليرفَعَ الشَّكوى إلى الحقِّ، ويتوجَّهُ إلى حضرَتِهِ بالتواضُعِ والتَّضرُّعِ والاستكانة والافتقار، وإن كان مقام الصبر عند أهل الطريقة يقتضي الثبوت مع الحكم الرَّبانيِّ، لِمَا فيه من المصلحة وإن لم يَشْعُرْ بها العبدُ، فذلك حُكْمُ المُتَعَبِّدينَ مِنْ أهلِ المُجاهدة والمُكابدَةِ الواقفين مع التَّخَيُّلاتِ النظريَّة والتقليدات السَّمْعِيَّةِ، ولا الذَّائِقِينَ مِنْ مشارِبِ عُيُونِ العَيانِ، والفائزين بشهود حقائق العِرْفانِ، فإنَّ للعارِفِ الواقِفِ في هذا المقام الشُّهودُ الدائِمُ في اختلاف شُؤُون الحقِّ، فلا يَقْدَحُ في شهود شَكْوَاهُ إلى الحقِّ، لأنَّ الحقَّ ـ عزَّ شأنُهُ ـ ما جَعَلَ حُكْماً يُنافِي غَرَضَهُ ويُخالِفُ مِزَاجَهُ فيه إلاَّ لِيَرْفَعَ إليه الشَّكوى، ويسأَلَهُ رَفْعَ ذلك

عنه، فمن لم يشْكُ إلى الله عند إحساسه بالبلاءِ فقد قاوَمَ القَهْرَ الإلٰهِيَّ بجهله، ولذلك جاعَ أبو يزيدَ ـ قُدِّسَتْ أسرارُهُ ـ فبَكَى، فقيل له في ذلك، قال: إنما جوَّعَنِي لأبكي.

فمِنْ آدابِ أهل القُربِ في حالَةِ الألَمِ رَفْعُ الشَّكوى إلى الحقِّ لا إلى غيرِهِ، ولهذا كان أيوبُ عليه السَّلامُ مع جلالَةِ مَنصَبِ النُّبُوَّةِ يقول: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: الآية 83] ووصَفَهُ الحقُّ بالصَّبْرِ، وذَكَرَهُ في معْرَضِ المدح بقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: الآية 44]، أي أنَّا وَجدْنَاهُ صابِراً في وقتٍ يقتضي ضَعْفُ البشريَّةِ الاضطِرَابَ والرُّكُونَ إلى الأسباب، فلم يضطرِبْ ولم يَرْكَن إلاَّ إلينا، وهذه حقيقةُ العبوديَّة التي لا تَصِحُّ لعبدٍ حتى يَدَعَ اختيارَهُ وإرادَتَهُ ويكونَ بحَسَبِ ما يُريدُ الحقُّ منه، فإنَّه إذا كان ذا اختيارٍ لم يَذُقْ طَعْمَ سيادَةِ الحقِّ، فيُوَلِّيهِ على نفسه إذا شاء، ويعْزِلُهُ إذا شاء، فهو في الاختيار بحُكْمِ نفْسِهِ، والنَّفْسُ مُنازِعُ الحقِّ، وفي الاضْطِرارِ بحُكْمِ ربِّهِ.

فشأنُ العارِفِ الاضطِرَابُ بباطِنِهِ إلى الحقِّ عندَ النَّوازِلِ، والثُّبُوتُ بظاهِرِهِ عند نُفُوذِ الحُكْمِ الإلٰهِيِّ فيه، فله الاضطراب في السُّكونِ والسُّكونُ في الاضطراب، فإنَّ الأحوال حاكِمَةٌ، والمَحْكُومُ لا بد أن يكون تحت قهرِ الحاكِمِ، ونفوذِ الحُكْمِ فيه.

واعلم أنَّ للصَّبْرِ ثلاث درجاتٍ:

أولها: الصَّبْرُ لله، بِتَحَمُّلِ أثْقالِ التَّكاليفِ، وهو صَبْرُ العامَّةِ.

الثانية: الصَّبْرُ بِالله، لشُهُودِ مُعاوَنَةِ التَّوفيق في اجْتِنابِ المُخالفات، وهو صَبْرُ المُرِيدُ.

الثالثة: الصَّبْرُ على الله، لوُصُولِ الصَّابِرِ إلى مبادِىء الفَنَاءِ بذِهابِ بَشَرِيَّتِهِ وتخلُّقِهِ بالأخلاقِ الإلٰهِيَّةِ، وهو صَبْرُ المُحقِّقِ الثَّابِتِ الفائِزِ بشَرَفِ الاختصاص في

العلم بالله ما لا يَعْلَمُهُ إلاَّ مَن ذاقَهُ، المُعَجَّلُ طيِّباتُهُ في جنَّاتِ الدُّنيا مما لا عينٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قلبِ بَشَرٍ، وهو الذي خصَّهُ الحقُّ بعنايَتِهِ، ووفَّقَهُ للمُعاملاتِ المعنويَّة، فعامَلَ الأسماءَ الإلٰهِيَّةَ بالتَّخَلُّقِ بها، كما يقتضي حقيقةُ كلِّ اسمٍ إلٰهي مِنَ الأخلاق حتى لم يَبْقَ اسمٌ مِنْ أسماءِ الحقِّ إلاَّ قامَ فيه بصورتِهِ وحالِهِ، واطَّلَعَ على أسرارِهِ ونتائِجِ آثارِهِ، وإنْ كان سَرَيَانُ أحكامِ الأسماء يشتمِلُ كُلَّ عينٍ مِنْ أعيانِ الوجودِ ـ سَوَاءً عَلِمَ ذلك العينَ أو لم يَعْلَم ـ ولكن لا يفُوزُ بمَنْصَبِ القُرْبِ إلاَّ مَنْ ذَاقَ شَرَابَ الوِصَالِ مِنْ كَأساتِ شواهِدِهِ العِلْمِيِّ العِرْفاني، فإنَّ عِظَمَ لَذَّةِ العِلْمِ بقَدَرِ شَرَفِ المعلوم، وأيُّ عِلْمٍ أشرَفُ ممَّا كان مُتعلَّقُهُ جنابَ الكبرياءِ.

فالعِلْمُ بحقائِقِ الأسماءِ الإلٰهِيَّةِ، وترتيبِ أمور مملكة الفَرْدَانِيَّةِ، المُحيطَة بجميع المراتِبِ الوجوديَّة، والاطِّلاعُ على أسرارِ دقائقِ خزائِنِ الرُّبوبيَّةِ، هو أعْلى مراتِبِ أبوَابِ المعارِفِ وألَذُّها وأطْيَبُها وأشْهَاها، ومجموعُ أقطارِ مَلَكُوتِ السَّماوات والأرضِ مَيدانُ العارِفِ، يَجُولُ في ساحاتِهَا، ويَتَبَوَّءُ منها حيثُ يشاءُ من غير حركةٍ ولا مُزَاحَمَةِ غيرٍ، وما أعْظَمُ حَسْرةً عندَ كَشْفِ الغِطاءِ ممَّن حَرَّمَهُ الله لَذَّةَ العِلْمِ به، فإنَّ حَسْرَةَ الجَهْلِ أعْظَمُ الحَسَرَاتِ، لا سِيَّما الجهلُ بالله، وكلُّ مَن تعلَّقَت هِمَّتُهُ في الدُّنيا بِكَشْفِ الأسرارِ الإلٰهِيَّةِ وحَصَلَ له ذلك فقد فازَ في الدَّارَيْنِ، وحَازَ الدَّرَجَتَيْنِ، فإن لم يُحَصَّل في موطِنِ الدُّنيا لا بدَّ أن ينالَهُ في النَّشْأةِ الآخِرَةِ، وما بينهما مِنَ الفَرْقِ إلاَّ ما يَحِلُّ للمُحَصِّلِ مِنْ لذَّةِ النَّعِيم بدَوَامِ شُهُودِ الأسرارِ، فالمحرُومُ كلُّ المَحْرُومِ مَنْ لا يتعلَّقُ هِمَّتُهُ في الدُّنيا بتحصيلِ هذه المعارِفِ في الدَّرَجاتِ العُلَى.

جَعَلَنَا الله ممَّن لَزِمَ الأدَبَ عندَ شُهُودِ حقائِقِ أسمائِهِ وصِفاتِهِ، وسَعِدَ بِنَعِيم العِرْفانِ عندَ سَوَاطِعِ أنوَارِ أسرارِ ذاتِهِ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية 8] بِرَحْمَتِكَ وفَضْلِكَ وجُودِكَ يا كَرِيمُ يا وَدُودُ يا تَوَّابُ، والحَمْدُ لله وَحْدَهُ والسَّلامُ علَى مَن اتَّبَعَ الهُدَى.

وكتب في نهاية المخطوطة المصرية:

تمَّت هذه النسخة الشريفة على يد العبد الأحقر عثمان بن أحمد بن جعفر الشهير بمخلصي، يوم الأحد رابع عشر شهر شعبان المعظَّم سنة خمس وثلاثون بعد الألف من هجرة النبي وصلى الله على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم، واغفر لصاحبه وكاتِبه ولوالدينا ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات برحمتك يا قابِل الدعوات

★★★★★

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة المحقق 3

ترجمة شارح الأسماء الحسنىٰ الشيخ الكبير صدر الدين القونوي 7

مقدّمة المؤلف 9

مقدمة في الأسماء الإلٰهيّة 13

بداية شرح الأسماء الحسنى 17

هُــوَ 19

اللَّــه 22

الرَّحْمانُ الرَّحِيمُ 31

المَلِــكُ 33

القُــدُّوسُ 34

السَّــلام 35

المُؤْمِـنُ 37

المُهَيْمِـنُ 39

العزِيزُ 41

الجَبَّــارُ 43

المُتَكَبِّـرُ 45

الخَالِقُ 47

[illegible] 49

المُصَـوِّرُ 51

الغَفَّـارُ 53

القَهَّـارُ 55

الوَهَّـابُ 57

الـرَّزَّاقُ 58

الفَتَّـاحُ 60

العَلِيـمُ 63

القابِـضُ 65

البـاسِـطُ 67

الخـافِـضُ 69

الرَّافِـعُ 71

المُعِـزّ 73

المُـذِلّ 75

السَّمِيـعُ 77

البَصِيـرُ 79

الحَـاكِـمُ 81

العَـدْلُ 82

اللَّطِيفُ 84

الخَبِيـرُ 85

الحَلِيـمُ 86

العَظِيـمُ 87

الغَفُـورُ 89

الشَّكُـورُ 90

العَلِـيُّ 92

الكَبِيرُ 94
الحَفِيظُ 96
المُقِيتُ 97
الحَسِيبُ 99
الجَلِيلُ 100
الكَرِيم 102
الرَّقِيب 104
المُجِيب 105
الوَاسِع 107
الحَكِيمُ 108
الوَدُودُ 109
المَجِيد 111
البَاعِث 113
الشَّهِيد 115
الحَقُّ 117
الوَكِيلُ 119
القَوِيُّ 120
المَتِينُ 122
الوَلِيُّ 124
الحَمِيدُ 126
المُحْصِي 128
المُبْدِيءُ 130
المُعِيد 131
المُحْيِي 132

المُمِيت 133
الحَيُّ 134
القَيُّومُ 135
الواجِد 136
المَاجِد 138
الوَاحِدُ 139
الصَّمَدُ 141
القادِرُ المُقْتَدِرُ 142
المُقَدِّمُ والمُؤَخِّرُ 144
الأَوَّلُ والآخِرُ 146
الظَّاهِرُ البَاطِنُ 147
الوَالِي المُتَعَالِي 151
التَّوَّابُ 154
المُنْتَقِمُ 155
العَفُوّ 156
الرؤُوفُ 158
المُقْسِطُ 159
الجَامِعُ 160
الغَنِيُّ المُغْنِي 161
المُعْطِي 163
المَانِعُ 164
الضَّارّ 165
النَّافِعُ 166
النُّور 168

الهَـادِي 170
البَـدِيـعُ 172
البَـاقِـي 174
الـوَارِثُ 176
الـرَّشِيـدُ 178
الصَّـبُورُ 180
فهرس المحتويات 185